مجموعة الروائع الانسانية

بليز بسكال

خواطر

ترجمه الى العربية
ادوار البستاني

اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع
بيروت
١٩٧٢

التوزيع : المكتبة الشرقية ـ ص.ب : ١٩٨٦ ـ بيروت، لبنان





بليز پسكال

وُلد في مدينة كليرمون عام ١٦٢٣ – توفي في باريس عام ١٦٦٢ عن ٣٩ سنة

خَوَاطِـر پَسْـكال

ص. ب. ١١٤٥ ، بيروت (لبنان)
١٩٧٢

مجموعة الروائع الإنسانية

بليز بسكال

خواطر

ترجمه الى العربية
ادوار البستاني

اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع
بيروت
١٩٧٢

فهرس



مقدّمة المترجم

الحديث عن پسكال والاحاطة بجوانب شخصيته الفريدة مغامرة من البديهي ان يجاوز مداها هذه الاسطر الوضيعة . اما كلمتي هنا ، فنظرة خاطفة ، ما ابعدها عن الشمول . وهي اذن مدخل ضيّق الى المجال الاوسع في اطلالة على اجواء السناء والنبوغ ، وما كان غرضي من هذه العجالة ان أُبحر في متاهات الروائع الپسكالية . حسبي ان اشرف مع القارئ على «الخواطر» الخالدات لنألف مناخ السموّ والجلال ونرتفع الى تجليات الصوفية والاعجاز .

انني غداة اقبلت على هذه الترجمة وامعنت النظر في غوامض بعض فقر لم اقف على مفادها حقّ الوقوف ، رجعت الى بعض الفضلاء استعينهم على استجلاء ما أشكل والتبس . فما لبثت ان ادركت اني احاول مطلباً صعباً ، وانه لا بد لي من مجالدة الغموض والابهام بطول المعاناة ، والتذرّع بالصبر وطول الاناة ، وكثيراً ما حسبت نفسي في نفق بعيد الغور استضيء بلعاب شمعة شاحب يرسل خصلاً دقيقة من النور المرتجف على زوايا الجدر . فثمة اشكال ورسوم ، تتعاقب بين الجلاء والتعمية والمهابة ، وثمة فجوات ينسكب منها ضياء النهار فياضاً ، باهر السطوع ، قدسي اللمعات ، تلك هي خواطر پسكال . نفثات علوية خطّها لنفسه ليجعل منها نواة لأضخم مصنف من نوعه كان بالامكان ان يكون ، فادركه مطفئ الآمال ومحطّم المطامح ، واذا بتلك الفكر العجيبة نثار من الاوراق المبعثرة هنا وهناك ، يتعهدها القوم جمعاً وتبويباً وتنسيقاً ، ثم يمثّلونها بالطبع ، فيقفون حيارى امام غوامضها ، مذهولين امام روائعها ، لا يجرؤون على تبديل وتحوير ، مخافة ان يسيئوا الى تلك العبقرية المخيفة التي انبثقت منها تلك

الالتماعات السماوية الخواطف ، وما كانت الا معالم نيـّرة تشرف على عوالم لانهائية من الفكر المنطلق في رحائب المعرفة ، حتى الحدود التي رسمها الخالق عزّ وجلّ للعقل ، فوقفه عندها ، واذلّه وخزاه ودعا الانسان الى الايمان به سبحانه بِـدعة واتضاع ، فلا يحاول ان يجاوز ما وسّع له من المدارك والافهام . وما اصدق ما قال علي بن ابي طالب من هذا القبيل « كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله ؟ »

وُلد بليز پسكال في مدينة كليرمون في التاسع من حزيران ١٦٢٣ . وتوفيت امه ولمّا يجاوز السنة الثالثة من عمره . فتولى امره والده اتيان پسكال وكان عالماً في الرياضيات ، غير مشرك في تربيته وتعليمه احداً ، واعتمد خطة دقيقة لتدريسه وتثقيفه ثقافة علمية واسعة لما بدا له من نضجه المبكر ومن مخايل النجابة والنبوغ فيه ، وحاذر ان يكاشفه بالعلم الرياضي مخافة ان ينصرف اليه ويهمل اللغات ، وحجب دونه كتب الرياضة ، فاستعاض الولد عنها بفحم الوقود يرسم به الخطوط والزوايا والمثلثات على ارض الغرفة الى ان استخلص نظرية التساوي بين قائمتي المثلث وزواياه . واذ فجئه ابوه على هذه الحال من التأمل والتنقيب دهش وارتاع ودفعه الاعجاب الى ان يهدي ابنه الفتى كتاب « القواعد » لأقليدس ، فأكبّ على مطالعته واستقصاء خوافيه حتى بلغ الغاية منه في اشهر معدودة ، واتقن اللغتين اللاتينية واليونانية في مدى سنتين اثنتين ، ثم تلقّن المنطق والفيزياء وسائر فروع الفلسفة مما كان يتناوله من حديث ابيه اثناء الطعام او بعده على ما ذكرته شقيقته جيلبرت . وافضى به هذا الجد المستمر الى ابتكارات واكتشافات في العلم الرياضي ليس هنا محل الكلام عنها . ان ما يستوقف النظر ويدعو الى التبصر والتأمل هو ان پسكال قد استطاع ان يبني هذا الهرم من المجد العلمي على الرغم من اعتلال صحته منذ الصغر بسبب آلام لازمته في الاحشاء والرأس ، تلك الآلام المبرحة التي لم تفارقه يوماً واحداً بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره على ما افضى به الى ذويه ، وساقته حثيثاً الى الموت في عمر لم يتجاوز التاسعة والثلاثين ربيعاً ، فما رأي الذين دخل في روعهم ان العقل السليم في الجسم السليم ؟

يبدو ان الرجل كان في سباق مع الموت وهو على علم بذلك ، اذ كيف نفسّر انه عمل على تدبيج خواطره دفاعاً عن الدين ، فوزعها في وريقات لا ترابط بينها ، فجاء بعضها تاماً في وضوحه وروعته ، وبعضها الآخر قلق التركيب مضطرب المبنى مشوباً بالاغلاط الاملائية مما يدل على انه كتبها اما مستلقياً على ظهره متألماً ، واما انه نصها على احد خدمه او زائريه . لقد كانت الافكار تزدحم في ذهنه ويحول مرضه دون التبسط فيها ، فيدونها احياناً رؤوس اقلام على ان يتبحر فيها لو اسعفته العافية .

عاش پسكال في عصر قلق ، شهد الحرب الاهلية المعروفة بثورة « الفروند » وتميز بالنضال العقائدي العنيف القائم بين اليسوعيين اصدقاء السلطة وبين جماعة بور رويال معلمي پسكال . فشايعهم ووجه الى اخصامهم رسائله الاقليمية الشهيرة منتقداً بشدّة متناهية وبلاغة ساحرة مـــا تنطوي عليه فتاواهم وحلولهم لمشاكل الضمير من التساهل والتراخي ، بيد انه جاوز الحد في بعض ما زعم وامعن في التجني .

كان هذا في السنة ١٦٥٦ وهي السنة التي شفيت في خلالها مرغريت پيريه ابنة شقيقة پسكال شفاءً فورياً عجائبياً من قرحة في مدمعها بعد لمسها شوكة من الاكليل المقدس ، الامر الذي زاد شعلة الايمان اضطراماً في قلب پسكال فعزم على تأليف الدفاع عن الدين الذي لم يصل الينا منه الاّ اشتات من الخواطر ، بدت في حالتها الاولى وكأنها فقرات لا تلاحم بينها ولا رباط ، فثمة فكرة تشير اليها كلمة واحدة او عبارة مقتضبة او احالة على مرجع ، او حكمة من الحكم ، او مسارّة شخصية . وثمة صفحات مستفيضة البيان دبجت بعناية على انها استقرت في صيغتها النهائية . وتعاقب الشراح والمدققون والناشرون طوال قرنين ونصف القرن فكان منهم الفاشل والمحرّف والناجح مما لا يدخل في نطاق بحثنا هنا . ولكن لا ضير عليهم ولا جناح اذ من ذا الذي اوتي علم الغيب ليعرف اي ترتيب واي تقسيم كان يضمر پسكال لمؤلفه لو نسأ الله في اجله ، على ان ليون برونشفيك Léon Brunschvicg الذي اعتمدنا طبعته في هذه الترجمة لم يتورط في محاولة

تنسيق الخواطر على النحو الذي يفترض ان پسكال شاء ان ينحوه ، وهو امر عزيز المنال ، بل قصر عمله على تصنيفها مجموعات نصوص تعالج المسائل نفسها ويستطيع معها المطالع استخلاص بعض الفكر العامة التي يمكن اقامة الترابط بينها ترابطاً منطقياً معقولاً .

لقد انصبّ اهتمام العلماء والنقّاد والفلاسفة على هذا الرجل طوال الازمنة التي تلت وفاته حتى يومنا هذا ، واختلفت نظراتهم اليه باختلاف المذاهب التي دانوا بها . قال ڤولتير : « لقد جعلنا نرتعد من كينونتنا ، واني لأجرؤ ان اتشيع للانسانية ضدّ هذا المتسامي المتنكّر للناس ، واجرؤ على التأكيد بأننا لسنا اشراراً ولسنا تعساء بالقدر الذي يتصوّره » .

وجاء شاتوبريان يقارن بين الخواطر ومزاعم فلاسفة ذلك العصر الذين رموا پسكال بالالحاد ، فرسم عنه وعنهم هذه اللوحة البديعة : « يخيّل اليك انك ترى خرائب تدمر ، تلك البقايا الشامخات من الزمن والعبقرية ، وقد بنى اعرابي البادية كوخه الحقير عند اقدامها » .

ونصل الى عصرنا الحديث فنجتزئ باقوال :

— پول ڤاليري : « خوف ، خائف ، مخيف . صمت ازلي ، كون ابكم . بهذا يعبّر عمّا يحيط به احد اعظم العقول التي ظهرت » ،

— فرنسوا مورياك : « ما لهم يتكلمون عن عبقرية پسكال المرتجفة الواجفة ؟ ايّ انسان عرف اكثر منه سكينة الحب ؟ » ،

— وجوليان غرين : « پسكال اعظم الفرنسيين شأناً » .

ان هذا المفكّر الالمعي الذي تبصّر الطبيعة في «سامي وملء جلالها» واستوى على شرفات الوحي شاعراً متعالياً ، لم ينظر الى الزمن على انه مجرّد اعوام وايام وساعات ، محصور في حدود مواقيت بين ماض وحاضر وآت ، فهو منطلق في غياهب الآباد يستنطق الفلوات والآفاق البكماء في اللامحدود من دياجير الدهور . انه رهين لانهايات تحتضن الانسان وتشتمل عليه « ظلاً يستمر لحظة ولا يفيء » .

واذ رأى « ان غاية الاشياء ومبادئها مصونة عنه اقتداراً في سر لا يدرك » صاح صيحته الرهيبة :

« ان تلك الرحائب اللامتناهيات تخيفني بصمتها الازلي » .

اجل ، انها لرعدة ، ولكنها ارتعاشة المؤمن الوجل ،

بل قشعريرة الكون باجمعه في مواجهة المصير والابدية .

ادوار البستاني



القسم الأول

خواطر عن الفكر والأسلوب

١ — **الفرق بين الذهن الهندسي والذهن المرهف** . المبادئ في الذهن الهندسي ملموسة . ولكنها بعيدة عن مألوف الاستعمال حتى انه ليصعب عليك ان توليها وجهك لعدم الاعتياد ، ولكنك لو ادرته صوبها قليلاً لرأيت المبادئ ملء البصر . ويجب ان يكون الفكر متناهياً في المغالطة ليخطئ في الاستدلال بمبادئ هي من الضخامة بحيث يكاد يستحيل ان تفوتك[١] .

ولكن المبادئ ، في الذهن المرهف ، جارية في الاستعمال المألوف وتجاه أعين الناس جميعاً ، فلا حاجة معها الى ادارة الوجه او إعمال الجهد ، وجلّ ما يقتضي لها عين بصيرة ، ولكن من المحتم ان تكون بصيرةً ، لأن المبادئ هي من الدقة والتعدد بحيث يكاد يستحيل الاّ يفوتك بعضها ، والحال ان الذهول عن مبدإ يفضي بك الى الضلال ، وعلى هذا يجب ان يكون النظر كثير الجلاء ليرى جميع المبادئ وان يكون الفكر صائباً لئلا يغلط في الاستدلال بمبادئ معروفة[٢] .

فلو كان لاهل الهندسة كافةً نظر بصير لامكن اذن ان يصبحوا مرهفي الأذهان ، لانهم لا يخطئون في الاستدلال بالمبادئ التي يعرفونها ، ولاصبح اهل الذهن المرهف مهندسين لو امكنهم ان يحوّلوا نظرهم الى مبادئ الهندسة التي لم يألفوها .

---

١) والواقع ان مبادئ الهندسة هي تعريفات وضعت مرة واحدة بالاستناد الى اتحاد بعض السمات البسيطة ؛ اليك مثلاً تعريف المثلث : هو رسم يتكون من ثلاثة خطوط مستقيمة تتقاطع اثنين اثنين في مسطح .

٢) مثل ذلك نفسية نيرون في الفصل الرابع من رواية « بريتانيكوس » : انه بقدر ما تكون العين بصيرة تكتشف في تلك النفسية المزيد من عواطف الحب والحقد والحسد والشراسة وغريزة العدل واعتياد الخير الخ ... مع ما يميز عاطفة عن اخرى من الفوارق الخاصة ودرجات الشدة والعنف .

ان ما يجعل بعض اهل الأذهان المرهفة الاّ يكونوا مهندسين هو انهم لا يستطيعون التحول مطلقاً نحو مبادئ الهندسة ، وما يجعل بعض المهندسين الاّ يكونوا من ذوي الأذهان المرهفة هو انهم لا يرون ما امامهم ، وانهم ، وقد الفوا مبادئ الهندسة الجلية الغليظة واعتادوا الاّ يستدلوا ما لم يمعنوا في النظر وفي معالجة مبادئهم فهم يتيهون في المسائل اللطيفة التي لا تؤاتى لمثل تلك المعالجة . فانك تكاد لا تراها ، وانك لتحسها اكثر مما تراها ، وانك لفي أبعد المشقات لو شئت ان تُشعر بها من لا يشعرون بها من تلقاء انفسهم ، وانها لأشياء في منتهى اللطافة والكثرة بحيث تحتاج معها الى حس ّ متناهٍ في اللطافة والجلاء لتشعر بها وتحكم حكماً صائباً مستقيماً بحسب هذا الشعور ، ذلك دون ان تستطيع غالباً تبيّنها في الترتيب كما فى الهندسة لانك لا تعرف مبادئها على هذه الصورة ، وانك لو تصديت لها لانتهيت الى ما لا نهاية له ، فعليك ان ترى الامر فى نظرة واحدة ، وليس بالاستدلال المطّرد ، هذا الى درجة معينة على الاقل ، وهكذا يندر ان يكون المهندسون مرهفين وان يكون المرهفون مهندسين ، لأن المهندسين يريدون معالجة هذه الامور الدقيقة بحسب الطريقة الهندسية فيستوجبون السخرية ، ذلك انهم يريدون التخطي من التعريفات الى المبادئ ، وما كانت هذه الطريقة لتصلح في مثل هذا النوع من الاستدلال . ولا يعني ذلك ان الفكر لا يسلك هذا السبيل ، بل انه يسلكه ضمناً وبصورة طبيعية لا تقوم على قاعدة ، لان التعبير عنها يفوق جميع الناس ، والشعور بها لا يملكه الاّ القليلون .

وبعكس ذلك الاذهان المرهفة ، فانها وقد تعودت الحكم من نظرة واحدة ، لتدهش اشدّ الدهشة عندما تعرض عليها قضايا لا تفقه منهـــا شيئاً ، قضايا يقتضي التخطي اليها المرور بتعريفات ومبادئ كثيرة العقم ، لم تألف رؤيتها مفصّلة هكذا ، وهي من اجل هذا تتكرّهها وتشمئز منها .

على ان اهل الذهن الغلوط لا يكونون قط مرهفين او مهندسين .

والمهندسون الذين ليسوا الاّ مهندسين هم اذن ذوو ذهن صائب ، شرط

ان تشرح لهم جميع المسائل شرحاً وافياً بواسطة التعريفات والمبادئ ، والاّ كانوا مغالطين وثقلاء ، لأنهم ما كانوا مصيبين الاّ في المبادئ الكثيرة الوضوح .

والمرهفون الذين ليسوا الاّ مرهفين لا يطيقون صبراً على التحدر الى اولى مبادئ الاشياء النظرية والتخيّلية التي لم يروها قط في العالم ، وهي اشياء بعيدة عن الاستعمال كل البعد[1] .

٢ — الحس الصادق على انواع . من الناس من يكون حسّهم صادقاً في نوع من الأشياء وليس في غيرها حيث يعمهون .

وبعضهم يحسن استخراج النتائج من مبادئ قليلة ، زهيدة . وهذا صدق في الحسّ .

وغيرهم يحسن استخراج النتائج من امور قائمة على مبادئ جمة .

مثل ذلك ان بعضهم يتفهم مفاعيل الماء التي ترتكز على مبادئ قليلة ، على ان نتائجها هي من اللطافة بحيث لا يدركها الاّ الذهن ذو الصدق المتناهي .

ويجوز الاّ يكون هؤلاء من كبار الحسابيين ، لان الهندسة تشتمل على عدد كبير من المبادئ ، ولان للذهن طبيعة قد تدرك عدداً قليلاً من المبادئ ادراكاً تاماً وقد تعجز عن ادراك الاشياء التي تدور على مبادئ كثيرة .

فالذهن اذن نوعان : نوع يدرك نتائج المبادئ ادراكاً سريعاً عميقاً وهو الذهن الصائب . والآخر يعقل عدداً كبيراً من المبادئ دون ان يخلط بينها ، وهو الذهن الهندسي ، أحدهما قوة في الذهن وصدق والآخر سعة

---

١) يميز پسكال بين فئتين من الاذهان : « المنطقيون » ومثالهم الاكمل المهندسون ، وهم الذين ينشدون الجلاء في كل شيء ، ويستنتجون كل شيء وفقاً لنظام دقيق صارم ؛ « والحدسيون » الذين ينصاعون للحس والذوق والقلب .

في الذهن . وقد ينفصلان ، لان الذهن قد يكون قوياً ضيقاً وقد يكون كذلك واسعاً ضعيفاً [١] .

٣ — الذين تعودوا الحكم بحسب الشعور لا يفهمون شيئاً من امور الاستدلال لانهم يريدون اولاً ان يدركوا من نظرة واحدة ولم يألفوا البحث عن المبادئ . والذين تعودوا الاستدلال بحسب المبادئ لا يفهمون شيئاً من مسائل الشعور حيث يبحثون عن مبادئ ولا يستطيعون ان يروا من نظرة واحدة [٢] .

٤ — **هندسة ، ارهاف** . البلاغة الحقيقية تهزأ من البلاغة . والخلقيات الحقيقية تهزأ من الخلقيات ؛ اي ان خلقيات القوة المميزة التي لا قاعدة لها تهزأ من خلقيات الذهن [٣] .

فالقوة المميزة هي التي يختص بها الشعور كما ان العلوم تختص بالذهن. والارهاف من خصائص القوة المميزة في حين ان الهندسة من خصائص الذهن .

---

١) يجب ان تميز هذه الخاطرة بعناية تامة عن الخاطرة السابقة التي حاول البعض ان يماثلها بها : والحال ان الذهن الهندسي ، هنا ، من شأنه ان يحتضن عدداً كبيراً من المبادئ في حين ان ميزة هذا الاتساع قد خصها پسكال ، في الفكرة السابقة ، بالذهن المرهف . ولعل هاتين الخاطرتين قد دُونتا في زمنين مختلفين، او لعل الثانية تجزئة جديدة عن التقسيم الذي اعتمده في الاولى : فيصبح الذهن الهندسي الحس الصادق ، وهو على انواع ، ذهن يستخرج النتائج بدقة من مبدإ واحد ، كما يحدث في الفيزياء وفي الجبر ايضاً . وذهن هو قبل كل شيء تأليفي يرسم في الفراغ رسوماً كثيرة التعقيد دون ان يخلط بين خطوطها . وهو ما يطلق عليه پسكال الآن تسمية الذهن الهندسي .

أضف الى ذلك ان پسكال الذي بلغ الغاية في اتقان هندسة اللامتجزئات القائمة على مبدإ اللامتناهيات في الصغر كان من حقه ان يعارض بين تعقيد الهندسة وبساطة الفيزياء نسبياً في ايامه .

٢) « يروا من نظرة واحدة » ، ان هذه العبارة تدل على ان پسكال لا يعني بالشعور انه قوة غير عاقلة بل انه ما يسميه ديكارت بالايحاء او اليقين اي النظرة المباشرة التي تعي وحدة الشيء وكليته . على ان ما يجعل فكرة پسكال مستبهمة علينا انما هو اسلوب كلامه ، اذ ان الفكر والعقل هما بالاجمال في نظره العقل المستدلّ ، الجاهد ، على عجز ، لاثبات كل شيء حتى تلك المبادئ التي هي وحدها تمكن من الاستدلال واقامة البرهان .

٣) خلقيات الذهن في تعبير پسكال هي العلم والعقائدية والاستدلال على ما ذكره احد الشرّاح .

من هزأ بالفلسفة فقد تفلسف حقاً[١] .

٥ — الذين يحكمون في عمل دون قاعدة هم ، تجاه الغير ، كالذين لا ساعة لديهم . يقول رجل : « لقد مرت ساعتان » . ويقول آخر : « لم ينقضِ الا ثلاثة ارباع الساعة » . فأنظرُ الى ساعتي واقول لاحدهما : « انك لتضجر » وللآخر : « ارى الوقت لا يطول عندك ، فقد مرت ساعة ونصف الساعة » — واضحك من الذين يقولون ان الوقت يطول عندي وانني احكم به عن هوى ، وقد جهلوا انني احكم بحسب ساعتي[٢] .

٦ — كما يُفسد الانسان ذهنه ، يُفسد كذلك شعورَه ، يثقّف ذهنه وشعوره بالاحاديث ويفسدهما بها ايضاً[٣] . وكذلك الأحاديث تفسده او تثقّفه بحسب ما تكون صالحة او رديئة . فيجدر به اذن ان يحسن الاختيار لكي يثقّفه ولا يفسده ، ولا يستطيع الخيار اذا لم يكن قد سبق له ان ثقّفه ولم يفسده . وهكذا ينتهي الى دائرةٍ ما اسعد الذين يخرجون منها .

---

١) جاء في مونتين : اخذوا على احد الاقدمين انه يمتهن الفلسفة على كونه لا يعتد بها في حكمه ، فقال : « ان في هذا لفلسفة حقيقية » .
ان المقابلة بين الحدس او القوة المميزة والاستنتاج او الذهن تتتابع هنا وتتضح : اذ تصبح القوة المميزة الشعور الذي هو الحياة والحقيقة في حين ان الاستدلال يبقى في التصنـــع والتجردية . ففي البلاغة شيء آخر غير علم ارسطو ، وفي الأدبيات شيء آخر غير تقسيمات الزينونيين ومناقضاتهم ، وفي الفلسفة شيء آخر غير قياسات الفلسفة الكلامية او النظريات الديكارتية . وهذا الشيء الآخر انما هو حدس عميق مركب يستشعر الحقيقة وقوامه الشعور والقلب .

٢) كان پسكال يحمل ساعة في معصمه اليسرى باستطاعته ان يستطلعها دون ان يفطن له احد . ان هذه الساعة ترمز هنا الى القاعدة التي يجدر تطبيقها على اعمال الفكر . غير ان پسكال يعترف في مكان آخر ان العقل اعجز من ان يضع قاعدة كتلك وان الرجوع الى الشعور أولى . وفي الواقع ان الساعة لا تقيس بحد ذاتها الا زمناً مثالياً لا نأبه له . والحقيقة هي في مدى الوقت فلا يطول مع الضجر ويقصر مع اللذة .

٣) سبق لمونتين ان قال : « وكما ان الذهن يتقوى باتصاله بالاذهان اليقظة المتزنة ، فحدّث ولا حرج عما يصيبه من الانتقاص والفساد من اختلاطه المتواصل بالاذهان السافلة المريضة : فما من عدوى تنتشر كهذه . ان المحادثة في القرن السادس عشر قد لعبت دوراً رئيسياً في المجتمع الفرنسي ، وقد تسنى لپسكال ان يتذوق عذوبتها في مصاحبة « ميره » وفي ندوة « مدام دي سابليه » .

٧ — كلّما اتسع ذهن الانسان رأى من اهل الطرافة عدداً اكثر ، اما العامة فانها لا تجد فرقاً بين الناس[١] .

٨ — كثيرون هم الذين يستمعون الموعظة على نحو ما يستمعون صلاة العصر.

٩ — اذا توخّيت المنفعة في تخطئة امرئ وشئت ان تظهر له خطأه ، فعليك ان تلاحظ الجهة التي يواجه فيها الامر ، فانه صحيح من هذه الجهة عادة ، وعليك ان تعترف له بتلك الحقيقة على ان تكشف له عن جهة الخطإ . انه ليرتضي بذلك اذ يرى انه لم يكن مخطئاً ، وان الذي فاته فقط انما هو النظر الى الجهات جميعاً . فالانسان لا يغيظه الاّ يرى كل شيء ولكنه لا يريد ان يكون قد أخطأ ، ولعلّ هذا ناتج عن كونه بطبيعته لا يستطيع ان يرى كل شيء ، وعن كونه بطبيعته لا يستطيع ان يخطئ في الجهة التي يواجهها ، وهكذا فان ما تحسّه الحواس صادق ابداً[٢] .

١٠ — يقتنع الانسان عادةً بالاسباب التي وجدها بذاته اكثر من اقتناعه بالتي مرّت بذهن الآخرين[٣] .

---

١) كان پسكال قد كتب في « الحديث عن اميال الحب» : « بقدر ما يتسع الذهن يرى عدداً اكثر من الجاهلات الطريفة » . فهو على ما نرى ، قد توسع في فكرته : لا شك في انه ساعة انعتق فترة من مشاغله العلمية وتأملاته الروحية كانت احدى لذاته واحد اندهاشاته ما تبينه في الوجوه والطبائع من اختلافات لا تقع تحت الحصر ، ومن الخصائص الاساسية التي تميز فرداً عن آخر .

وكيف لا نذكر بهذه المناسبة ما اورده « سانت بوف » في كتابه « پور رويال » وكأنه تفسير مدهش لفكرة پسكال : « ان نساك « پور رويال » يختلطون في نظر الرجل العادي بسبب حياتهم المتماثلة ومعتقداتهم المتوافقة . بيد ان النقد السيكولوجي يعيد الى كل منهم سيماءه الادبية الخاصة به ويجعل من كل منهم مثالاً لا ينسى . »

٢) ان حقيقة المعطيات الحسية حقيقة بينة : فلو لم تكن المعطيات الحسية صحيحة لما استطعت سبيلاً الى التحقق منها ، اذ بأية اداة تتحقق؟ على ان الحواس تحملنا على الخطإ لاننا نحكم بها ليس في ما نراه وحسب بل في ما تعودنا ان نشركه في ما نرى . ففي خطإنا نفسه اذن شيء من الحقيقة وشيء من الوهم . ومن الممكن اذن ان نطمئن انانيتنا اذ نتحقق اننا رأينا من الأشياء بعضها وان نصلح خطأنا بان ننتبه لما لم نره منها .

٣) ذلك ان الفكر ، في الحالة الاولى ، يذهب من الاسباب الى النتيجة الناشئة عنها ، فلا يستطيع اذن الاّ ان يرتضي هذه النتيجة . ويحدث العكس في الحالة الثانية ، اذ ينظر في القضية المراد اثباتها بقطع النظر عن الادلة التي تضاف اليها لاحقاً وتبقى خارجة عنها . فيحصل الاقتناع بطريقة معكوسة ورديئة .

١١ — الملاهي خطر على الحياة المسيحية ، وليس في كل ما ابتدع البشر ما هو ادعى للتخوف من المسرحية ، فهي تمثل العواطف بطبيعة ولطافة حتى تحركها وتولدها في القلب ولا سيما عاطفة الحب ، وعلى الأخص ، حين يعرضونه على انه غاية في العفة والحشمة ، لان الأنفس البريئة تتأثر به بمقدار ما يبدو لها بريئاً . وان في عنفه ما يروق انانيتنا ، فتنشأ فيها للحال رغبة في ان تسبّب المفاعيل نفسها التي رأيناها ممثلة على احسن وجه . وفي الوقت نفسه نقيم في ذواتنا وجداناً يستند الى حشمة العواطف التي عرضت امامنا ، تلك العواطف التي تزول معها خشية الانفس النقية ، فتتوهم انها لا تجرح العفاف في ان تحب حباً كهذا بريئاً .

وهكذا ننصرف من المسرحية بقلب مفعم بكل جمالات الحب وعذوباته ، وبنفس وذهن مقتنعين بنقائه ، حتى اننا نجدنا جدّ متهيئين لتقبّل انطباعاته الاولى ، بل للبحث عن مناسبة نستطيع معها توليد تلك الانطباعات في احد القلوب ، لنحظى بنفس اللذات ونفس التضحيات التي رسمتها لنا المسرحية بهذه البراعة .

١٢ — سكَرَموش الذي لا يفكر الاّ في امر واحد .

الطبيب الذي يتكلم ربع ساعة بعد ان قال كل شيء ، لفرط ما تفعمه رغبة الكلام[1] .

١٣ — يلذ لك ان ترى خطأ كليوپولين وهواها ، لانها لا تعرفه وما كانت لتروقك لو لم تكن قد خدعت[2] .

١٤ — عندما يأتي الحديث الطبيعي على وصف ميل او تأثير ، فانك لتجد في ذاتك ما سمعت عن حقيقة كنت تجهل وجودها فيك ، فتميل الى حبِّ مَنْ اشعرك بها ، لانه لم يُظهر لك ما يَمْلكه بل ما

١) تعليق على مسرحية ايطالية من ابطالها سكرموش والطبيب اللذان يلمع اليهما پسكال .
٢) كليوپولين هي ملكة كورنتس . احبت احد رعاياها دون ان تحسب بانها تحبه ، واستمرت في هذا الخطإ زمناً طويلاً حتى انها حين فطنت لهذا الحب لم يبق في وسعها ان تتخلص منه .

تَمَلُّكه ، وهذا اللطف منه يجعله مستلطفاً لديك ، فضلاً عن ان هذا الاتحاد العقلي الذي يجمعك به يُميل القلب الى حبه حتماً .

١٥ — البلاغة التي تقنع بالعذوبة لا بالسلطان ، كمغتصب لا كَمَلِك[1] .

١٦ — البلاغة هي صناعة في الكلام تقوله بنوع :

١ً — ان يسمعك معه المخاطب بلذة ودون ما جهد .

٢ً — ان يستشعر اهتماماً له بحيث تحمله الانانية على ان يتأمله عن طواعية . — وهي اذن عبارة عن تراسل يقوم بين فكر من تخاطب وقلبه من جهة ، وبين ما تستعمل من عبارات وافكار من جهة اخرى . وهذا ما يفترض انك تعمقت في درس قلب الانسان لتتعرف الى جميع نوابضه وتجد بعدئذ المقاييس الصحيحة للخطاب الذي تريد ان تواجهها به . عليك ان تضع نفسك في موضع الذين يجب ان يستمعوا اليك ، وتقيم التجربة على ذات قلبك في الوجه الذي تريده لخطابك لترى هل هذا لذاك وهل بامكانك التيقّن من ان المستمع مكره على الاستسلام ؟ وعليك ان تنحصر جهد المستطاع في طبيعة ساذجة ، فلا تجعل من الصغير كبيراً او من الكبير صغيراً . ليس للشيء ان يكون جميلاً وحسب بل ان يكون مطابقاً لموضوعه لا زيادة ولا نقصان .

١٧ — الانهار دروب تسير ، وتحملك الى حيث شئت[2] .

١٨ — متى كنت تجهل حقيقة امر ، فمن الخير ان يكون ثمة ضلال مشترك يقف عنده ذهن الناس ، كالقمر مثلاً ، الذي ينسبون اليه تبدل

---

١) قابل النبذتين ٣١٠ و ٣١١ . الملك هو العاهل الشرعي . والمغتصب يمارس سلطانه بتعسف القوة . والحال ان الاقتناع مرجعه الشرعي العلم المبرهن ، في حين ان البلاغة التي ترضينا دون ان تقنعنا تفرط في افساد الارادة .

٢) لعل هذه الخاطرة ملاحظة منفردة لا مغزى لها ، او لعل پسكال دونها على سبيل المقايسة ليتبسط فيما يعتقده انه البلاغة ؛ اضف الى هذا ان الخطاب ، في نظره ، انما هو طريق يمشي وينتهي بالفكر الى النتيجة التي يرمي اليها .

الفصول وتفاقم الامراض الخ ... لان مرض الانسان الرئيسي انما هو فضوله القلق تجاه الأشياء التي لا يستطيع معرفتها ، وانه لخير له ان يكون في الضلال من ان يكون في حالة هذا الفضول الذي لا طائل تحته .

ان طريقة ابيكتاتوس ومونتين وسلومون دي تولتي[1] في الكتابة هي اكثر الطرق مزاولة ، واقربها اقتباساً ، وارسخها في الذاكرة ، واعمّها استشهاداً ، لانها مجموعة خواطر تولدت من المباحث العادية في الحياة . مثل ذلك : اذا تحدثوا عن الضلال المشترك في الناس من ان القمر علة كل شيء ، فلا يفوتهم قط ان يقولوا ان سلومون دي تولتي يقول انك متى جهلت حقيقة امر فمن الخير ان يكون ثمة ضلال مشترك الخ ...

١٩ — آخر ما تجده عندما تعمل عملاً ، معرفة ما يجب ان تبدأ به .

٢٠ ترتيب . ما لي اقسم ادبياتي اربعة عوضاً عن ستة ؟ وما لي اثبت الفضيلة في اربعة اقسام عوضاً عن اثنين او قسم واحد ، ولماذا ادرجها تحت هذا القول : « امسك واحتمل »[2] . عوضاً عن : « جارِ الطبيعة »[3] : «اقض حاجاتك الخاصة دون مظلمة » شأن افلاطون[4] او غير ذلك ؟ — ولكنك قد تقول : ها ان الكل قد استوعبته كلمة . — نعم ، ولكن هذا لا طائل تحته اذا لم يفسَّر . فاذا شرعت في تفسيره ، فانك لا تكاد تفضّ هذه القاعدة

---

١) « سلومون دي تولتي » هو پسكال نفسه ، على ما ورد في مقدمة للكتاب . ومن الثابت ان هذه الخاطرة قد كتبت بخط « مدام پيريه » شقيقته ، اذ لا يفترض انه اضفى هذا الثناء على نفسه ، ولعل شقيقته المذكورة هي منشئة الشق الاخير من هذه النبذة ، قد اعدته للمقدمة التي اعتزمت ان تصدّر بها « الخواطر » .

٢) « أمسك واحتمل » احدى حكم الزينونيين ، وهي في كل حال لا تعبر الاّ عن الناحية السلبية من مذهبهم الأدبي .

٣) « جارِ الطبيعة » حكمة مشتركة بين الابقوريين والزينونيين . ولكنهم يعقلونها على مفادين متناقضين : فالطبيعة في نظر الاولين مجموعة ذرات متلاصقة دونما ترابط ثابت ولا صلابة ، وهي في نظر الآخرين قوة متلاحمة مشدودة الى المادة .

٤) الماع الى قول « مونتين » : افلاطون الذي يرى ان اعذب مشاغل الانسان « ان يقضي حاجاته الخاصة دون مظلمة » . وهذه العبارة مستعارة من الرسائل المنسوبة الى افلاطون .

التي تعي القواعد الأخرى جميعاً ، حتى تخرج هذه في بلبلتها الاولى التي اردت تحاشيها ، وعندما تكون جميعها محصورة في واحدة ، فانها لمخبوءة فيها لا فائدة منها وكأنها في خزانة ، ولا تظهر قط الاّ في بلبلتها الطبيعية . ان الطبيعة قد اثبتتها دون ان تحصر واحدة في أخرى .

٢١ — وضعت الطبيعة جميع حقائقها كل واحدة في ذاتها . وجاء حذقنا يحصرها بعضاً في بعض وما كان ذلك طبيعياً : كل حقيقة في مكانها تثبت .

٢٢ — لا يقولنّ قائل انني لم اقل شيئاً جديداً : ان لفي ترتيب المواد جدة . الكرة في لعبة الكرة واحدة بين لاعبين ، ولكن احدهما احسن تسديداً لها من الآخر .

أحب بالمقدار نفسه لو يقال لي انني استعملت كلمات قديمة . ألعلّ الافكار نفسها لا تؤلف صيغة أخرى للخطاب اذا اختلف ترتيبها ، كما تؤلف الكلمات نفسها افكاراً اخرى بترتيبها المختلف !

٢٣ — يختلف المعنى باختلاف ترتيب الكلام ، وتختلف مفاعيل المعاني باختلاف ترتيبها[١] .

٢٤ — **حديث** . يجب ألا تحوّل الذهن الى شأن آخر ما لم تقصد اراحته ، شرط ان يكون ذلك في وقته المناسب لا في غيره ، لان من اراح في غير مناسبة فقد اتعب ، ومن اتعب في غير مناسبة فقد اراح ، لان المتعب يترك كل شيء ، ولشد ما يروق خبث الشهوة ان يعمل عكس ما يراد منا دون ان يعطينا اللذة ، وهي الفلس الذي نعطي مقابله كل ما يراد .

٢٥ — **البلاغة** تفترض المستطاب والواقع ، على ان يستخرج الاول من الثاني .

---

١) مثل ذلك الفرق بين قولك في اللغة الفرنسية : homme grand, grand homme

٢٦ — البلاغة رسم للفكر ، فمن اضاف شيئاً بعد ان رسم فقد اخرج لوحة لا صورة[١] .

٢٧ — **اسلوب** . الذين يستعملون المجازات بغصب الكلام ، شأنهم شأن الذين ينشئون نوافذ كاذبة توخياً للنسق : وما كانت قاعدتهم ان يأتوا بالكلام الصحيح بل ان يرسموا اشكالاً صحيحة .

٢٨ — النَسَق ، على ما نرى في النظرة الواحدة ، يقوم على ان لا مبرر لخلافه ، ويستند ايضاً الى وجه الانسان ، بحيث لا نريد ان يكون النسق الا عرضاً ، لا طولاً او عمقاً[٢] .

٢٩ — متى وقعت على انشاء لا تكلف فيه تستشعر دهشة وافتتاناً ، لانك توقعت ان ترى كاتباً فوجدت انساناً . اما اصحاب الذوق السليم فهم اذ يتصفحون كتاباً يحسبون انهم سيجدون انساناً ، ولشدّ ما يدهشون اذ يرون مؤلفاً : « لقد كنت في كلامك شاعراً اكثر منك انساناً »[٣] ؛ انهم ليشرّفون الطبيعة هؤلاء الذين يعلّمونها ان بامكانها ان تتكلم في كل شيء حتى في اللاهوت[٤] .

٣٠ — لا نأخذ الا برأي الأذن ، لاننا نفتقر الى قلب :

---

١) اللوحة تعني المشهد الذي أعد لابراز الأثر الخارجي ، وهو العمل الصناعي الذي اسهمت فيه المخيلة بعكس الصورة التي تحاول ان تعبر عن طبيعة المثال الداخلية .

٢) نجد هنا محاولة تستوقف النظر في التفسير السيكولوجي . ان العين في حدود مدى البصر ، تبحث عن التناسق ، ونحن نريده على الأخص في العرض لانه الاتجاه الذي يبدو فيه الناس متناسقين .

٣) (بترون ٩٠) — جاء في « خطاب عن الحديث » (ميره) : « قلت لاحد العلماء الاقحاح انه يتكلم كلام مؤلف » فاجابني : « ماذا ، ألست مؤلفاً ؟ » قلت ضاحكاً : « اجل ولكنك مفرط في هذا ، فما احراك ان تكلمنا بكلام الرجل الانيق » .

٤) الماع الى معالجته شؤون اللاهوت في « الاقليميات » .

القاعدة هي الأدب[١] .

جمال الاهمال ، جمال القوة المميزة .

٣١ — كل الجمالات الكاذبة التي نأخذها على شيشرون ، لها المعجبون بها ، وهم كثر[٢] .

٣٢ — للملاحة وللجمال مثال ، هو عبارة عن علاقة بين طبيعتنا على علاتها ، ضعيفة كانت او قوية ، وبين الشيء الذي يروقنا . فكل ما سكب على هذا المثال يرضينا : كالدار ، والاغنية ، والخطاب ، والشعر والنثر ، والمرأة ، والطيور ، والانهر ، والشجر ، والغرف ، والاثواب الخ ... وكل ما لم يطبع على هذا المثال يقبح عند اهل الذوق السليم .

واذ كانت العلاقة تامة بين اغنية ودار جاءتا على هذا المثال الحسن ، لكونهما يشبهان هذا المثال الاوحد ، كلتاهما في نوعها ، فثمة علاقة تامة

١) في المخطوطة فكرتان سبقتا هذه الجملة وشطبهما پسكال وهما : « فلتراجع خطب الينسيني الثانية والرابعة والخامسة ، انها لسمو ورزانة — اني لاكره المهرج والمنتفخ : لن يكون احدهما صديقك » .

حاشية المترجم : لم نجد أصلح من لفظة « الادب » نعبر بها عن كلمة honnêteté وفقاً لمدلولها في القرن السابع عشر ، اذ حددها ميره «Méré» الذي استفاض پسكال بالاستشهاد به ، انها زبدة الفضائل جميعاً . والأدب لغة الظرف وحسن التناول وهو ملكة تعصم من قامت به عما يشينه .

قال ابن قتيبة : «من اراد ان يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن اراد ان يكون اديباً فليتفنن في العلوم .»

وجاء في ابن خلدون : « ثم انهم اذا ارادوا حد هذا الفن (الادب) قالوا هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف ... »

ولعل اللفظة الفرنسية اشمل واعم في نواح واخص واضيق في نواح اخرى . ومن ابرز معانيها ان الرجل المتصف بهذه الصفة لا يتباهى بشيء فلا تعرفه هل هو شاعر ام خطيب مفوه ام صانع ماهر وقد يكون كل ذلك في وقت معاً . وعلى كل حال فقد ادلينا بلفظتنا العربية وكانت منتهى جهدنا في التنقيب . فان لم تصلح مفاداً فلتطلق — هنا — اصطلاحاً .

٢) « نأخذها » بصيغة الجمع اي « مونتين » و « ميره » الذي اتفقت كلمته مع پسكال على استهجان ما في شيشرون مما يجاوز الطبيعة الساذجة الصافية . وإن هو الآ ابهة ورونق . وقد وجدا ان لطافة الذوق تنفر من الثقافة البيانية التي كان يسيء استعمالها على وجه غريب اساتذة المدارس ووعاظ المنابر ومحامو البرلمان .

بين الأشياء التي جرت مجرى المثال الرديء ، ولا يعني هذا ان المثال الرديء وحيد في بابه ، بل انه متعدد الى ما لا نهاية له ، ولكن القصيدة الرديئة مثلاً ، اذا نسجت على منوال أي مثال رديء ، فهي تشبه كل الشبه امرأة تزيت على هذا المثال .

ولا يجعل العقدة الشاذة مستقبحة كنظرك الى طبيعتها ومثالها ثم تصورك امرأة او دارًا على المثال نفسه .

٣٣ — **الجمال الشعري** . كما يقال جمال شعري ، يجب ان يقال كذلك جمال هندسي ، وجمال طبي ، ولكنهم لا يقولون هذا : والسبب في ذلك انهم يعرفون غرض الهندسة ، وانه عبارة عن براهين ، ويعرفون غرض الطب ، وانه عبارة عن الشفاء ، ولكنهم لا يعرفون ماهية اللذة التي هي غرض الشعر . ولا يعرفون ما هو هذا المثال الطبيعي الذي يجب الاقتداء به . ولدى افتقارهم الى هذه المعرفة اخترعوا بعض التعابير المستغربة كقولهم : « عصر ذهبي ، اعجوبة هذا الزمن ، مقدّر الخ ... » ويسمون هذا اللغو جمالاً شعرياً .

ولكنْ من يتصوّر امرأة على هذا المثال الذي هو عبارة عن استعمال الكلمات الطنانة للتعبير عن الأشياء الحقيرة ، ير فتاة جميلة تكسوها المرائي والعقود ، فيضحك منها لاننا نعرف ما يعجب في المرأة اكثر مما نعرف ما يعجب في الشعر ، ولكن الذين يجهلون ذلك يعجبون بها على هذا الطراز . وفي بعض القرى يحسبون انها الملكة ، ونحن من اجل هذا نسمي القصائد المنظومة على هذا المثال بملكات القرى .

لا يعرفك الناس خبيراً بالشعر ما لم ترفع علامة الشاعر ، او الحسابيّ الخ... اما اهل المعرفة فلا يحتاجون الى علامة ولا يجعلون فرقاً بين حرفة الشاعر وحرفة المطرّز .

لا يُدعى اهل المعرفة شعراء ولا مهندسين الخ ... ولكنهم كل ذلك معاً ، وهم يحكمون في جميع اولئك . ليس في سمتهم ما يدل عليهم ، فاذا دخلوا على قوم ، تكلموا بكلامهم ، وانك لا تتبيّن فيهم مزية اكثر من اخرى ،

الاّ متى دعتهم الضرورة الى استعمالها . ولكنك عندئذ تتذكرها ، لان من ميزات هذا الطبع ايضاً ، ان لا يقال عنهم انهم يحسنون الكلام اذا كان البحث لا يتناول الحديث ، وان يقال عنهم انهم يحسنونه متى تناول البحث ذلك ، واذن انه لثناء كاذب يوجه الى رجل ، ان يقال عنه عند دخوله انه بارع في الشعر . وانها لعلامة سيئة الاّ يحتكم الى رأي رجل اذا قضت الحال في ان يحكم في بعض ابيات من الشعر .

٣٥ – يجب الاّ يقال في رجل انه حسابي ، او واعظ ، او بليغ بل انه رجل اديب (honnête homme) [1] . وهي الصفة الوحيدة التي تعجبني. انها لعلامة سيئة ان ترى رجلاً فتتذكر كتابه ، واودّ لو انك لا تتبيّن اي مزية في رجل ما لم تجتمع اليه وتلمسها في معرض مزاولته لها – (« في الافراط مضرّة ») – . يجب الاّ تطغى مزية وتسمه بسمتها ، لا تفكر ابداً في انه يحسن الكلام ، ما لم يكن وقت حسن الكلام ، ولكن عليك عندئذ ان تفتكر في ذلك .

٣٦ – الانسان كلّه حاجات: فهو لا يحب الاّ من يسدّها جميعاً . يقولون : هذا حسابيّ قدير – ولكن مالي والحساب : فقد يظنني قضية حسابية . ويقولون : هذا محارب بارع – وقد يحسبني حصناً تحت الحصار . ما يلزمني اذن : رجل أديب يستطيع ان يألف حاجاتي عموماً .

٣٧ – **بعض من كل** . بما انك لا تقدر ان تكون شاملاً ، وان تعرف كل ما تمكن معرفته من كل شيء ، فاعرف من الكل بعضه ، فاجمل لك ان تعرف البعض من كل شيء من ان تعرف الكل من شيء واحد ، ان هذا الشمول لاجمل ، فلو تيسر لك الامران لكان افضل لك ، ولكن اذا تعيّن الخيار ، فاختر هذا ، فهو ما يشعر به ويعمله الناس ، والناس مصيبون في الحكم غالباً .

---

١) راجع حاشية الخاطرة رقم ٣٠ .

٣٨ – شاعر لا انسان أديب .

٣٩ – اذا انقضّت الصاعقة في امكنة منخفضة الخ ... فان الشعراء والذين لا يعرفون التفكير الا في اشياء هذه الطبيعة ، قد يفتقرون الى براهين .

٤٠ – يستشهدون بالامثال لاقامة البرهان على اشياء اخرى. فاذا شاءوا اقامة البرهان على الامثال استشهدوا بالاشياء الاخرى لتكون للامثال امثالاً . لانهم اذ يعتقدون ابداً ان الصعوبة هي في ما يريدون اقامة البرهان عليه ، فهم يرون ان الامثال اكثر ايضاحاً له وأدلّ عليه .

فاذا ما اردت بيان امر كلي وجب ان تضع قاعدته الخاصة . اما اذا اردت بيان حالة خاصة وجب ان تشرع في القاعدة الكلية ، لانك تجد الشيء الذي تريد اقامة البرهان عليه غامضاً ابداً وتجد الشيء المستعمل للبرهان واضحاً ، اذ متى قصدت ان تبرهن عن شيء ، يملأ نفسك التصور ان هذا الشيء لا بدّ غامض ، وبالعكس ان ما يقيم البرهان على هذا الشيء واضح ، وعلى هذه الصورة تدركه بسهولة .

٤١ – **أهاجي مارسيال** . الانسان يحب الخبث ، ولكنه لا يتخبث على العور والتعساء بل على السعداء المتشامخين ، وقد اخطأ من ظن غير ذلك .

لان الشهوة مصدر حركاتنا كلّها ، كذلك الانسانية[1] .

يجب ارضاء من تحلوا بشعور الرفق والانسانية .

ان أهجيّة الاعورين لا تساوي شيئاً لأنها لا تعزيهما[2] . وما كانت الاّ لتطعن في مجد المؤلف ، وما ينحصر في المؤلف لا يساوي شيئاً .

٤٢ – يروقك ان تسمي الملك اميراً ، لانك تنقص من صفته .

٤٣ – يقول بعض المؤلفين اذ يتكلم عن مؤلفاته : « كتابي ، شرحي ، تاريخي ، الخ » كأنهم المتحضرون الذين اذا ملكوا منزلاً لا ينفكون يرددون

١) يبدو ان ما يقصد اليه پسكال هو ان يدلل على ان الشهوة والانسانية يجب ان تتلاقيا . فالشهوة تجر الخبث والانسانية تقصره على السعداء المتشامخين .

٢) الماع الى اهجية تتناول عورات الجسد ومصائب الناس التي لا يد لهم في إتقائها .

« في بيتي » . وما كان احراهم ان يقولوا : « كتابنا ، شرحنا ، تاريخنا الخ ... » لان فضل الغير في ذلك ينوف على فضلهم عادة .

٤٤ — أتريد ان يقول الناس فيك خيراً ؟ لا تقله عن نفسك .

٤٥ — اللغات ارقام ، لا تستبدل فيها الاحرف باحرف بل الكلمات بكلمات ، حتى انه باستطاعتك ان تقرأ لغة تجهلها .

٤٦ — الكلمات المعسولة تنم عن الخلق الرديء .

٤٧ — من الناس من يجيد الكلام ولا يجيد الكتابة . ذلك ان المكان او المحضر ينفحهم بحرارة ويستخرج من اذهانهم ما لا يستطيعونه بغير تلك الحرارة .

٤٨ — اذا انطوى خطاب على كلمات متكررة حاولت اصلاحها فوجدت انها من الاحكام بحيث انك تشوه الخطاب لو اقتطعتها منه ، فأبق عليها لان في عجزك عن استبدالها دليلاً على صلاحها .

وهنا مجال للحسد ، فانه اعمى يجهل ان هذا التكرار غير معيب في هذا المقام ، اذ ليست القاعدة كلية .

٤٩ — تقنيع الطبيعة وتنكيرها . لا يقولون ملك وبابا واسقف ، بل سلطان جليل الخ ... ولا يقولون باريس بل عاصمة المملكة : يجب ان تدعى باريس باسمها في بعض الاحيان ، وعاصمة الملك في احيان اخرى .

٥٠ — يتغيّر المعنى الواحد باختلاف الكلمات التي تعبر عنه . تأخذ المعاني شرفها من المباني بدلاً من ان تنفحها بها ، يجب اعطاء الامثال عن ذلك...

٥١ — المتشكك كالمعاند .

٥٢ — لا يقول « هذا على مذهب ديكارت » الاّ الذين ليسوا على مذهبه ، ولا يقول « هذا دعيّ علم » الاّ الدعيّ ، او « اقليمي » الا الاقليميّ ، وأراهن ان المطبعي هو الذي ادرج ذلك تحت عنوان : رسائل الى اقليميّ .

٥٣ — عربة مقلوبة او منقلبة بحسب ما تكون قد قلبت عن قصد او غير قصد ، وكذلك : اراق وسكب ، بحسب القصد او عدمه — (دفاع « لومتر » عن المترهب عنوة) .

٥٤ — **اسلوب في الكلام** : كنت اردت ان اجتهد في هذا .

٥٥ — خاصة المفتاح الفتح وخاصة الكُلابة الجذب .

٥٦ — الحزر : « اني اشترك في كربك » ، لم يكن حضرة الكردينال ليريد ان يُحزَر ، —

« ان ذهني مفعم بالقلق » — الافضل ان يقال اني مفعم بالقلق .

٥٧ — تسوءني ضروب الاطراء هذه : « لقد اجهدتك ، اخشى ان اضجرك ، اخاف ان اكون قد اطلت عليك » — فاما ان تكون قد استهويت واما ان تكون قد اغضبت .

٥٨ — لا مجال لقولك : « ارجو منك المعذرة » — فلولا هذه المعذرة لما بدا لي ان ثمة اهانة . (...) ليس اقبح من معذرة اهل التبجيل .

٥٩ — « أطفأ مشعل الفتنة » : افراط في الزخرفة .

« قلق عبقريته » : كلمتان فذتان ، ان هذا لكثير .

القسم الثاني

شقاء الإنسان بدون الله

٦٠ — **الجزء الاول** : شقاء الانسان بدون الله .

الجزء الثاني : سعادة الانسان مع الله .

او :

الجزء الاول : في ان الطبيعة فاسدة . (بدليل الطبيعة نفسها.)

الجزء الثاني : في ان ثمة منقذاً . (بدليل الكتاب .)

٦١ — **ترتيب** : كنت اود لو عالجت مبحثي مرتباً على الوجه الآتي :

لبيان اباطيل حالات البشر على اختلافها ،

لبيان اباطيل الحياة العادية ثم اباطيل الحياة الفلسفية والتشككية والتقشفية .

ولكن هذا الترتيب لا يراعى ، واني لاعرف كم هو ضئيل عدد من يفهمونه . ليس باستطاعة اي علم بشري ان يراعيه : ان القديس توما لم يراعه ، اما الطريقة الرياضية فانها تراعيه ، ولكنها على عمقها لا تأتي بفائدة[1].

---

١) يستشهد پسكال بالقديس توما على انه ممثل الفلسفة الكلامية الارجح . ان الترتيب في الفلسفة الكلامية عبارة عن تقسيم للمسألة الواحدة يتفرع عنه تقسيمات لا نهاية لها . فيتجابه النفي والايجاب. ويقوم الدليل على قضية ثم يُدحض بواسطة قياسات تنتظم في معسكرين . ان برهنة كهذه لا تجد اصولها في الفكر ، ولا تبين كيف تتولد حقيقة من الحقائق في الانسان ولا سلطة لها على فرض التصديق . وهذا ما حمل « ديكارت » وبعده « پسكال » على نبذ هذه الطريقة والاستعاضة عنها بالطريقة الرياضية التي يريان انها صورة امينة عن حركة العقل . وفي الوقت الذي يطرح فيه پسكال الطريقة الرياضية لعدم فائدتها على عمقها ، فهو لا يتمالك من الاعجاب بما تنطوي عليه من الترتيب المنطقي الذي تؤدي معرفته ومراعاته الى نجاح مشروعه التقوي .

٦٢ — **مقدمة الجزء الاول** . الكلام عن الذين بحثوا في معرفة الذات ، عن تقسيمات « شارون » التي تحزن وتضجر ، عن غموض مونتين ، عن كونه شعر بافتقاره الى طريقة متناسقة فتحاشاها بأن قفز من قضية الى أخرى ، ما أشد حمقه اذ يحاول تصوير نفسه ! وما فعل ذلك عرضاً ومناقضة للمبادئ التي قالها بها — وهي زلة يحدث ان يقع فيها جميع الناس — بل فعل ذلك بالاستناد الى مبادئه نفسها وبقصد توخاه اولاً واساساً : انه لشرّ عادي ان تقال السخافات مصادفة او ضعفاً ، واما ان تقال قصداً فمما لا يطاق ولا سيما اذا جاءت على هذا الغرار .

٦٣ — **مونتين** . ان عيوب مونتين لكبيرة : كلمات متعهرة — هذا لا قيمة له على رغم الآنسة دي غورناي[1] ؛ سريع التصديق (بشر بلا اعين) ؛ جاهل (تربيع الدائرة — عالم اوسع) ؛ شعوره بشأن القتل قصداً ، والموت ؛ توانيه في مسألة الخلاص (لا خشية ولا ندامة) .

ولمّا كان كتابه لم يصنف بقصد الدعوة الى التقوى ، فلم يكن ملزماً بها ، ولكنه ملزم بألاّ يصرف الغير عنها .

يمكن ان يُعذر على ميوله المنطوية على شيء من الحرية والتهتك في بعض مصادفات الحياة . ولكنه لا يمكن ان يُعذر على ميوله الوثنية المحضة بصدد الموت . لانه يجب ان ننصرف عن كل تقوى اذا شئنا على الأقل ان نموت ميتة مسيحية ، والحال انه لا يفكر في مجمل كتابه الاّ في ان يموت ميتة الكسل والتواني .

٦٤ — ليس في مونتين ، بل في ذاتي اجد ما اراه فيها .

٦٥ — ما في مونتين من حَسَنٍ لا يستطاع تحصيله الاّ بصعوبة . وما فيه من قبيح — فيما خلا الأخلاق — يمكن اصلاحه بلحظة ، لو نُبّه الى انه يخلق كثيراً من المشاكل وانه يفرط في الكلام عن نفسه .

---

١) الآنسة دي غورناي من المعجبات بمونتين اخذت على نفسها ان تدافع عن نظريته الجريئة عن اميال الحب .

٦٦ — معرفة النفس لازمة . فاذا لم تساعد على معرفة الحقيقة ، فلا اقل من أن تساعد على تنظيم الحياة ، وما من شيء اكثر عدلاً من هذا .

٦٧ — **اباطيل العلوم** . علم المسائل الخارجيـــة لا يعزيني عن جهل الخلقيات في ابان الشدّة ، ولكن علم الاخلاق يعزيني ابداً عن جهل العلوم الخارجية .

٦٨ — لا يمكنك تعليم الناس ان يكونوا ادباء . ولكنك تعلمهم كل شيء آخر ، وهم لا يهمهم اي شيء كان مثلما يهمهم ان يكونوا ادباء . ولا يهمهم ان يعرفوا الاّ ما لم يتعلموه .

٦٩ — **لانهايتان ، وسط** . اذا قرأت وافرطت في العجلة او التمهل فلن تسمع شيئاً .

٧٠ — **الطبيعة لا ت...** لقد وسطتنا الطبيعة بدقـــة بحيث لو أبدلنا احدى كفتي الميزان لأبدلنا الكفة الأخرى معاً : « انني نعمل . البهائم يركض »[1] . وهذا ما يجعلني اعتقد ان في رأسنا نوابض هي من التلازم بحيث ان من مس احدها فقد مس نقيضه .

٧١ — اكثار واقلال من الخمر : لا تعاطه اياها ، فلن يستطيع معرفة الحقيقة . اعطِهِ منها وافرط ، تنتهِ الى النتيجة نفسها .

٧٢ — **عدم التناسب في الانسان** . (انظر الى اين تنتهي بنـــا المعارف الطبيعية . فان لم تكن حقيقية فما من حقيقة في الانسان ، وان كانت حقيقية فهو يجد فيها مجالاً واسعاً للضعة ، اذ يُكره على ان يتصاغر في كلا الحالين . وبما انه لا يستطيع الاستقرار دون ان يعترف بها ، فاني اتمنى قبل ان يتوسع

---

(١) ورقة المخطوطة مقطوعة ... nature ne p والمعنى هو : ان الطبيعة لا تستطيع الوقوف عند الأقاصي — ان ناموس الاهتزاز هذا انما هو صورة عن حركة التوازن في نظامنا العقلي . وقد اعطى عنه پسكال المثل المستغرب الآتي : كان من المألوف في بعض اللهجات الاقليمية الفرنسية ان يأتي فعل الفاعل المفرد بصيغة الجمع في حين ان اللغة اليونانية تفرض استعمال الفعل المفرد مع اسماء الجمع مذكرة او مؤنثة على ما يستدل من قولهم : البهائم يركض .

في بحث الطبيعة ، لو تأملها مرة بجد وتؤدة ، ونظر الى نفسه ايضاً ليرى اية نسبة ...)

فليتبصر الانسان الطبيعة كلها، في سامي وملء جلالها. وليُقص بصره عن الاشياء الدنيا المحيطة به ، لينظر الى هذا الضياء الساطع الموضوع كمشعل ازلي لانارة الكون. ولتظهر له الأرض كنقطة في مجال الدورة الواسعة التي يرسمها ذلك الكوكب ، وليأخذه العجب من ان هذه الدورة الواسعة نفسها ان هي الا سن دقيقة تجاه الدورة التي تحتضنها الكواكب المتدحرجة في السماء. وان وقف بصرنا عند هذا الحد فلتتجاوزه المخيلة: فانها لتَهِن في الاستيعاب ولا تهن الطبيعة في العطاء. وما كان هذا العالم المنظور جميعه الا خطاً يمر لمحاً في رحائب الطبيعة ، التي لا يدانيها فكر من الافكار. ومهما ضخّمنا مداركنا الى ما وراء الفلوات التخيلية ، فلسنا نلد الا ذرات مقابل حقيقة الأشياء ، وانها لكرة لامتناهية ، مركزها في كل مكان ، ولا يعي دائرتها مكان . ومن اعظم صفات الجبروت المحسوسة في الله عز وجل، ان تكون مخيلتنا من هذه الفكرة في تيه . وليتأمل الانسان ، وقد ثاب الى نفسه، في ما هو ، تجاه ما هو كائن . ولينظر الى نفسه ضالاً في هذه الزاوية المنعزلة من الطبيعة ، ومن هذا الكوخ الحقير الذي وجد ثاوياً فيه ، واعني الكون ، فليتعلم ان يقدر الارض ، والممالك ، والمدائن ، ونفسه بالقدر الحقيقي.

— اي شيء هو الانسان في اللانهاية ؟

ولكي تظهر له معجزة اخرى على هذا الجانب من الروعة ، ليبحث في كل ما يعرف عن اصغر الأشياء ، فليتمثل اصغر دويبة في حقارة هيكلها ، باعضاء اصغر فاصغر ، وقوائم ذات مفاصل وعروق في المفاصل ، ودم في العروق ، واخلاط في هذا الدم ، وقطرات في تلك الاخلاط ، وابخرة في هذه القطرات ، وليجزئ ايضاً هذه الاشياء الصغيرة وليستنفد قواه في هذه التصورات . وليكن آخر الاغراض التي استطاع الانتهاء اليه غرض بحثنا الآن ، فقد يدور في خلده عندئذ ان هذا ابعد ما تنتهي اليه الطبيعة

في الصغر ، اني اريد ان اريه ضمن هذا هاوية جديدة ، لا اريد ان اصف له العالم المنظور فحسب ، بل ما يمكن تصوره من عظم اتساع الطبيعة في قلب هذه الذرة المصغرة ، فلير َ فيها عدداً لا نهاية له من الاكوان لكل كون منها سماؤه ، وكواكبه ، وارضه على نسبة ما في العالم المنظور ، وفي هذه الارض بهائم وفي النهاية دويبات يجد فيها ما في الاولى ، وليجد ايضاً في الأخرى ما وجده في هذه ، وهكذا دون ما نهاية ولا راحة ، وليتَـهُ في هذه الآيات التي تدهش بصغرها كما تدهش الأخرى باتساعها ، اذ من لا يعجب من ان جسدنا الذي ما كان ، قبل هنيهة ، ليقع تحت الحواس وما كان بحد ذاته محسوساً في مشتمل الكل ، قد اصبح الآن نصباً عظيماً وعالماً ، بل اصبح كلاً تجاه العدم الذي لا يمكن الانتهاء اليه .

من يتأمل ذاته على هذه الصورة يرتعب من ذاته ، واذ يرى نفسه متحيزاً ضمن الجرم الذي منحته الطبيعة اياه مستنداً فيه على هاويتي اللانهاية والعدم ، فانه ليرتعد من منظر هذه العجائب واحسب ان فضوله يتحول آنئذ الى اعجاب فيصبح اكثر استعداداً لان يتأملها بصمت من ان يبحث عنها بازدهاء .

وبعد فأي شيء هو الانسان في الطبيعة ؟ انه عدم تجاه اللانهاية ، وكلٌ تجاه العدم ، ووسط بين اللاشيء والكل . واذ كان في منتهى البعد عن ادراك النهايات ، فان غاية الأشياء ومبادئها مصونة عنه اقتداراً في سر لا يدرك ، وان عجزه عن رؤية العدم الذي استخرج منه كعجزه عن رؤية اللانهاية التي تغتمره .

فما عساه ان يفعل سوى ان يلمح بعض المظاهر من وسط الأشياء ، وهو في يأس أبدي من معرفة مبدئها وغايتها ؟ جميع الاشياء خرجت من العدم ودفعت حتى اللانهاية . من يستطيع تتبّع هذه المراحل العجيبة ؟ ان مبدع هذه المعجزات ليدركها ولا يدركها غيره احد .

ان البشر ، لأنهم لم يتأملوا هذه اللانهايات ، قد انطلقوا دون رويّة

للبحث عن الطبيعة كأن ثمة وجهاً لأن يقيسوا انفسهم بها . ومن الغرابة انهم شاؤوا تفهم مبادئ الأشياء والتخطي منها الى معرفة كل شيء بغرور يضاهي غرض تلك الأشياء في لانهايته اذ لا شك في ان هذا القصد لا يتوخاه الاّ من كان على جانب من الغرور او كان يضاهي الطبيعة في لانهاية اقتدارها .

من كان خبيرًا أدرك ان الطبيعة التي رسمت صورتها وصورة مبدعها في الاشياء كلـّها قد ربطت بلانهايتـَيها معظم هذه الأشياء . وهكذا نرى ان جميع العلوم لامتناهية في مجال مباحثها ، اذ من يشك في ان للهندسة مثلاً لانهايةً لانهاياتٍ من القضايا معروضة او ستعرض ؟ تلك القضايا لا نهاية لها ايضاً في تعدد المبادئ ودقتها ، ومن لا يتبيـّن ان المبادئ المقول انها الأخيرة لا تتساند بنفسها ، وانها تستند الى غيرها التي تحتاج الى سند غيرها ايضاً ، ولا تطيق نهاية البتة ؟ بيد اننا نعالج الاخيرة التي تواجه العقل معالجتنا الأشياء المادية ، اذ نسمـّي نقطة غير متجزئة النقطة التي لا ترى الحواس شيئاً وراءها ، على كونها متجزئة الى ما لا نهاية له ومتجزئة بطبيعتها .

وبين لانهايتي العلوم نرى ان لانهاية الكبر اقرب جدًا الى المحسوس . وهذا ما جعل فئة قليلة من الناس يزعمون معرفة الأشياء كلها ، وقد قال ديموقريتوس : سأتكلم عن كل شيء .

على ان اللانهاية في الصغر اخفى عن البصر . لقد زعم الفلاسفة انهم سيدركونها ، وهنا تعثّروا جميعاً . وهذا ما افضى الى تلك العناوين الكثيرة الابتذال : « في مبادئ الاشياء — في مبادئ الفلسفة » والى غيرها مما يماثل في زخرفته هذا العنوان « Deomni scibili » الذي يفقأ العين .

نعتقد ، بحكم الطبع ، اننا اقدر على الوصول الى مركز الأشياء منّا على احتضان دائرتها . ان مدى العالم المنظور يفوقنا بصورة منظورة ، ولكن بما اننا نتفوق على الاشياء الصغيرة ، نعتقد اننا اقدر على استيعابها ، في حين ان قدرة الوصول الى العدم يجب الاّ تكون دون قدرة الوصول الى الكلّ .

بل يجب ان تكون لامتناهية في كلا الحالين . ويلوح لي ان من يتفهم آخر مبادئ الاشياء ، يستطيع كذلك التوصل الى معرفة اللانهاية ، فالواحد منهما مرتبط بالآخر وأحدهما ينتهي الى الآخر . وهذان الاقصيان يتلامسان ويجتمعان لفرط ما يتباعدان ، ويتلاقيان بالله ، بالله وحده .

فلنعرف مدانا اذن . اننا شيء من الاشياء ولسنا كل شيء . ان ما نملك من كينونة يحجب عنا معرفة المبادئ الاولى المولودة من العدم ، واليسير الذي نملكه منها يستر عنّا منظر اللانهاية .

يحتل عقلنا في مصاف الاشياء المعقولة المرتبة نفسها التي يحتلها جسدنا في امتداد الطبيعة .

اننا لمحدودون في كل شيء . وهذه الحالة التي تتوسط الاقصيين كائنة في جميع قوانا . ان حواسنا لا ترى شيئاً قصياً ، الفرط في الضجيج يصمّنا ، والفرط في الضياء يبهرنا ، والفرط في البعد او القرب يحول دون النظر ، والفرط في الاسهاب او الايجاز يجعل الخطاب غامضاً . فرط الحقيقة يروعنا : (اعرف من الناس من لا يفهمون كيف انك تطرح ٤ من صفر فيبقى لديك صفر) . المبادئ الاولى تفعمنا باليقين . والفرط في اللذة يزعج ، والفرط في الايقاع الموسيقي يُستقبح . والفرط في الاحسان يثير الحفيظة فتودّ لو ان لديك ما تفي فوق دينك . نحن لا نشعر لا بالحرارة القصوى ولا بالبرودة القصوى ، الصفات المتطرفة عدوة لنا فلا نحسها : اننا لا نشعر بها بل نكابدها . ريّق الشباب ومنحنى الشيخوخة يحجبان الفكر ، كذلك كثرة العلم ويسيره ، واخيراً ان الاشياء المتطرفة هي بالنسبة الينا كأنها لم تكن ، ونحن بالنسبة اليها كأننا لم نكن ، فهي تفوتنا او نفوتها نحن .

تلك هي حالنا الحقيقية ، وهذا ما يجعلنا عاجزين عن المعرفة الاكيدة وعن الجهل المطلق ، نحن مبحرون في وسط رحب ، ابداً قلقون حيارى ، مندفعون من طرف الى طرف آخر ، ما ان ننتهي الى مستقَرّ ونحسب اننا تمسكنا به ورسونا حتى يتهزّز وينهزم . فاذا ما تأثرناه تفلت من متناولنا

وزلّ وفرّ فرارًا ابدياً . لا نستوقف شيئاً ليقف ، وهذه الحال هي حالنا الطبيعية ولكنها اكثر ما تكون معاكسة لهوانا . نتحرق لنجد قاعدة ثابتة واساساً اخيرًا دائماً فنشيد فوقها برجاً يتسامى حتى اللانهاية ، ولكن اساسنا ينهار بكليته ، وتنفتح الارض حتى اجوافها القصوى .

فلا نبحثنّ اذن عن ضمان وثبات . ان عقلنا ليخيب ابدًا بتقلبات المظاهر ، ليس باستطاعة شيء ان يُثبّت المتناهي بين اللانهايتين فهما تحصرانه وتفران منه .

واني احسب ، وقد ادرك الناس كل هذا ، انهم يستقرون ، كل في الحالة التي خصته بها الطبيعة . واذ كان هذا الوسط الذي قسم لنا بعيدًا ابدًا عن الاقصيين ، فما الفائدة ان تزيد معرفة الانسان قليلاً بالاشياء ؟ فاذا كانت له هذه المعرفة تناول الاشياء من علو يرتفع به قليلاً : اما يزال ابدًا بعيدًا الى ما لا حدّ له عن النهاية ، اما يزال اجلنا ضئيلاً في اللانهاية اذا ما اضيفت اليه عشر سنوات ؟

في معرض هذه اللانهايات تتساوى النهايات جميعاً ، ولست ارى ما يدعونا الى تركيز مخيلتنا على واحدة دون اخرى . ان مجرد مقابلتنا انفسنا بالمنتهى ليؤلمنا .

لو درس الانسان نفسه اولاً لتبيّن له كم هو عاجز عن مجاوزة هذا الدرس . كيف يمكن الجزء ان يعرف الكلّ ؟ — قد يطمح على الاقل الى معرفة الاجزاء التي تتناسب معه — على ان اجزاء الكون جميعها هي من العلاقة والترابط بحيث ارى مستحيلاً معرفة احدها دون الآخر ودون معرفة الكل .

فللانسان مثلاً علاقة بكل ما يعرف . فهو يحتاج الى المكان ليحتويه ، والى الوقت ليبقى ، والى الحركة ليعيش ، والى الاجزاء ليتركب منها ، والى الحرارة والطعام ليتغذى ، والى الهواء ليتنفس ، يرى النور ويلمس الأجرام ، واخيرًا كل شيء يتحد به . فلكي نعرف الانسان يجب ان نعلم لماذا هو

يحتاج الى الهواء ليبقى . ولكي نعرف الهواء ان نعلم من اية ناحية له هذه العلاقة بحياة الانسان الخ ... الشعلة لا تستمر بدون الهواء ، فلكي تعرف احدهما اذن وجب ان تعرف الآخر .

واذ كانت جميع الأشياء مسبِّبة ومسبَّبة، مساعِدة ومساعَدة، مباشرة وغير مباشرة ، وكانت جميعها متصلة برباط طبيعي غير محسوس يربط ابعدها واكثرها اختلافاً ، فاني اجزم باستحالة معرفة الاجزاء دون معرفة الكل او معرفة الكل دون معرفة الاجزاء بوجه خاص (ان ابدية الأشياء بذاتها او بالله يجب ان تدهش ايضاً اجلنا القصير . وسكون الطبيعة الثابت الدائم اذا ما قوبل بالتغير المستمر الحادث فينا ، يجب ان يحدث الاثر نفسه) .

والذي يكمّل عجزنا عن معرفة الاشياء هو انها بسيطة بذاتها واننا مركبون من طبيعتين متناقضتين ومختلفتي النوع : النفس والجسد . والواقع انه يستحيل ان يكون الجزء المفكر فينا الاّ روحانياً ، ومتى زعموا اننا جسديون فحسب ، فهذا ممّا ينفي عنا اكثر فاكثر معرفة الأشياء ، اذ ليس ما ينافي المعقول كالقول ان المادة تعرف نفسها ، فليس باستطاعتنا ان نعرف كيف تعرف نفسها .

وعلى هذا فاذا كنا ماديين وحسب ، فليس بمقدورنا ان نعرف شيئاً ، واذا كنا مركبين من روح ومن مادة فلا نقدر ان نعرف تمام المعرفة الأشياء البسيطة روحانية كانت او مادية . وهذا ما يجعل ان معظم الفلاسفة يخلطون في تصوّر الاشياء ، فيتكلمون روحياً عن الامور الجسدية وجسدياً عن الامور الروحية ، لانهم يقولون بجسارة ان الاجسام تميل الى تحت وتنزع الى مركزها وتتهرب التلف وتخشى الفراغ ، وان للمادة ميولاً وانجذاباً وكراهية ، وهذا جميعه لا يختص الاّ بالارواح . واذا ما تكلّموا عن الارواح اعتبروا انها في مكان ونسبوا اليها الحركة من مكان الى آخر ، وتلك الامور لا تختص الاّ بالاجساد .

وعوضاً عن ان نتصور هذه الاشياء تصوراً ناصعاً ، فاننا نصبغها

بخصائصنا ونطبع بمركبنا جميع الاشياء البسيطة التي نشاهدها . ترى من ذا الذي يرانا نركب جميع هذه الاشياء من روح وجسد ولا يحسب ان هذا المزيج لممّا ندركه ادراكاً تاماً ؟ والحال انه الامر الذي قلّما ندركه . الانسان بذاته اعجب كائنات الطبيعة ، لان ليس بامكانه ان يتصور ماهية الجسد واقل من هذا ماهية الروح واقل من اي شيء كان كيف يمكن الجسد ان يتحد بالروح . وهذا الامر غاية مصاعبه مع انه كينونته نفسها .

ولكي اقيم آخر دليل على ما بنا من ضعف، اختم بهذين الاعتبارين ...

٧٣ — ولكن هذه المسألة قد تجاوز مدى العقل . فلندرس اذن ما ابتدعه تجاه الامور الواقعة في نطاق قدرته . لئن كان ثمّة امر تقضي على الانسان مصلحته بان يبذل المستطاع فى سبيله فهو بحثه عن خيره الاسمى . فلنرَ اذن اين احلته تلك العقول القوية النيرة وهل هي متوافقه بشأنه .

يقول البعض ان الخير الاسمى هو في الفضيلة ويضعه الآخر في الشهوة، ويقول احدهم انه في علم الطبيعة وآخر انه في الحقيقة ، وآخر في الجهل المطبق، وآخر في التواني ، ويقول آخرون انه في مقاومة الظواهر وآخرون في عدم التعجب من شيء ، والمتشككون الحقيقيون في جمودهم وتشككهم وحيرتهم الدائمة ، وآخرون ، اكثر حكمة ، يظنون انهم واجدون ما يكاد يفضل هذا كلّه .

ولئن كانت هذه الفلسفة الجميلة لم تنته الى شيء أكيد بعد عمل بلغ هذه الدرجة من الطول والجهد ، فلنر على الأقل هل كان بامكان النفس ان تعرف ذاتها . ولنستمع الى مدبري العالم بهذا الصدد ، ماذا يعتقدون في جوهرها ؟ هل كانوا اكثر توفيقاً في تعيين مكانها ؟ ماذا وجدوا عن اصلها وديمومتها ومصيرها ؟

ترى ، هل موضوع النفس اسمى من ان تطاله انوارها الضئيلة ؟ فلننزل بها الى المادة اذن، ولنر هل هي تعرف من اي شيء صُنِع الجسم الذي تحييه والاجسام الأخرى التي تشاهدها والتي تحركها على هواها . ماذا عرف من هذا اهل البدع الذين لا يفوتهم شيء ؟

لا شك ان بذلك كفاية لو كان العقل متعقلاً . على ان به من التعقل قدرًا كافياً يعترف معه بانه لم يجد بعد شيئاً اكيدًا . ولكنه لم يقنط بعد من بلوغ الغاية ، وبالعكس فهو ما كان يوماً اكثر منه تلهباً في بحثه ، وهو موقن بان فيه القوى اللازمة في سبيل هذا الفتح . وعليه اذن ان يتمـّه، وبعد ان نتفحـّص قواه في نتائجها ، فلنعترف بها بحد ذاتها . ولنر هل فيه ما يمكـّنه من تناول الحقيقة .

٧٤ — رسالة في جنون العلم البشري والفلسفة .

هذه الرسالة قبل اللهو .

مايتان وثمانون وجهاً من وجوه الخير الأسمى عند مونتين .

٧٥ — (حدس . ليس من الصعب ان ننزل بها درجة واحدة، ونظهرها بمظهر الهزء) .

هل هنالك اسخف من القول ان للاجسام الجامدة اهواء ومخاوف ومكاره ؟ وان لأجسامٍ لا حسّ فيها ولا حياة ، حتى انها غير قابلة للحياة ، اهواء تفترض وجود نفس تستشعر هذه الاهواء ؟ وان موضوع تلك الكراهية الفراغ ؟ على اي شيء يحتوي الفراغ ممّا يخيفهم ؟ هل احط من هـــذا واسخف ؟ وحَسْبُها تحتوي بذاتها على ناموس الحركة لتتقي الفراغ : فهل لها سواعد وارجل وعضلات واعصاب ؟

٧٦ — يـُكتـَب ضد من يفرطون في التبحر فى العلوم . ديكارت .

٧٧ — لا استطيع ان اغفر لديكارت ، فقد كان بوده ، في مجمل فلسفته ، لو انه استغنى عن الله، ولكنه لم يتمالك من ان يعترف له بضربة من اصبعه ليحرّك الكون ، وبعد ذلك صرف النظر عنه .

٧٨ — ديكارت غير مفيد ومتردد .

٧٩ — (**ديكارت** . يجب ان نقول بوجه التعميم : « يحدث ذلك بواسطة الرسم والحركة » . لان ذلك صحيح ، ولكن ان نقول بايهما قد حدث ، ثم ان نركب الآلة فمماً يستوجب الهزء ، لان في ذلك عدم فائدة وتردد ومشقة ، ومتى كان ذلك صحيحاً فلا نرى ان كل الفلسفة تستحق ساعة عناء)[1] .

٨٠ — ما السبب في ان اعرج لا يغيظنا في حين ان عقلاً اعرج يغيظنا ؟ ذلك لأن الاعرج يعترف ان مشيتنا مستقيمة ولأن العقل الاعرج يقول اننا نحن الذين نعرج ، ولولا هذا لاستوجب شفقة لا غضباً .

ان ابيتاكتوس يسأل بصورة اشد : « لماذا لا نستاء من قولهم اننا موجعو الرأس ونستاء من قولهم ان تفكيرنا رديء او ان اختيارنا رديء » . سبب ذلك اننا موقنون باننا لا نشكو صداعاً ولا عرجاً ، ولكننا اقل تيقناً باننا نختار الصواب ، ومن اجل اننا لا نتأكد منه الاّ بسبب اننا نراه بملء العين بينما يرى آخر العكس بملء عينه ، فان ذلك ليوقعنا في حيرة وفي دهشة تزدادان ايضاً عندما نرى ان الوفاً آخرين يهزأون من اختيارنا ، والحال يجب ان نفضل انوارنا على انوار كثيرين آخرين ، وان في ذلك لجرأة وصعوبة . ان هذا التناقض لا يحدث في حواس الأعرج .

٨١ — الفكر بطبيعته يؤمن ، والارادة بطبيعتها تحب ، حتى انه اذا انعدمت الأغراض الحقيقية كان لا بدّ ان يتعلقا بالاغراض الكاذبة[2] .

٨٢ — **المخيّلة** . هي ذلك الجزء الخلاب في الانسان ، تلك المعلّمة الضلال والخطأ ، التي اخدع ما فيها انها لا تخدع دائماً ، فلو هي كانت قاعدة للكذب معصومة ، لكانت كذلك للحقيقة . ولكنها ، وهي المخطئة غالباً لا تتسم بما يدل على سجيتها بل تسم الحق والباطل بطابع واحد .

---

١) في نظر پسكال ان باستطاعة الانسان ان يعرف الكون ، ولكن هذا الكون ابكم لا يقود الى الله . واذن فمعرفة الانسان به عقيمة .

٢) يعني پسكال ان طبيعتنا معرفة كلها وحب كلها ، وان اخطاءنا وشقاوتنا ناشئة عن كون البيئة التي نعيش فيها ليس باستطاعتها ان ترضي تعطشنا للمعرفة وحاجتنا للحب .

لا اتكلم عن المجانين بل عن الاكثر تعقلاً ؛ ان للمخيلة بين هؤلاء صولة في اقناع الناس . ومهما علا صراخ العقل فلا يستطيع ان يعطي الأشياء مقاديرها .

هذه القدرة المختالة ، عدوة العقل ، التي يحلو لها ان تراقبه وتتسلط عليه لتظهر مبلغ اقتدارها في كل شيء ، قد جعلت في الانسان طبيعة ثانية . وان لها سعداءها وتعساءها واصحاءها ومرضاها واغنياءها وبؤساءها . وهي التي تجعلك تؤمن وتشك وتنكر العقل . تعلّق الحواس ، وتجعلها تحسّ . وان لها مجانينها وعقلاءها ، ولا شيء يغيظنا اكثر من ان نرى انها تفعم ضيوفها بارتياحٍ أملأ وأتمّ مما يتيحه لهم العقل . اهل المهارة الخياليون اكثر عجباً بانفسهم من اهل الاحتراس المتعقلين . انهم ينظرون الى الناس بسلطان ، ويغالبون بجرأة وثقة ، على حين يغالب الآخرون بخشية وحذر ؛ وتلك الطلاقة في الوجه ترجّح غالباً كفتهم في رأي السامعين لشدة ما للعقلاء الخياليين من العطف لدى القضاة المشاكلين لهم في الطبائع . لا تستطيع المخيلة ان تجعل من المجانين عقلاء . ولكنها تجعلهم سعداء ، فيحسدها العقل اذ لا يقدر ان يجعل اصدقاءه الا اشقياء ، فتغمرهم بالمجد بينما هو يغمرهم بالخجل .

من يوزع الشهرة ؟ من يحيط الاشخاص والصنائع والشرائع والعظماء بالاحترام والاجلال الاّ هذه الحاسة المتخيلة ؟

ان ثروات الارض جميعها لا تفي من دون رضاها .

الا تحسب ان ذلك القاضي الذي تفرض مهابة شيخوخته الاحترام على شعب برمته ، يتدبر امره بعقل صافٍ سامٍ ويقضي في الاشياء من حيث ماهيتها ، دون ان يتوقف عند تلك الاعراض الباطلة التي لا تجرح الاّ مخيلة الضعفاء ؟ انظر اليه داخلاً ليستمع موعظة بكل ما اوتي من تقى ، داعماً متانة عقله بحرارة محبته ، متأهباً للاستماع بخشوع منقطع النظير ، ثم ليظهر الواعظ ، ولنقل ان الطبيعته حبته بصوت اجش وباستدارة وجه

غريبة او ان المزين لم يتقن حلق ذقنه ، وان تكون المصادفة قد زادت في دمامته فاني اراهن – مهما عظم شأن الحقائق التي فاه بها – ان شيخنا يفقد الترصن .

ان اعظم فلاسفة العالم يقف على خشبة عظيمة العرض . فاذا كانت على هوة ، ولئن اقنعه عقله بسلامته ، فللمخيلة الارجحية . وكثيرون هم الذين لا يتمكنون من امعان الفكر بذلك دون ان يعلو وجوههم الاصفرار ويتصبب العرق من اجسادهم .

لا اريد ان اورد جميع مفاعيلها .

من يجهل ان منظر الهررة والجرذ وسحق الفحم الخ ... تخرج العقل عن وقاره ؟ نبرة الصوت تؤثر في اكثر الناس حكمة وتغير من قوة الخطاب والقصيد .

المودة او البغضاء تغيران وجه العدل . كم يرى المحامي الذي اجزل اجره سلفاً ان القضية التي يرافع فيها اكثر عدلاً ! واي اثر لايماءة منه جريئة في اظهار القضية على وجه افضل عند القضاة وقد خدعوا بهذا المظهر . فيا لك من عقل مضحك تديره ريح ، في كل الجهات .

ولو شئت لاوردت جميع اعمال الناس الذين تكاد لا تحركهم إلاّ هزات المخيلة . فالعقل قد اضطر الى الاذعان ، واكثر العقول فطنة يعتمد المبادئ التي اقحمتها مخيلة الناس في كل مكان .

من شاء الا يتبع غير العقل يعتبر ، في حكم العامة ، مجنوناً . يجب ان نحكم بحكم الغالبية في العالم . فقد قضي علينا ، لان الامر يروقها ، ان نعمل طوال النهار ونجدّ في سبيل خيرات من المقرر انها خيالية . ومتى اراحنا الكرى من متاعب العقل يجب ان نستيقظ في الحال لنجري وراء الدواخن ونكابد تأثيرات سيدة العالم تلك – وهذا احد مبادئ الضلال ولكنه ليس وحيداً .

لقد ادرك قضاتنا هذا السرّ كل الادراك . جلابيبهم الحمراء ، وفراؤهم

التي يتلفعون بها كالهررة المفرّاة ، والقصور التي يجلسون فيها للاحكام ، وازاهر الزنابق ، لشدّ ما يعوزهم هذا الجلال كله . ولو لم يكن للاطباء اردية وبغال ، وللدكاترة قبعات مربعة وبزات واسعة الاطراف الأربعة ، لما اغترّ الناس وهم اعجز من ان يقاوموا هذا المظهر . ولو هم ملكوا العدالة الحقيقية ولو ملك الاطباء حقيقة فن الشفاء لما ابهوا لتلك القبعات المربعة ، ولكان لجلال هذه العلوم بحد ذاتها حرمة كافية ، ولكنهم اذ كانوا لا يعرفون الاّ علوماً وهمية ، فقد وجب ان يتخذوا هذه الادوات الباطلة وهي تؤثر في المخيلة التي تسيّرهم ، وهم في الواقع بهذا يجتلبون الاحترام . ان رجال الحرب وحدهم لم يتنكروا على هذه الطريقة ، لان عملهم اكثر ضرورة ، فهم يستقرون بالقوة واولئك بالتصنع .

وهكذا لم يَسْعَ ملوكنا الى ضروب التنكر هذه ، ولم يتستروا باثواب عجاب ليظهروا بالمظهر العَجَب، بل جعلوا في صحبتهم حرساً ورماحاً ، وجيوشاً مسلحة لا تملك السواعد والقوة الا في سبيلهم . فالابواق والطبول السائرة في الطلائع وتلك الكتائب المحيطة بهم تنزل الرعب في اثبت الناس جناناً ، اذ ليس لهم الثوب فحسب بل ان لهم القوة ايضاً . وقد وجب ان يكون العقل كثير النقاء لينظر الى السلطان الخطير محاطاً في قصره الرائع باربعين الفاً من الجند كنظره الى رجل آخر .

لا نستطيع ان نرى محامياً بردائه وقبعته دون ان يرجح رأينا في كفاءته .

تتصرف المخيلة في كل شيء ، ومن صنعها الجمال والعدل والسعادة وهي الكل في العالم . وددت لو ارى الكتاب الايطالي الذي لا اعرف غير عنوانه وهو يساوي وحده مصنفات كثيرة : Della opinione regina del Mondo اني لاشايعه عن غير معرفة ، ما عدا الشر ، إنْ وجد فيه .

تلك هي بوجه التقريب مفاعيل هذه الحاسة الخداعة التي يبدو اننا أُعطيناها خصيصاً لكي تقودنا الى خطإ لازم ، ولدينا منها قواعد اخرى كثيرة . ليست التأثيرات القديمة وحدها ذات قدرة على خدعنا . فلجمال

الجدة السلطان نفسه . ومن هنا منشأ كل نزاع بين الناس الذين يأخذ بعضهم على البعض الآخر إما انه اتبع تأثيرات الطفولة الكاذبة او انه سعى عن غير روية وراء التأثيرات الجديدة . من يقف عند الحدّ الوسط ؟ ليَظْهَرْ ، وليقم عليه الدليل . ليس من مبدإ مهما كان طبيعياً ولو نشأ منذ الصغر الاّ جاز ان يكون تأثيراً كاذباً مصدره التعليم او الحواس .

يقولون : « بما انك اعتقدت منذ الصغر ان خزانة ما هي فارغة عندما لا ترى فيها شيئاً ، فقد اعتقدت ان الفراغ ممكن . انه وهم من اوهام حواسك قد مكنته العادة ، وعلى العلم ان يقوّمه » . ويقول آخرون : « بما انه قيل لك في المدرسة « لا فراغ » ، فقد افسدوا معقولك العام الذي كان يدركه بجلاء قبل ان يعترضك هذا التأثير السيّئ ، وهو تأثير يجب ان تقوّمه بلجوئك الى طبيعتك الاولى » . فمن الخادع يا ترى ؟ ألحواس أم التعليم ؟

وثمة مبدأ ضلال آخر هو الأمراض ، فهي تعيب القوة الحاكمة والحواس . ولئن كانت الامراض الشديدة تفسدها فساداً محسوساً ، فلا شك ان الامراض الخفيفة تؤثر فيها بنسبة درجاتها .

ان مصلحتنا الذاتية كذلك اداة عجيبة تفقأ ابصارنا بلطف . لا يجوز لاكثر الناس انصافاً ان يحكم في قضيته . اعرف من الناس من تحاشوا الوقوع في هذه الانانية فكانوا اظلم الناس : وكانت اضمن وسيلة لخسران قضية عادلة توصيتهم بشأنها على يد اقربائهم الادنين . العدل والحقيقة سنّان دقيقان الى حدّ ان ادواتنا الكليلة هي اعجز من ان تمسهما بإحكام . فاذا استطاعت ذلك ثلمت رأسهما وشدت حوله على الباطل اكثر من شدها على الحق .

(والانسان قد افرغ اذن في قالب عجب حتى انه لا ينطوي على مبدإ صائب للحق في حين ان به للباطل مبادئ جمة فائقة . فلنر الآن كم ... بيد ان اضحك علة لهذه الاضاليل انما هي الحرب القائمة بين الحواس والعقل) .

٨٣ — هنا يجب ان يبتدئ فصل القوى الخادعة .

ما الانسان الاّ مخلوق مفعم بالضلال ، ضلال طبيعي لا يمحى بدون النعمة . ولا دليل له الى الحقيقة . كل شيء يخدعه . امّا هاتان القاعدتان للحقائق ، اي العقل والحواس ، فهما فضلاً عن افتقار كلتيهما الى الصدق ، تتخادعان بالتبادل . فالحواس تخدع العقل بمظاهر كاذبة . وهذا الخداع نفسه الذي تهيئه للعقل تتلقاه منه بدورها : فهي تتأثر منه به . اهواء النفس تبلبل مشاعرها وتطبع فيها انطباعات كاذبة ، فكلاهما يكذب وينافس في المخاتلة . على انه فضلاً عن تلك الاضاليل التي تنجم عرضاً وبسبب النقص في الادراك المتباين الخصائص ...

٨٤ — المخيلة تضخم الاشياء الصغيرة حتى تملأ منها النفس بان تقدرها تقديرًا وهمياً ، وتتجاسر في القحة حتى تصغر الكبيرة الى مقياسها ، شأنها لدى التحدث عن الله .

٨٥ — اكثر ما يشغلنا من الأمور ، كإخفاء ما بنا من عوز ، يكاد لا يكون في الغالب شيئاً ، فهو عَدَمٌ تضخمه المخيلة ضخامة جبل ... وما هي الاّ جولة اخرى تجولها المخيلة حتى ينكشف لنا دون ما جهد .

٨٦ — (يبغّض اليّ هَوَايَ رجلاً نعاباً ورجلاً ينخر عند الاكل . وللهوى وزن كبير ، فماذا نستفيد من ذلك ؟ أبمسايرتنا هذا الوزن لكونه طبيعياً ؟ كلا . بل بمقاومتنا له ... لانه هوائي) .

٨٧ — كأن ثمة اتعس من رجل تتسلط عليه المخيلة !

٨٨ — الاولاد الذين يرتعبون من وجه صبغوه[1] انهم اولاد . ولكن ما السبب في ان ما كان في الصغر ضعيفاً يصبح في الكبر قوياً ؟ الهوى يتبدل باستمرار . كل ما يُستكمل بالاجتهاد يفنى كذلك بالاجتهاد ،

---

١) يقول سينيك : « ان ما يحدث للاولاد يحدث لنا ايضاً ، وما نحن الاّ اولاد نكبرهم قليلاً . **ان من احبوه والفوه ولاعبوه** يرعبهم حالما يتقنع . »

وكل ما كان ضعيفاً لا يمكن ان يبلغ تمام القوة . ومهما قيل : « لقد نضج ، لقد تبدل » ، فان هذا الشيء هو هو ذاته .

٨٩ — العادة طبيعتنا . من تعود الايمان صدّقها ولم يستطع إلاّ أن يرهب جهنم . من تعود الاعتقاد ان الملك رهيب . الخ . فمن يشك في ان النفس ، وقد تعودت ان ترى العدد والرحاب والحركة ، اصبحت تعتقد هذا وليس غيره البتة .

٩٠ — « الحادث المتكرر لا يدهشك ولو جهلت سببه ، أمّا الحادث الذي لم يتقدّم لك ان رأيت مثيله فهو في نظرك معجزة » (شيشرون) .

٩١ — **شوائب الشمس** . عندما نرى ان معلولاً يحدث ابداً على منوال واحد نستنتج منه ضرورة طبيعية كضرورة طلوع النهار غداً الخ[١] ولكن يغلب ان تكذبنا الطبيعة وان لا تخضع لنواميسها نفسها .

٩٢ — هل مبادئنا الطبيعية الاّ مبادئنا المعتادة ؟ وهل هي في الاولاد الاّ ما انتقل اليهم من عادة آبائهم ، كالقنص في الحيوان ؟

ان عادة اخرى تحدث فينا مبادئ طبيعية اخرى على ما عرف بالاختبار ، واذا كانت هناك مبادئ طبيعية لا تزيلها العادة ، فثمة مبادئ ناشئة عن العادة مناقضة للطبيعة لا تزيلها الطبيعة او العادة الثانية ، وهذا منوط بالاستعداد .

٩٣ — يخشى الآباء ان يزول الحب الطبيعي من اولادهم . فما هي هذه الطبيعة المعرضة للزوال ؟ العادة طبيعة ثانية تهدم الاولى ، ولكن ما هي الطبيعة ؟ لِمَ لا تكون العادة طبيعية ؟ اخشى كثيراً الا تكون هذه الطبيعة نفسها الاّ عادة اولى كما ان العادة طبيعة ثانية .

٩٤ — طبيعة الانسان طبيعة حيوانية على الاطلاق .

---

١) يرى پسكال في شوائب الشمس بدء اظلام فيها . ويستخلص من ذلك ان الشمس قد تنطفىء على رغم الثقة التي ولدتها العادة فينا باستمرار ضيائها .

ليس من شيء الاّ ويمكن ان يصبح طبيعياً ، وليس من طبيعي الاّ وتمكن ازالته .

٩٥ — الذاكرة ، والفرح مشاعر ، حتى القضايا الجبرية تصبح مشاعر ، لان العقل يجعل المشاعر طبيعية ، والمشاعر الطبيعية يمحوها العقل .

٩٦ — اذا تعود المرء التذرع بالاسباب الرديئة ليبرهن عن بعض نتائج الطبيعة ، فهو يرفض قبول الاسباب الصالحة عندما تنكشف له . وقد ضربوا مثلاً عن ذلك دورة الدم ليبينوا سبب انتفاخ العرق تحت العصاب .

٩٧ — اهم ما في الحياة اختيار المهنة : وانها رهن المصادفة . العادة تخلق البنائين والجنود والسقّافين . يقولون : « هذا سقّاف ماهر » ، ويقولون عن الجنود : « انهم لجدّ مجانين » ، وغيرهم يقول بالعكس : « ليس من عظمة الاّ في الحرب امّا سائر الناس فصعاليك » وانك لكثرة ما سمعت فى الصغر من امتداح تلك الحرف ومن احتقار غيرها مطلقاً ، انتهى بك الامر الى الاختيار ، لانك تحب الحقيقة طبعاً ، وتكره الجنون ، تلك الكلمات تهزنا : وما الخطأ الاّ في التطبيق . والعادة هي من القوة بحيث ان الذين ما برأتهم الطبيعة الاّ بشرًا ، قد جعلت منهم العادةُ جميع طبقات البشر فثمة بلدان جميع اناسها بناؤون ، او جنود الخ . ومما لا ريب فيه ان الطبيعة لا تستطيع مثل هذا التوجيه ، فالعادة اذن تعمل هذا لانها ترغم الطبيعة ، بيد ان الطبيعة تتسلط عليها احياناً وتحبس الانسان في فطرته على رغم كل عادة ، حسنةً كانت او سيئة .

٩٨ — **سبق التصوّر المضلّ .**

من المؤسف ان نرى جميع الناس لا يتداولون الاّ بالوسائل دون الغاية .

كل يفكر كيف يقضي التزامات حالته ، أمّا اختيار الحالة والوطن فهو منوط بالقدر .

وانه لمحزن ان نرى هذا العدد من الاتراك والهراطقة وغير المؤمنين يسلكون

طريق آبائهم لا لسببٍ إلا انه سبق في تصور كل منهم انه الطريق الافضل . وهذا ما يجعل كلاًّ من الناس يختار حالة من الحالات ، من صانع الاقفال الى الجندي الخ .

ومن اجل هذا استغنى البرابرة عن پروڤانسه[1] .

٩٩ — بين افعال الارادة وسائر الافعال جميعاً ، فارق جوهري شامل . الارادة من اهم عوامل التصديق ، ليس انها تكوّن التصديق بل لان الاشياء تكون صحيحة او كاذبة بحسب الوجه الذي تنظر اليها منه ، والارادة التي يروقها احدهما اكثر من الآخر تحوّل الفكر عن اعتبار مزايا الوجوه التي لا تحب ان تراها ، وهكذا يمشي الفكر متحداً بالارادة ، فيقف لينظر الوجه الذي تحبه هي : وهكذا يحكم بما يراه فيه .

١٠٠ — **حب الذات** . طبيعة حب الذات وهذه الـ « أنا » البشرية ، هي ان لا يحب المرء الاّ نفسه والاّ يقدّر الاّ نفسه . ولكن ماذا عساه ان يصنع؟ فهو لا يقدر ان يمنع هذا الشيء الذي يحبه من ان يكون مليئاً بالعيوب والشقاء : يريد ان يكون كبيراً فيرى نفسه صغيراً ، يريد ان يكون سعيداً فيرى نفسه شقياً ، يريد ان يكون كاملاً فيرى انه مليء بالنقائص ، يريد ان يكون موضوع حب الناس وتقديرهم فيرى ان عيوبه لا تستحق الاّ مقتهم واحتقارهم . وهذه الحيرة التي تنتابه تحدث فيه ابعد ما يستطيعه التصور من ميل جائر مجرم ؛ لانه يضمر بغضاً مميتاً لهذه الحقيقة التي تزجره وتقنعه بعيوبه . وهو يرغب لو يلاشيها ، واذ يعجز عن هدمها بحدّ ذاتها ، فهو يهدمها ما استطاع في معرفته ومعرفة الغير ، اي انه يحصر همه في تغطية عيوبه عن الغير وعن ذاته ، ولا يتحمل ان يريه اياها احد ولا ان يراها احد .

---

١) يتذكر پسكال مونتين حيث قال « ان العادة تجعل الانسان أليف المكان الذي زرعته فيه الطبيعة » .

انه لشرّ ، ولا ريب ، ان يكون المرء ممتلئاً بالعيوب ، ولكنه شرّ اعظم ان يكون ممتلئاً منها والاّ يريد الاعتراف بها ، لانه بذلك يضيف اليها شرّ توهم مقصود . لا نريد ان يخدعنا الاغيار . ولا نرى من العدل ان نقدرهم فوق ما يستحقون . فليس من العدل اذن ان نخدعهم وان نريد ان يقدرونا فوق ما نستحق .

وعلى هذا اذا هم لم يكتشفوا الاّ نقائص ورذائل موجودة فينا فعلاً ، فمن البين انهم لم يلحقوا بنا مضرّة اذ ليسوا هم علة وجودها . وانهم يسدون الينا الخير اذ يساعدوننا على التخلص من الشرّ الذي هو جهل تلك النقائص . يجب ألاّ نستاء من انهم يعرفونها ويحتقروننا : اذ من العدل ان يعرفونا كما نحن وان يحتقرونا اذا كنا اهلاً لذلك .

تلك هي الأحاسيس التي تتولد في قلب يفعمه الانصاف والعدل . فماذا يجب ان نقول عن قلبنا والحالة هذه ، اذا ما وجدنا فيه استعداداً يناقض ذلك ؟ اليس صحيحاً اننا نكره الحقيقة والذين يقولونها واننا نحب لو انهم يُخدعون لمصلحتنا واننا نريد لو انهم يقدرونا بغير ما فينا .

اليك هذا الدليل الذي أرتعدُ له : لا تجبر الديانة المسيحية الانسان ان يبوح بخطاياه الى اي كان من الناس ، بل ترتضي ان تظل خطاياه مستورة عن سائرهم . على انها تستثني واحداً منهم وتفرض علينا ان نكشف له عن طيات القلب وان نظهر امامه على حقيقتنا . وليس في العالم رجل غير هذا تأمرنا بان نهديه الى امرنا ، وهي تفرض عليه سرّاً لا يهتك ، مما يجعل معرفته له كأنها لم تكن . فهل ارحم من هذا او اعذب ؟ ومع ذلك فان فساد الانسان بلغ حدّاً يجد معه قسوة في هذه الشريعة ، وهذا هو احد الاسباب الرئيسية الذي جعل جزءًا كبيرًا من اوروبا ينتقض على الكنيسة .

ما ابعد قلب الانسان عن العدل والتعقل ، اذ يستقبح ان يُجبر على ان يعمل تجاه رجل واحد ما يقضي العدل بان يعمله تجاه الناس كافة ! وهل من العدل ان نخدعهم ؟

مقت الحقيقة على درجات مختلفة ، ويصح القول انه، الى حدّ ما ، كائن في جميع الناس ، لانه لا ينفصل عن حب الذات . وهو في تلك اللطافة المستقبحة التي تُكرِه من تحوجهم الضرورة الى تصحيح خطإ الغير على ان يستعملوا المداورات والمجاملات تلافياً لمس شعوره ، فعليهم ان يُنقصوا من عيوبنا ويتظاهروا بانهم يعذروننا عليها وان يُضيفوا الى ذلك المدائح ودلائل العطف والتقدير ، وبالرغم من كل هذا تجد الأنانية ان الدواء ما برح مرًّا ، فتأخذ منه ايسره وتأخذه ابدًا باشمئزاز حتى انها في الغالب تضمر كيدًا لمن تناولته من يدهم .

فينتج عن ذلك ان الغير اذا كانت له مصلحة في ان نمحضه الحب ، ينصرف عن اسدائنا مساعدة يعرف انها تسوءنا ، فيعاملنا المعاملة التي نريدها : اذا كرهنا الحقيقة حجبها عنا . واذا رغبنا في الممالقة ملّقنا ، او احببنا ان نُخدع خدَعنا .

وهذا ما يجعل اننا كلما رقينا في مدارج الحظ درجة ازداد بعدنا عن الحقيقة لان الناس يخشون تنفير الناس بمقدار ما تكثر الفائدة من مودتهم والخطر من بغضهم . هذا امير تراه اضحوكة اوروبا جميعها وهو وحده لا يعرف من امر نفسه شيئاً ، ذلك لا يدهشني : فان قول الحقيقة ينفع من قيلت له ويضر من قالها لانه يستهدف البغضاء . والحال ان من يعايشون الامراء يؤثرون مصالحهم على مصلحة الامير الذي يخدمون ، وهكذا فما كانوا ليحرصوا على ان يهيئوا له منفعة بجلب المضرة لأنفسهم .

لا شك في ان هذا البلاء يعظم ويصبح مألوفاً كلّما عظمت المراتب . ولكنه لا يعفي المراتب التي هي دون تلك ، لان للناس ابدًا مصلحة في استهواء الناس . فالحياة البشرية ان هي الاّ وهمٌ مستمر . لا شأن للناس الا في ان يتخادعوا ويتمالقوا ، ولا يتكلم احد بحضورنا بمثل ما يغتابنا به . ولا يرتكز اتحاد البشر الاّ على هذا الخداع المتبادل ، وقلما ثبتت صداقة

لو عرف كل واحد ما يقوله عنه صديقه في غيابه ولو قاله عن صدق ودون ما هوى .

فما الانسان اذن الاّ تدليس وكذب ورياء أبنفسه كان أم قِبَل الآخرين. لا يريد ان تقال له الحقيقة ويتحاشى ان يقولها للغير ، وجميع تلك المقاصد ، البعيدة هذا البعد عن العدل والعقل ، تمتد جذورها الطبيعية من قلبه .

١٠١ — لو عرف جميع الناس ما يقوله بعضهم في بعضهم الآخر لما وقعت على اربعة اصدقاء في العالم .

١٠٢ — من العيوب ما لا يعلق بنا الاّ بواسطة غيره فاذا نزعت الأرومة تساقطت كالغصون .

١٠٣ — لم يتمثل الناس بالاسكندر في عفته بمقدار ما تمثلوا به في سكره[١] . لا يجدون في قصورهم عن فضيلته عاراً ، ولكن يعذرون انفسهم على انهم ليسوا اكثر عيوباً منه ، ويعتقدون انهم لم يتنزلوا تماماً الى عيوب العامة حينما يرون ان فيهم عيوب اولئك العظماء ، ومع ذلك فهم لا يتنبهون الى انهم اصبحوا من العامة ، فهم يلتصقون بها من الطرف الذي يلتصقون به بالشعب ، لانهم مهما علوا فهم، من احدى النواحي ، مرتبطون بأحقر الناس . وما كانوا معلقين في الهواء بمعزل عن المجتمع ، لا ! لا ! لئن كانوا اعز منا شأناً فذلك لان رأسهم ارفع من رؤوسنا ، بيد ان ارجلهم وارجلنا في مستوى واحد ، وهم من هذا الطرف منخفضون بمقدارنا ، بل بمقدار احقرنا ، بل بمقدار الاولاد ، بل بمقدار البهائم .

١٠٤ — اذا حملنا الهوى على عمل شيء ، نسينا واجبنا : مثل ذلك انه اذا احببنا كتاباً قرأناه ، في حين يقتضينا الامر ان نعمل عملاً آخر .

---

١) يقابل پسكال بين رقة الاسكندر في معاملته لزوجة داريوس وبناته وبين ثورات الغضب الناجمة عن السكر وقد حملته على قتل كليتوس وكانت السبب في هلاكه .

ولكي نذكر الواجب ، علينا ان نعتزم امرًا نتكره منه ، وعندئذ نعتذر بان علينا عملاً آخر نعمله ، وبهذه الوسيلة نذكر واجبنا .

١٠٥ ـ ما اصعب ان تطرح على حكم الغير امرًا دون ان تفسد حكمه بالطريقة التي تطرحها فيه عليه ! اذا قلت : « اراه جميلاً ، او اراه غامضاً » ، او ما يشبه ذلك ، فانك تحمل المخيلة على هذا الحكم ، او انك بالعكس تغيظها . فالافضل الاّ نقول شيئاً ، فيحكم عندئذ بحسب حقيقة الامر ، اي بحسب حقيقته عندئذ وبحسب ما تضيفه اليه الاحوال الاخرى التي لم تكن انت سبباً لها . بيد انك ، على الاقل ، لا تكون اضفت شيئاً . اللهم اذا لم يكن هذا الصمت قد عمل ايضاً عمله بحسب ما يكون مزاج صاحب الحكم قد ذهب الى تأويله او بحسب ما تذهب اليه فطنته بالاستناد الى حركات الوجه وسمته او الى نبرة الصوت ، اذا كان صاحبك من اهل الفراسة : وكم يصعب الاّ تزيح حكماً عن قاعدته الطبيعية وما اقل ، بالاحرى ، الاحكام الراسخة الثابتة .

١٠٦ ـ متى عرفت في الرجل هواه المسيطر فقد ضمنت انك تروقه ، ومع ذلك فلكل ميوله المناقضة لمنفعته نفسها وفي ذلك غرابة ما بعدها غرابة .

١٠٧ ـ قلما اتحد الطقس ومزاجي ؛ ان لي في داخلي ضبابي وطقسي الجميل ، وقلما يؤثر فيهما حسن حالي او سُوءُه . ويحدث احياناً انني انتصب في وجه الحظّ . وما ينالني من مجد في كبحه يجعلني اكبحه بسرور ، عوضاً عن ان اظهر احياناً ، عندما يؤاتيني ، وانا بمظهر المتكره .

١٠٨ ـ إن لم يكن للناس مأرب فيما يقولون ، فلا تستدل من ذلك مطلقاً انهم لا يكذبون ، فمن الناس من يكذبون لمجرد الكذب .

١٠٩ ـ عندما تكون مالكاً عافيتك ، تعجب مما قد يمكنك ان تفعل لو كنت مريضاً ، وعندما تكون مريضاً تتناول الدواء بانشراح : لان الداء يحملك على ذلك ، فلا يبقى لك من الميل للتنزه واللهو والرغبة فيهما

ما كان لك منها ابان العافية لانهما لا تأتلفان وضرورات المرض ، فالطبيعة تنفحك عندئذ بميول ورغبات تتفق وحالتك الحاضرة . ولا شيء يدخل فينا الاضطراب الاّ المخاوف التي نجلبها نحن، لا الطبيعة ، لانفسنا لانها تضيف الى الحالة التي نحن فيها ميول الحالة التي لسنا فيها ، ولمّا كانت الطبيعة تجعلنا ابداً اشقياء في جميع الحالات ، فان رغباتنا تصور لنا حالة سعيدة لان تلك الرغبات تضيف الى الحالة التي نحن عليها لذّاتِ الحالة التي لسنا فيها . واذا ادركنا هذه اللذات فلا نكون سعداء من اجل ذلك لانه سيكون لنا رغبات اخرى تتفق مع هذه الحالة الجديدة .

يجب تخصيص هذه القضية العامة ...

١١٠ — ما يسبب عدم الثبات شعورك بان اللذات الحاضرة كاذبة وجهلك ان اللذات الفائتة باطلة .

١١١ — **عدم ثبات ، تقلّب** . تعتقد انك تلمس اراغن عاديـــة عندما تلمس الانسان . انها في الحقيقة اراغن ، ولكنها غريبة متبدلة ، متغيرة (لا تتعاقب انابيبها بدرجات متقارنة) . الذين لا يحسنون الا لمس الاراغن العادية لا يحصلون منها على الحان موقعة . يجب معرفة موضع الملامس[١] .

١١٢ — **تقلّب** . للأشياء صفات متنوعة وللنفس اميال متنوعة ، اذ ليس في كل ما يعرض للنفس ما هو مجرد ، ولا تظهر النفس البتة مجردة لاي شيء ، ومن هنا يحدث ان امرًا واحداً يبكينا ويضحكنا .

١١٣ — **تقلّب وغرابة** . من اشد المتناقضات ان لا يعيش امرؤ الاّ من عمله وان يحكم اعظم دولة في العالم ، وقد اجتمعت في شخص سلطان الاتراك الاكبر[٢] .

---

١) ان انابيب الارغن تتتابع وفق ترتيب منتظم ، بمعنى انك تعرف بالضبط اي لحن ينبعث من مسك ملمساً معيناً . وليس الامر كذلك عندما تمس قلب الانسان ، فهو لا يخضع لقاعدة منتظمة ، وقد تمسه فينبعث منه اي لحن كان بحسب الظرف والساعة .

٢) هذا الامر الذي يلمع اليه پسكال اسطورة اثبت بطلانها هاثيه .

١١٤ — التنوع هو من السعة بحيث ان جميع نبرات الصوت كالمشي والسعال والامتخاط والعطاس ...

يتميز العنب عن الاثمار واخصه العنب المسكي . هذا الغصن المطعّم ، أأنتج يوماً عنقودين ، وهذا العنقود أأنتج حبتين متماثلتين ؟[١] لا استطيع ان اطبق بدقة حكماً واحداً على شيء واحد . ولا استطيع ان احكم في كتابي فيما انا أؤلفه ، عليّ ان اعمل عمل المصورين وابتعد عنه . عليّ ان لا أفرط في البعد . الى اي بعد اذن ؟ إحزرْ !

١١٥ — **تنوّع** . اللاهوت عِلْم ولكنه كم يحوي من علوم ؟

الانسان مادة ، ولكن اذا شرّحته فهل هو الرأس ، ام القلب ، ام المعدة ، ام العروق ، ام كل عرق ، ام كل قطعة ، ام الدم ام كل خلط من اخلاطه ؟

المدينة والريف يظهران عن بعد انهما مدينة وريف ، ولكنك كلّما اقتربت منهما فهما منازل ، واشجار ، وقراميد ، واوراق ، واعشاب ، ونمل وقوائم نمل الى ما لا نهاية له . كل هذا ينطوي عليه اسم الريف .

١١٦ — **خواطر** . كل شيء واحد ، وكل شيء متنوع . كم من الطبائع في طبيعة الانسان ! وكم من اميال ! وكم تعمل المصادفة عادة في ان يميل المرء الى مهنة بالاستناد الى ما سمعه من اطرائها ! كقولهم هذه عِقَب نعلٍ حسنة الاستدارة .

١١٧ — **عقب حذاء** . آه ما احسن استدارته ، هـذا عامل ماهر ! ما أجرأ هذا الجندي ! — هذا منشأ اميالنا واختيارنا المهن ، ما اكثر ما يتعاطى الخمرة ! وما اقل ما يشرب منها ! هذا ما يجعل الناس اعفاء او سكيرين او جنوداً او جبناء الخ ...

---

١) في خاطرة پسكال هذه لمحة من نظرية لاحقة اعتنقها ليبنيز Leibniz وهي نظرية على اللاامتميزات ، وتنحصر في ان ليس في الطبيعة متماثلان . ويروي هذا الفيلسوف انه اذ وجد يوماً في حديقة الاميرة صوفيا تحدى من معه ان يدلوه في الاشجار على ورقتين لا فارق بينهما .

١١٨ ــ الاهلية الرئيسية تنظم سائر الأهليات .

١١٩ ــ الطبيعة تقلّد نفسها . الحبة في الارض الصالحة تثمر ، والمبدأ في الفكر الصالح يثمر ، والاعداد تقتدي بالمدى وهما مختلفان في الطبائع . كل شيء يصنعه ويدبره سيّد واحد : الجذور والاغصان والثمار ، وكذلك الاصول والفروع .

١٢٠ ــ (الطبيعة تُنوِّع وتقلّد . والصناعة تُقلِّد وتُنوِّع) .

١٢١ ــ إنّ الطبيعة تكرّر الأشياء نفسها ابداً : السنين والايام والساعات ، وكذلك المسافة والعدد فهما متلاصقان متتابعان . وهكذا يحصل نوع من اللانهائي والابدي ، ولا يعني هذا ان ليس في جميع ذلك ما هو لانهائي وابدي ، على ان هذه الكائنات المنتهية ، تتكاثر الى ما لا نهاية له ، ويلوح لي ان ليس من ابدي الاّ الرقم الذي يكثّرها[1] .

١٢٢ ــ الوقت يشفي الآلام والمشاحنات لان المرء يتغير ولا يبقى هو هو ذاته . فلا المسيء ولا المساء اليه يبقيان هما هما . وهو مَثَلُ شعب اغضبوه ثم التقوا به بعد جيلين من الناس ، انهم فرنسيون ايضاً ولكنهم ليسوا هم انفسهم .

١٢٣ ــ لم يعد يحب هذه الفتاة التي كان يحبها لعشر سنين خلت . واني لأصدّق ذلك : فلا هي بقيت اياها ولا هو ايضاً اياه . كان شاباً وهي كذلك . لقد تبدلت تماماً . قد يحب فيها ، بعدُ ، ما كانت عليه من قبل .

١٢٤ ــ لا ننظر الى الأشياء من نواح اخرى فحسب بل كذلك بأعين اخرى . ونتجنب ان نراها متماثلة .

---

١) السؤال الذي يطرحه پسكال هو الآتي : هل ثمة مسافة لامتناهية ام زمن ابدي ؟ والحال ان المسافة اللامتناهية تحصل من جمعٍ لامتناه لمسافات منتهية كما يحصل الزمن الابدي من جمع ازمنة منتهية . وانما اللامتناهي العدد فحسب .

١٢٥ — **مناقضات**: الرجل بطبيعته قريب التصديق . وبعيد التصديق . حييٌ وجسور .

١٢٦ — وصف الانسان : اذعان ، رغبة في الاستقلال ، حاجة .

١٢٧ — حالة الانسان : تقلّب ، تضجر ، قلق .

١٢٨ — يتبرم المرء في ان يترك المشاغل التي تعلق بها : هذا رجل يعيش بلذة في اهل بيته . فليرَ امرأة تروقه ، او فليقامر خمسة ايام او سنة بلذة ، فها هو يشقى اذا عاد الى عمله الاول . وما من شيء عادي كهذا .

١٢٩ — طبيعتنا في الحركة . وانما الراحة التامة الموت .

١٣٠ — **اضطراب** . اذا شكا الجندي مشقة او الفلاح الخ ... فاتركه لا يعمل شيئاً .

١٣١ — *ضجر* . ليس ما يفوق احتمال الانسان مثل ان يكون في راحة تامة بلا اميال ، ولا عمل ولا لهو ولا اجتهاد . فهو يشعر عندئذ بعدمه وهجرانه وعدم كفاءته واذعانه وعجزه وفراغه . ولا تلبث ان تفيض نفسه بالضجر والغم والكآبة والكدر والحقد واليأس .

١٣٢ — يلوح لي ان قيصر كان قد بلغ من العمر حدًا لا يجوز له معه ان يتلهى بفتح العالم ، ان هذا التلهي خليق باغسطوس او الاسكندر ، اذ كانا شابين يصعب كبح جماحهما على ان قيصر كان ولا شك اكثر نضجاً .

١٣٣ — وجهان متشابهان ليس في احدهما ما يضحكك . يضحكانك معاً لتشابههما .

١٣٤ — ما أسخف التصوير قد اجتذب اعجابنا لتشابه الأشياء التي لا تعجبنا أصولُها أبدًا .

١٣٥ — لا شيء يروقنا الاّ العراك . امّا النصر فلا . نحب ان نرى عراك البهائم لا المنتصر المنقضّ على المغلوب . ولعمري اي شيء نود لو

نراه الآ نهاية النصر ؟ فاذا ما تمّ سكرنا به . هذا دأبنا في اللعب ، كما هو دأبنا في البحث عن الحقيقة ، نحب ان نرى في المخاصمات معترك المذاهب ، اما ان نتأمل الحقيقة البادية فلا ، فاذا اردت ان يلاحظها غيرك بلذة فأره اياها وقد نشأت عن الخصام . وهكذا في الاميال ، فثمة لذة في ان ترى الضدين يصطدمان . ولكن حينما يكون احدهما هو السائد فما ذلك الآ شراسة وحسب ، نحن لا نبحث البتة عن الأشياء ولكن عن بحث الاشياء . وكذلك في التمثيليات حيث المشاهد البهجة لا قيمة لها بلا خوف ولا الشقاء المتناهي بلا امل ولا الحب الوحشي ولا القسوة الجافة .

١٣٦ – القليل يعزينا لان القليل يحزننا .

١٣٧ – لا مجال للبحث في المشاغل الخاصة جميعاً . يكفي ان يشتمل عليها بحث اللهو .

١٣٨ – اناس بطبيعتهم مسقّفون وفيهم جميع الميول ، الآ الميل الى الاعتكاف[1] .

١٣٩ – تأملت احياناً اضطرابات البشر والمخاطر والمشقات التي يتعرضون لها في البلاط او في الحرب حيث تنشأ المنازعات والاهواء والاعمال الجسورة – وكثيراً ما تكون مشؤومة – الخ . فتبيّن لي ان كل تعاسة البشر مردها الى امر واحد هو انهم لا يطيقون الاعتكاف في غرفة . ان الرجل ذا الكفاف ، لو عرف ان يلزم منزله بلذة ، لما خرج منه ليركب البحر او ليحاصر قلعة . ولا يقدم احد على شراء مرتبة في الجيش بثمنٍ باهظ إلاّ لأنه لا يحتمل الاقامة في المدينة . ولا يبحث عن المحادثات وملاهي القمار الا لانه لا يستطيع ملازمة بيته بلذة .

ولكني عندما تفحصت الامر عن كثب ، وبعد ان وجدت علة جميع تعاساتنا ، اردت ان اتبيّن علة هذه العلة ، فوجدت ان سببها الفعلي قائم

---

١) الماع يجد تفسيره في الفقرة ٩٧ .

في التعاسة الطبيعية الناشئة عن مرتبتنا الضعيفة الفانية التي هي من الشقاء بحيث لا يعزينا شيء اذا تأملنا فيها عن قرب .

مهما تصورتَ حالة من حالات الرفاهية والرخاء فان منصب الملك اجمل ما في العالم . ومع ذلك فلنتمثله محاطاً بجميع المسرات ومحروماً اسباب اللهو ولندعه يتبصر حاله ويتأمل فيها ، فان هذه الغبطة الواهية لا تسنده ولا يلبث ان يقع حتماً تجاه ما يتهدده من مطامع وثورات ومن موت او مرض لا مردّ لقضائهما ، بمعنى انه اذا كان محروماً ما يسمّى لهواً فانه تعيس واتعس من احقر رعاياه اللاعب اللاهي .

وهذا ما يجعلنا نتهالك في البحث عن القمار ومحادثة النساء والحرب والمتاعب الخطيرة . ولا يعني ذلك اننا نجد سعادة او اننا نتصور غبطة حقيقية في مرابح القمار او في ارنب نطاردها ، ذلك لو اهدي الينا لأعرضنا عنه . فنحن لا نبحث عن هذا الاستمتاع الناعم الهادئ الذي يحملنا على الافتكار بتعاسة حالنا ، ولا عن مخاطر الحرب او مشاقّ المناصب بل عن الارتباك الذي يصرف الفكر عن حالنا ويلهينا .

تلك هي الاسباب التي تجعلنا نحب الصيد اكثر من الوقوع على الطريدة .

ومن اجل ذلك يحب الناس الجلبة والضوضاء ، ومن اجل ذلك كان السجن عذاباً مريعاً ، ومن اجل ذلك كانت لذة العزلة مما يدق على الافهام . وهذا اخيراً ما تدور عليه غبطة الملوك ومحاولة الناس في ان يحيطوهم باللهو وانواع الملذات .

ويحيط بالمَلك اناس لا يفكرون الاّ بتلهية الملك وبصرفه عن التفكير في نفسه ، لانه – على ملكه – شقي اذا تأمَّل فيها .

هذا كل ما ابتدعه الناس ليكونوا سعداء ، اما الذين ينظرون في هذا نظرة الفلاسفة ويعتقدون ان الناس يعوزهم الصواب عندما يصرفون طوال النهار بمطاردة ارنب لا يريدون ان يكونوا قد اشتروها ، فانما هم لا يعرفون

طبيعتنا أبداً . ان هذه الارنب لا تحجب عنا منظر الموت والشقاء ، بيد ان الصيد – الذي يصرفنا عنهما – يحجبهما عنا ، وهكذا ...

النصح الذي اسدوه الى فرهوس الملك بأن يأخذ الراحة التي ازمع ان يلتمسها عن طريق المشقات الكثيرة – قد اعترضته مصاعب جمة[1] .

(قولك لرجل لو يعيش براحة كقولك له لو يعيش سعيداً . هو النصح له ان يكون في حالة مستوفية السعادة ، يتأمل فيها على مهل فلا يجد ثمة موضوع كآبة . وما كان ذلك اذن مما يوائم الطبيعة ، لان الناس الذين يشعرون طبعاً بحالتهم لا يتحاشون شيئاً تحاشيهم للراحة ولا يتوقفون عند امر من الامور في سبيل البحث عن القلق . ولا يعني ذلك ان ليس في فطرتهم ما يدلهم على ان الغبطة الحقيقية ...

(وهكذا لا يسعك ان توجه اليهم الملامة . فما كان خطأهم لبحثهم عن الجلبة اذا كانوا لا يتوخون منها الا التلهي . على ان الشر هو في كونهم يبحثون عنها كأن حيازة الاشياء التي يبحثون عنها مما يجلب لهم السعادة حقاً . وهذا ما يجعلك على صواب اذا قلت ان بحثهم باطل : وانك ترى في كل هذا ان اللائمين والملومين على السواء لا يدركون حقيقة طبيعة الانسان .)

فاذا اخذت عليهم ان الذي يبحثون عنه بهذه الحرارة ليس من شأنه ان يرضيهم ، فأجابوك – كما يجمل بهم ان يجيبوا إن تعمقوا في التفكير – انهم لا يبحثون في ذلك الاّ عن مشغلة شديدة عنيفة تصرف عن التفكير في النفس ، وانهم من اجل ذلك يهدفون الى غرض جذاب يفتنهم ويجتذبهم بحرارة ، فلو كان هذا جوابهم لتعذرت على خصومهم بداهة الاعتراض . ولكنهم لا يجيبون بذلك لانهم لا يعرفون انفسهم ، ولانهم لا يعلمون انهم لا يبحثون عن الطريدة بل عن الصيد ليس الاّ .

---

١) اشارة الى النصح الذي اسداه مستشار الملك فرهوس اليه بان يقلع عن فكرته في اجتياح ايطاليا ، وبان يلزم مكانه تحاشياً للمخاطر ومفاجآت القدر .

(الرقص : يجب ان تفتكر في مواطئ القدمين — يعتقد الشريف عن صدق نية ان في الصيد لذة كبرى بل لذة ملكية ، على ان سائسه لا يبادله هذا الشعور .)

يتصورون انهم لو نالوا هذا المنصب لاستكانوا بعدئذ الى الراحة بلذة . ولا يشعرون بطبيعة نهمهم الذي لا حدّ به . يعتقدون عن صدق نية انهم ينشدون الراحة وهم لا ينشدون في الواقع الا الاضطراب .

ان فيهم غريزة خفيفة تحملهم على السعي الى اللهو والانشغال ، وهي ناجمة عن شعورهم بشقائهم المستمر ، وان فيهم لغريزة خفية أخرى هي بقية من عظمة طبيعتنا الاولى تجعلهم يدركون ان السعادة ليست في الواقع الا في الراحة لا في الضوضاء . وينشأ فيهم ، بسبب هاتين النظريتين المتناقضتين ، مقصد مبهم يحتجب عنهم في اغوار نفوسهم ويحملهم على النزوع الى الراحة عن طريق الاضطراب ، وعلى التصور ابداً انهم سيدركون الطمأنينة التي تعوزهم اذا تمكنوا من فتح باب الراحة بتغلبهم على بعض الصعوبات التي يواجهونها .

هكذا تنقضي الحياة كلها . ننشد الراحة بمكافحة بعض العقبات . فاذا تغلبنا عليها اصبحت الراحة مما لا يحتمل ، لاننا عندئذ نفكر اما في الشقاء الذي نحن فيه او في الذي يتهددنا . حتى اذا وجدنا انفسنا بمأمن كاف من الجهات جميعاً ، لا يلبث السأم ، بسلطانه الخاص ، ان ينطلق من اعماق القلب حيث جذوره الطبيعية ويملأ الروح بسمومه .

فالانسان هو من التعاسة بحيث انه يسأم دون ما اي سبب للسأم ، بل بمجرد حالة مزاجه ، وهو من السخافة بحيث انه ولو كان مفعماً بألف علة جوهرية للسأم ، فان اتفه شيء — كرة يقذفها وكرة يتلقاها — كافيتان لتلهيته .

ولكنك تُسائل نفسك عن غرضه من كل هذا ! غرضه ان يتبجح في الغد امام اصحابه انه قد تفوق في اللعب على غيره . وترى اناساً غيره يجهدون

النفس في حجرة ليظهروا للعلماء انهم حلّوا قضية في الجبر لم تحلّ قبل اليوم ، وكثيرون – بحمق هؤلاء – يتعرضون لأبعد المخاطر ليتباهوا بانهم اقتحموا حصناً منيعاً . وغيرهم يتهالكون حتى يلاحظوا جميع هذه الامور – وما قصدهم ان يصبحوا اكثر تعقلاً بملاحظتهم لها ، بل لمجرد الظهور ، بانهم يعرفونها ، وهؤلاء اكثر الجميع حمقاً . لانهم حمقى عن معرفة ، في حين يجوز الظن ان حماقة الاولين تزول لو كانت لهم تلك المعرفة .

هذا رجل يقضي حياته بلا سأم لانه يقامر قليلاً في كل يوم . اعطه كل صباح من الدراهم مقدار ما يمكنه ان يربح في اليوم ، على ان لا يقامر ابداً ، فانك تجعله تعيساً . لئن قيل انه يقصد تسلية اللعب لا المربح ، فاجعله يلعب دون مراهنة على مال ، تَرَهُ فاتراً ملولاً . فلم يكن يسعى اذن لمجرد التسلية فهي تضجره اذا لم يكن ثمة ما يستهويه . يجب ان يكون فيها ما يحرّه وان يخدع نفسه بان يوهمها انه يكون سعيداً لو ربح ما يريد ان يعطاه بدون مقامرة ، حتى يُحدِث لهواه موضوعاً ويستحث له رغبته وغضبه وخوفه ، شأن الاولاد الذين يرتعبون من الوجه الذي صبغوه .

كيف تفسّر ان هذا الرجل الذي فجع بوحيده لبضعة اشهر خلت ورزح تحت عبء الدعاوى والمشاحنات ، كان شديد القلق هذا الصباح ثم اصبح لا يفكر في شيء من هذا ؟ لا تدهش لذلك : انه منصرف بكليته ليرى اين يمرّ هذا الخنزير الذي تطارده الكلاب بضراوة منذ ست ساعات فلا حاجة الى غير ذلك . مهما كان الانسان مفعماً بالحزن ، فاذا تمكنت من صرفه الى بعض اللهو فقد جعلته سعيداً ابان ذلك الوقت . ومهما كان سعيداً فاذا لم يتلَهَّ او ينشغل بهوى او تسلية يحولان دون امتداد الضجر ، فلا يلبث ان يصبح كئيباً تعيساً . لا فرح بلا لهو ، وباللهو ينتفي الحزن . وما يُكوّن سعادة اصحاب المراتب فهو ان لديهم عدداً من الناس لتلهيتهم وان لهم القدرة على البقاء في هذه الحال .

احترس من هذا . اي شيء تعني مناصب الناظر والعميد والرئيس

الاول سوى ان اصحابها في حالة تجعل الناس يتألبون عليهم منذ الصباح من كل جانب حتى لا يتركون لهم ساعة من النهار يفكرون فيها بانفسهم ؟ فاذا زالت حظوتهم وصرفوا الى منازلهم في الريف حيث لا يعوزهم متاع ولا اتباع فهم مع ذلك اشقياء مهملون اذا لا يمنعهم احد من التأمل في حالهم .

(اللهو من الضرورة للناس بحيث انهم اشقياء بدونه . فتارة ينزل بهم طارئ ، وتارة يفكرون في الطوارئ التي قد تنزل بهم ، وان لم يفكروا في ذلك وكانوا في معزل عن اسباب الكدر فلا يلبث السأم بسلطانه الخاص ان ينطلق من اعماق القلب حيث يمتد جذره الطبيعي ويملأ الروح كله بسمومه .)

١٤٠ — (هذا الرجل الكثير الكآبة لفقد زوجه ووحيده ، الرجل الذي تقضّ مضجعه هذه الخصومة ، كيف تفسّر انه الآن غير كئيب وانه مجرد من جميع هذه الافكار المؤلمة المقلقة ؟ لا تدهش لذلك فانه تلقى كرة عليه ان يدفعها الى صاحبه ، وانه منهمك ليتناولها ساقطة من السطح ليربح الضربة ، فكيف تريد ان يفكر في اشغاله وعليه الآن معالجة اشغولة اخرى ؟ هذا اهتمام جدير بان يشغل هذه النفس الكبيرة وينزع منها اي فكر آخر . هذا الانسان الذي خلق ليعرف الكون باجمعه ، ليحكم في كل شيء ، ليسوس دولة برمتها ، ها هوذا يحصر همه باقتناص ارنب . واذا لم يتنزل الى هذا وشاء ان يظلّ محصور الذهن ابداً فما كان الاّ اكثر حماقة ، لانه يريد ان يرتفع فوق الانسانية وما هو بالنتيجة الا انسان اي يقتدر على القليل والكثير ، وكل شيء ولا شيء : فما هو مَلاك ولا بهيمة ، بل انسان .)

١٤١ — يهتم الناس بمطاردة كرة او ارنب ، وهي لذة الملوك انفسهم .

١٤٢ — لهو . أليس منصب الملك من العظمة بحد ذاته بحيث يجعل صاحبه سعيداً لمجرد ان يرى ما هو فيه ؟ أيجب ان يصرف عنه هذه الفكرة

كعامة الناس ؟ افهم جيداً انك تجعل الرجل سعيداً بصرفك اياه عن مرأى مشاقه اليومية لينصرف بجميع افكاره الى الاهتمام باجادة الرقص . ولكن أيكون هذا شأن الملك ، أو كلفُه بتلك الملاهي الباطلة يتيح له من السعادة ما تتيحه له معاينة عظمته ؟ اي غرض من الاغراض اكثر ارضاءً لعقله من هذا ؟ الا ينقص من سروره اشغال نفسه بالتفكير في إحكام خطواته على تواقيع اللحن او في تسديد جريدة عوضاً عن ان يُترك وشأنه متأملاً جلال المجد المحيط به ؟ فلنقم بالتجربة ، ولنترك الملك وحيداً ، ليس ما يرضي حواسه او يستوقف فكره ، ولا عشير له ، متأملاً في نفسه على مهل ، نر ان الملك بدون لهو رجل مليء بالشقاء . ومن اجل ذلك تنصرف العناية الى تلافي هذا الأمر ، فلا يعدم الملوك حاشية تسهر على ان يعقب العمل التلهي وتقضي الوقت بتوفير مسرات اللعب لهم حتى لا يحصل فراغ البتة ، بمعنى انهم محاطون باشخاص لهم اهتمام عجيب في الا يظل الملك وحيداً وفي حالة يتأمل معها في نفسه ، لمعرفتهم انه تعيس لو تأمل فيها ولو كان ملكاً .

(لا أتكلم البتة عن الملوك المسيحيين بصفة كونهم مسيحيين بل ملوكاً فحسب) .

١٤٣ — لهو . يكلَّف الناسُ منذ الصغر الحرصَ على الشرف والمال والاصدقاء وكذلك يكلَّفون الحرص على شرف الاصدقاء واموالهم . يرهقون بالاعمال وبتلقن اللغات والتمارين ، ويدخل في روعهم انهم لا يستطيعون الى السعادة سبيلاً ما لم تسلم صحتهم وشرفهم وثروتهم وصحة وشرف وثروة اصدقائهم ، حتى اذا نقص من هذا شيء واحد اصبحوا اشقياء .

ويوكل اليهم من التكاليف والاعمال ما يثقل كواهلهم منذ طلوع النهار — اراك تقول : « انها لطريقة غريبة لجعلهم سعداء ، فهل احسن من هذه الطريقة لجعلهم اشقياء ؟ » — ماذا ! اتسأل عما يجب عمله ؟ يجب الا يحرموا هذه المشاغل ، لأنهم اذا حرموها عاينوا انفسهم ، وتأملوا في ما هم عليه ، ومن اين اتوا ، والى اين هم صائرون ، فلا تخشى المبالغة اذن في تشغيلهم

وتحويل انظارهم ، ومن اجل ذلك ، بعد ان تُهيَّأ لهم هذه الوفرة من الاعمال يُنصح لهم ــ اذا الموا براحة ــ ان يستعملوها في اللهو واللعب وفي الانشغال الكلي .

ما افرغ قلب الانسان وما املأه بالرجس !

١٤٤ ــ كنت قد قضيت في درس العلوم المجردة زمناً طويلاً ، فسئمتها لقله ما يتعاطاها الناس ، وعندما شرعت في درس الانسان وجدت ان تلك العلوم المجردة ليست خاصة به وانني في تعمقي بها اكثر ضلالاً عن حقيقة حالتي من الذين يجهلون تلك العلوم . فغفرت للغير قلة معرفتهم بها ، على انه خُيل لي انني اجد على الاقل رفقاء في درس الانسان ، وانه الدرس الحقيقي الخاص به . فكنت مخدوعاً لان من يدرسونه اقل عدداً ايضاً من دارسي الهندسة . وما كان انصرافهم عن هذا الدرس الى غيره الاّ لأنهم لا يحسنون معالجته . ولكن الا يصح القول ان هذا العلم ايضاً ليس بالعلم الذي يصلح للانسان ، وان الافضل له ان يجهل نفسه ليكون سعيداً ؟

١٤٥ ــ فكرة واحدة تشغلنا ولانستطيع ان نفكّر في امرين معاً (...)

١٤٦ ــ من الواضح ان الانسان بُرئ ليفكر ، وفي هذا كل قدره ، وكل استحقاقه . وكل واجبه في ان يحسن التفكير . والحال ان نظام التفكير هو ان يبدأ الانسان بذاته وبخالقه وبمصيره .

والحال ، الى اي شيء ينصرف فكر العالَم ؟ ليس الى هذا أبداً . بل الى الرقص والغناء والشعر ، والخصام والى ان ينصب الانسان نفسه ملكاً دون ما تفكير فيما هو الملك وفيما هو الانسان .

١٤٧ ــ لا نكتفي بالحياة التي نحياها والقائمة في ذاتنا ، ولكن نود لو نحيا في فكر الآخرين حياةً تصورية . ونجهد نفسنا في الظهور . نعمل بلا انقطاع على تزيين ذاتنا التصورية وصيانتها ، ونهمل ذاتنا الحقيقية .

واذا توافرت فينا الطمأنينة او الكرم او الامانة اسرعنا الى اعلان ذلك حتى نلصق هذه الفضائل بذاتنا الأخرى ، واننا لنفصلها عن ذواتنا لنضمّها الى هذا الكيان الآخر . ونرضى ، عن طيبة خاطر ، ان نكون جبناء لنحصل على شهرة الشجاعة . انها الدلالة الكبرى على ما في كينونتنا من عدم اذ نحن لا نرتضي بهذه الذات دون الأخرى ونبدل غالباً احداهما بالاخرى ! لان مَنْ لا يموت محافظة على شرفه فهو مرذول .

١٤٨ — نحن من الغرور بحيث نريد ان تعرفنا الارض قاطبة ، بل ان يعرفنا حتى الذين يأتون بعد أن نزول ؛ ونحن من الازدهاء بحيث اننا ، اذا حُظينا بتقدير خمسة اشخاص او ستة ممن يحيطون بنا ، سررنا وارتضينا .

١٤٩ — لا نكترث لأن يقدرنا الناس فى المدن التي نجتازها كعابري السبيل ، ولكننا نكترث بذلك اذا وجب ان نقيم فيها بعض الوقت . فأي وقت هو ؟ انه الوقت الذي يقاس بحياتنا الحقيرة الباطلة .

الازدهاء متأصل فى قلب الانسان حتى ان جندياً ، او خادماً ، او طباخاً ، او حمالاً يتباهى ويريد ان يكون له المعجبون به ، وهو مبتغى الفلاسفة انفسهم ؛ امّا الذين يكتبون مستنكرين هذا فيريدون ان يكون لهم الفخر في حسن الكتابة . والذين يقرأونهم فيريدون ان يكون لهم الفخر في أنهم قرأوا — وانا الذي يكتب هذا قد تدب فيّ هذه الغيرة ، وقد يكون الذين يقرأون هذا ...

١٥١ — **المجد** . التعجب يفسد كل شيء منذ الصغر : ما اوقع هذا الكلام ! ما احسن ما صنع ! ما اعقله !

ان جماعة « پور رويال » الذين لا تثار فيهم حميّة الغيرة والمجد يستسلمون للخمول .

١٥٢ — **الكبرياء** . ما الفضول الاّ كبرياء : لا يريد الناس في الغالب ان يعرفوا شيئاً الاّ ليتكلموا عنه . والاّ لما خاضوا البحار اذا قضي عليهم

الاّ يتحدثوا بما رأوا . ولما ركبوها لمجرد لذة النظر ودون ما امل في ان يحدّثوا الغير عمّا رأوا .

١٥٣ — **الرغبة في ان نحظى بتقدير من نعايشهم**. الكبرياء تتملكنا تملكاً طبيعياً في وسط شقاواتنا وضلالاتنا الخ ... نفقد الحياة بسرور اذا كان الناس سيتحدثون عن ذلك .

اباطيل : اللعب ، والقنص ، والزيارة ، والروايات ، وخلود الذكر الكاذب .

١٥٤ — « (ليس لي اصدقاء) (لمنفعتك)[1] . »

١٥٥ — الصديق الصدوق هو من المنفعة لاعظم الناس قدرًا بحيث يجب ان يعملوا كل شيء للحصول عليه ، فيقول فيهم خيرًا ويساندهم حتى في غيابهم . ولكن عليهم ان يحسنوا الاختيار ، لانهم اذا اجهدوا النفس في سبيل الحمقى ، فما كان ذلك ليفيدهم مهما قال هؤلاء فيهم خيرًا ، فضلاً عن انهم لا يقولون الخير اذا كانوا في جماعة هم احقر من فيها ، لان السلطة تعوزهم عندئذ فيشتركون في النميمة مسايرة .

١٥٦ — يؤثرون الموت على السلم ، وغيرهم يؤثر الموت على الحرب .

كل مذهب يجوز ان يفضّل على الحياة ، التي يبدو حبها شديدًا طبيعياً بهذا المقدار .

١٥٧ — تناقض : احتقار الذات ، الموت في سبيل لا شيء ، كره الذات .

١٥٨ — **حِرَف** . عذوبة المجد هي من العظمة بحيث لو ربطناها باي غرض كان ، ولو بالموت ، لأحببناها .

١٥٩ — اجدر الاعمال بالتقدير الاعمال الجميلة المستترة . وعندما اقع على

---

١) هذه الخاطرة تفسرها التي تليها .

بعضها في التاريخ (كما في الصفحة ١٨٤)[1] فلشد ما تعجبني. على انها لم تكن مخفية تماماً لانها عُرفتْ. ولئن كانوا قد بذلوا المستطاع في سبيل اخفائها، لقد افسد كل شيء هذا اليسير الذي بدت منه، لان اجمل ما في الامر انهم ارادوا اخفاءها.

١٦٠ – العطاس يستغرق وظائف النفس جميعاً، شأنه بذلك شأن العمل. ولكننا لا نستخلص منه النتائج نفسها ضد عظمة الانسان، لانه حدث على رغمه، ولئن يكن الانسان قد احدثه الا انه على رغمه احدثه وما ابتغاه هو عينه بل أراد غاية اخرى: وعلى هذا فما كان العطاس دليلاً على ضعف الانسان وعلى عبوديته لهذا العمل.

ليس من المخجل ان ينوء الانسان تحت الألم، ومن المخجل له ان ينوء تحت اللذة، ولا يتأتى ذلك من ان الألم يأتينا من مكان آخر في حين اننا نبحث عن اللذة، لانه من الممكن ان نبحث عن الألم ونرزح تحته عمداً بدون هذا النوع من الصغارة. فما السبب اذن في ان رزوح العقل تحت جهد الألم مجدٌ له وان رزوحه تحت جهد اللذة عارٌ عليه؟ ذلك ان الألم ما كان ليغوي او يستهوي، بل اننا نقصد اليه اختياراً ونريد ان نسلطه على ذاتنا، بمعنى اننا اسياد الامر، وبذلك يكون الانسان قد رزح لنفسه، ولكنه في اللذة يكون قد رزح لها، والحال ليس ادعى للمجد كالسيادة والسلطان وللعار كالعبودية.

١٦١ – **غرور**. ما يدعو للاعجاب هو جهل معظم الناس لغرور العالم على وضوحه، حتى انهم يُبدون الدهشة والاستغراب للقول ان السعي للمعالي حماقة.

---

١) يرى هافيه ان پسكال يلمع الى الصفحة ١٨٤ من «المحاولات» لمونتين حيث جاء «ان هذه النبيلة الجميلة زوجة سابينيوس الروماني تحملت في سبيل مصلحة الغير آلام المخاض المريرة فولدت توأمين دون ان يسمع لها صراخ او انين، وهذا الفتى اللقديموني الذي سرق الثعلب وغطاه بقميصه كابد نهش هذا الحيوان لاحشائه ولم ينبث ببنت شفة مخافة ان يفتضح امره الخ ...

١٦٢ — من شاء ان يعرف الانسان في اباطيله فليتأمل في علل الحب ونتائجه . اما علته « فشيء لا اعرف ما هو » (كورناي) . امّا نتائجه فمريعة . هذا «الشيء الذي لا أعرف ما هو» الزهيد حتى انك لا تتبينه يحرّك الارض قاطبة ، والامراء ، والسلاح والعالم اجمع .

أنف كليوبطرا: لو كان اقصر ، لتبدل وجه الارض كلها .

١٦٣ — **غرور** . علة الحب ونتائجه : كليوبطرا.

١٦٤ — من لا يرى اباطيل العالم ، فهو بنفسه باطل ، ومن ذا الذي لا يراها اللهم الا الشبان وكلهم في الضوضاء واللهو والتفكير في الآتي . ولكن جرِّدهم من اللهو ترَهم يجفّون من الضجر ، ويشعرون عندئذ بعدمهم دون ان يعرفوه ، لان المرء تعيس حقاً بوجوده في كآبة تفوق احتماله حالما يضطر الى التأمل في نفسه وعدم التحول عنها .

١٦٥ — **خواطر** . لو كانت حالنا سعيدة حقاً، لما وجب ان نتحول عن التأمل فيها لنكون سعداء .

١٦٦ — معاناة الموت دون التفكير فيه اسهل من معاناة هذا التفكير .

١٦٧ — شقاء الحياة البشرية اوجد كل هذا . ولما رآه الناس تحولوا الى التلهي .

١٦٨ — **لهو** . لما عجز الناس عن تلافي الموت والشقاء والجهل ، رأوا ان يصرفوا الفكر عنها ليكونوا سعداء .

١٦٩ — ينشد السعادة ، برغم هذا الشقاء ، ولا يريد الاّ ان يكون سعيدًا ولا يستطيع ألاّ يريد ذلك ، ولكن كيف سبيله الى هذه الغاية ؟ لا سبيل له الا في ان يكون خالدًا ، ولكنه ، اذ تبيّن عجزه عن الخلود ، رأى ان يمنع نفسه عن التفكير فيه .

١٧٠ — **لهو** . لو كان الانسان سعيداً ، لزادت سعادته بمقدار ما قلّ تلهيه ، شأن الله والقديسين — أجل ! ولكن الا يكون سعيداً اذا استطاع السرور بالتلهي ؟

كلا ! لانه متأت من غير مكان ومن الخارج ، وعلى هذا فهو رهن بأمر آخر ، وهو ، والحالة تلك ، عرضة لان يعكّره الكثير من الحوادث التي تجلب أحزاناً لا مفرّ منها .

١٧١ — **شقاء** . لا يعزينا عن شقائنا الاّ اللهو ، وهو مع ذلك اعظم شقائنا ، لانه يمنعنا ، بوجه خاص ، من التأمل في ذاتنا ويؤدي بنا ، دون ما شعور ، الى الهلاك ، ولولاه لاستولى علينا السأم ، ولساقنا هذا السأم للبحث عن وسيلة امتن للتخلص منه ، ولكن اللهو يسلينا وينتهي بنا الى الموت دون ما شعور .

١٧٢ — نحن لا نحصر اهتمامنا بالحاضر فحسب. اننا نستبق الآتي على انه بطيء المجيء ، وكأننا نستعجله . او نستدعي الماضي لنستوقفه على انه مفرط في الاسراع ، ونحن من قلة التبصر بحيث نتيه في الاوقات التي ليست لنا ولا نفكر في الوقت الوحيد الذي نملكه ، ونحن من الغرور بحيث يذهب تفكيرنا الى الزمن الذي انقضى ونفلت الوقت الوحيد الذي بقي . ذلك ان الحاضر يجرحنا عادة . نحجبه عن النظر لانه يحزننا . فاذا راقنا اسفنا لتفلّته منا . نعمل على ان نسنده بالآتي ونفكر في تهيئة الامور التي تفوت مقدرتنا لزمن لا نضمن الوصول اليه ابداً .

فليتفحص كل واحد أفكاره ، يجدها مشغولة جميعها بالغابر والآتي ، نكاد لا نفكر في الحاضر ، ولا نفكر فيه الا لنستخلص منه ضوءًا لتهيئة الزمن الآتي ، وما كان الحاضر غايتنا قط : ان الماضي والحاضر وسائلنا ، اما الآتي وحده فغايتنا . وهكذا فنحن لا نعيش بل نأمل ان نعيش ، واذ كنا ابداً مستعدين لان نكون سعداء فقد تحتّم الا نسعد يوماً .

١٧٣ – يتشاءمون بالخسوفات على حلول المصائب ، لان المصائب معتادة ، والشر يقع بكثرة ، حتى انهم في الغالب يصيبون . فلو هم تفاءلوا بها على السعد لكذبوا كثيرًا ، لا ينسبون السعد الا لبعض العوارض النادرة في السماء ، وقلما يصيبون .

١٧٤ – **شقاء** . ما عرف شقاء الانسان وتكلّم عنه مثل سليمان وايوب : احدهما اسعد الناس والآخر اشقاهم . عرف احدهما اباطيل الملذات بالاختبار والآخر حقيقة الآلام .

١٧٤ مكرر – **شقاء** : ايوب وسليمان .

١٧٥ – معرفتنا بانفسنا هي من الضآلة بحيث ان كثيرين يظنون انهم اشرفوا على الموت بينما هم على تمام العافية ، وكثيرين يظنون انهم في تمام العافية بينما هم مشرفون على الموت ، لانهم ما شعروا بالحمى القريبة او بالخراج المتهيئ للتكوّن .

١٧٦ – كان كروميل على وشك ان يكتسح المسيحية جميعها ، وكانت الاسرة المالكة على شفير الهلاك ، ولكانت اسرته عظيمة ابدًا لولا حصاة رملٍ اعترضت مجرى مثانته . كانت روما على وشك ان ترتجف امامه ، بيد ان هذه الحصاة الصغيرة استقرت هناك . فقضى نحبه وأُذلّت اسرته وعاد السلام ، واستعاد الملك عرشه .

١٧٧ – [ضيوف ثلاثة] مَن حظي بصداقة ملك انكلترا وملك بولونيا وملكة اسوج[1] ، أكان يظن انه يعدم في العالم ملجأ ومستقرًا ؟

١٧٨ – « مكروب »[2] : ابرياء قتلهم هيرودوس .

---

١) إلماع الى شارل الاول الذي قطعت رأسه في السنة ١٦٤٩ ، والملكة خريستينا التي تنازلت عن العرش في سنة ١٦٠٤ وملك بولونيا يوحنا كازيمير الذي خلع عن العرش في السنة ١٦٠٦ .
٢) Macrobe كاتب لاتيني عاش في القرن الخامس وترك مصنفات جمة عن العاديات .

١٧٩ — لما درى اوغسطوس ان ولد هيرودس في جملة مَنْ أمر هذا بقتلهم من الاولاد الذين دون الثانية من عمرهم ، قال : « خير لك ان تكون خنزير هيرودس من ان تكون ولده » (مكروب) .

١٨٠ — العظيم والحقير عرضة للطوارئ ، والاكدار ، والاهواء نفسها . على ان احدهما في اعلى الدولاب والآخر قريب من وسطه واقل اهتزازاً بالحركات عينها .

نحن من التعاسة بحيث لا نستطيع التلذذ بشيء الاّ شرط ان نغتاظ من سوء عاقبته ؛ وكثيرة هي الأشياء التي يمكن ان تحدث هذا وتحدثه ابداً ودائماً . ومَن كشف سرّ الابتهاج بالخير دون الاغتياظ من الشر المعاكس فقد حلّ العقدة . تلك هي الحركة الدائمة .

١٨٢ — الذين يحتفظون بالرجاء الصالح في القضايا المكدّرة ويبتهجون بالحوادث الموفقة ، اذا هم لم يغتموا كذلك بالحوادث المشؤومة ، فثمة شبهة انهم مرتاحون لخسران القضية . وهم مغتبطون بان يجدوا علل الرجاء هذه ليظهروا انهم يعيرونها اهتماماً ويستروا بالفرح الذي يتكلفونه بسببها الفرحَ الذي ينتابهم لخسران القضية[1] .

١٨٣ — نجري دون اكتراث الى الهاوية ، بعد ان نضع امامنا ما يحجبها دوننا .

---

١) يبدو ان هذه الخاطرة الدقيقة متممة للسابقة . اي ان الذين لا يأخذون بعين الاعتبار الاّ الناحية الحسنة من الحوادث البشرية دون ان يغتموا بالحوادث السيئة ، فانما يفعلون ذلك لا عن تجرد او فلسفة بل بدافع المصلحة التي تربطهم بالحادث المعاكس ، وهي مصلحة يحاولون اخفاءها .

القسم الثالث

حتمية الرهان

١٨٤ — رسالة تدعو الى البحث عن الله .

ثم الى البحث عنه لدى الفلاسفة والمتشككين واهل المعتقدات الذين يزعجون من يبحث عنه .

١٨٥ — الله في تدبيره ينظم الامور برفق فيضع الدين في العقل عن طريق التعليل وفي القلب عن طريق النعمة ، ولكن من شاء أن يضع الدين في القلب والعقل بالقوة والتهديد فما وضع فيهما ديناً بل ارهاباً .

١٨٦ — « مخافة ان تبدو لهم السيطرة جائرة ، اذا هم سيقوا بالارهاب دون ان يكونوا على بينة من الامر » . (القديس اغوسطينوس)

١٨٧ — ترتيب . في الناس احتقار للدين ، وكراهية ، وخوف من ان يكون صحيحاً . ولتلافي ذلك يجب الشروع في البيان ان الدين لا يناقض العقل البتة ، وانه جدير بالاحترام ، ثم تحبيبه وجعل اهل الصلاح راغبين في ان يكون صحيحاً ، وانه جدير بالاحترام ، لانه عرف الانسان معرفة تامة ، محبب لانه يعد بالخير الحقيقي .

١٨٨ — فى كل مكالمة وخطاب ، يجب ان تستطيع القول للذين يتألمون منها « ممّ تشكون ؟ » .

١٨٩ — يجب اولا ان يُرثَى لحال الملحدين ، لان في حالتهم من الشقاء ما به الكفاية . ولا تجوز اهانتهم الآ اذا افادهم ذلك ، ولكنه يؤذيهم .

١٩٠ — يجب ان يرثى لحال الكفرة الباحثين . الا يكفيهم ما هم عليه من شقاء ؟ ويجب تجريح من يتباهون بالكفر .

١٩١ — وهل يهزأ هذا من الآخر ؟ ومن منهما يجب ان يهزأ ؟ ومع ذلك فان ذاك لا يهزأ من هذا بل يشفق عليه .

١٩٢ — يجب الأخذ على « ميتون » انه لا يتحرك اذ يبكّته الله .

١٩٣ — ما الحيلة في الناس الذين يحتقرون اصغر الأشياء ولا يؤمنون باعظمها شأناً ؟

١٩٤ — ... فليعلموا على الاقل ما هي الديانة التي يحاربونها قبل ان يحاربوها ، فلو كانت هذه الديانة تزعم انها ترى الله رؤية واضحة وانه منكشف لها دون ما حجاب لكفى ان يحاربوها بقولهم اننا لا نرى في الكون شيئاً يظهره بمثل هذا اليقين . ولكن بما انها تقول ، بالعكس ، ان البشر في الظلمات وفي بعد عن الله وانه دق عن مداركهم ، حتى ان اسمه ورد في الكتاب : الاله المتحجب ، ولمّا كانت تعمل لاثبات الامرين الآتيين : ١) ان الله قد وسم الكنيسة بدلائل محسوسة حتى يعرّف ذاته الى الذين يبحثون عنه بصدق طوية — ٢) وانه مع ذلك ستر تلك الدلائل حتى لا يراه الاّ الذين يبحثون عنه بصفاء قلب ، فأي افادة يفيدون اذ يتهاونون عند بحث الحقيقة ويصيحون ان لا شيء يظهرها لاعينهم ، ما دام الظلام الذي به يتخبطون ويتخذونه حجة على الكنيسة لم يكن الاّ ليثبت احد الامرين اللذين تقول بهما دون ما مساس بالآخر ، وما كان الاّ ليثبت تعليمها عوضاً عن ان يهدمه ؟

انه ينبغي لهم لاجل مناهضتها ان يصيحوا انهم قد بذلوا جهدهم للبحث عنها في كل مكان ، حتى في تعاليم الكنيسة ، ولكن بدون جدوى . فاذا تكلموا بهذا فقد حاربوا بعض مزاعمها حقاً ، على اني آمل ان ابيّن هنا انه ليس من رجل عاقل يستطيع ان يتكلم بهذه الطريقة ، حتى لأجرؤ

على القول انه لم يفعل ذلك احد قط ، اننا نعرف كيف يتصرف الذين ينطوون على هذه الروح . يعتقدون انهم بذلوا جهوداً عظيمة اذا صرفوا بضع ساعات في قراءة الكتاب المقدس او سألوا احد رجال البيعة عن حقائق الايمان . فيتبجحون بعد ذلك انهم بحثوا دون ما جدوى في الكتب وعند الناس . ولكنني اقول لهم ما طالما قلته من ان هذا التهاون لا يطاق . فما كان الامر هنا متعلقاً بمصلحة سطحية تعني غريباً من الناس . بل هو متعلق بنا نحن وبذاتنا الكلية .

ان خلود النفس مسألة من الاهمية لنا ومن العلاقة العميقة بنا بحيث يجب ان نكون قد فقدنا كل شعور كي لا نكترث بماهيتها ، ويجب ان تكون اعمالنا وافكارنا مختلفة الاتجاه بحسب ما نكون مؤملين او غير مؤملين بخيرات ابدية حتى ليستحيل علينا ان نسلك مسلكاً عن تعقل وتبصر ما لم نهتد اليه على وضح هذه النقطة التي يجب ان تكون غرضنا الاخير .

ان مصلحتنا الاولى وواجبنا الاول ان نلتمس الاستنارة عن هذا الموضوع الذي يتعلق به سلوكنا جميعه . واني من اجل ذلك اجد في من يعوزهم اليقين فرقاً عظيماً بين الذين يبذلون كل مجهودهم في تحرّيه وبين الذين يعيشون دون ما سعي اليه ولا تفكير فيه .

لا يسعني الاّ ان اشفق على الذين ينتحبون عن صفاء قلب وهم في هذا الشك ، على الذين يجدون فيه اعظم شقائهم ، الذين لا يتركون وسيلة الاّ توسلوا بها ليخرجوا منه وقد جعلوا من هذا البحث اهم مشاغلهم واعظمها شأناً .

اما الذين يصرفون العمر دون ما تفكير في الآخرة القصوى ، والذين بمجرد انهم لم يجدوا في ذاتهم الانوار التي تجعلهم من المعتقدين بها ، يهملون تحريها في موضع آخر ، والاستقصاء والسؤال هل هي من المذاهب التي يقبلها الشعب بسذاجة التصديق ، ام هي من المذاهب التي وان كانت غامضة بحد ذاتها الاّ انها تقوم على اساس راسخ لا يتزعزع ، — اما هؤلاء جميعاً فاني أنظر اليهم نظرة جدّ مختلفة .

ان هذا الاهمال في قضية تتعلق بهم انفسهم وبابديتهم ، وبكليتهم لمـّا يهيج فيّ السخط اكثر مما يهيج فيّ الرفق ، انه لاهمال يدهشني ويهولني : وهو ، عندي ، لوحشٌ مخيف . لا اقول هذا عن غيرة تقوى روحية ، بل افهم بالعكس ان هذا الشعور يجب ان ينشأ فينا بمقتضى مبدإ من مبادئ المصلحة البشرية والمصلحة الذاتية : ولكي تدرك ذلك لا يجب ان لا ترى الاّ ما يراه اقل الناس نورًا .

ليس على النفس ان تكون فائقة السمو لتدرك ان ليس في الأرض مسرّة حقيقية ثابتة ، وان جميع ملذاتنا ان هي الاّ اباطيل ، وان آلامنا لا نهاية لها ، واخيرًا ان الموت الذي يتهددنا في كل ثانية يضعنا حتماً بعد سنوات قلائل امام الضرورة المرعبة التي تقضي بان نكون إلى الآباد متلاشين او تعساء .

لا شيء يضاهي ذلك في حقيقته وفي رهبته . فلنتدرع البطولة ما شئنا : انها النهاية التي تنتظر اجمل حياة في العالم . فلنتبصرنّ في هذا ولنقل أثمـّة مفرّ من الجزم بان لا خير في هذه الحياة الاّ على رجاء حياةٍ اخرى لا نكون سعداء الاّ بمقدار ما نقترب منها ، وانه كما ان الذين ايقَنوا بالابدية كل اليقين يمسون ولا شقاء ، فان الذين ما نفذ اليهم نور من انوارها يصبحون ولا نعيم .

لا شك اذن في ان التخبط في الشك شرّ كبير ، بيد ان البحث هو ايسر ما يُفرَض على المتشككين . والمتشكك القاعد عن البحث تعس وجائر في وقت معاً ، فاذا كان على حالته تلك مطمئناً راضياً ، واعلن ذلك وتباهى به ، واذا كان يجعل من تلك الحال موضوع سروره ومباهاته ، فاني لا أجد تعبيرًا اصف به مخلوقاً على هذا الجانب من العته .

من اين للانسان هذه الأحاسيس ؟ اي فرح له في الاّ ينتظر غير الشقاء ؟ اي موضوع للمباهاة في ان يرى نفسه في الظلمات الكثيفة وكيف يجوز للرجل العاقل ان يتعلل بمثل هذا التعليل ؟

— « لا ادري من قذفني الى العالم ، وما هو العالم ، ولا من انا . جميع هذه الاشياء هي مجهولي المخيف ، لا أدري ما هو جسدي ، وما هي حواسي ونفسي . ولا ما هو هذا الجزء مني ، الجزء الذي يعقل ما أقول ، الذي يتأمل كل شيء ويتأمل ذاته فلا يعرف من امره ومن امر غيره شيئاً .

« ارى رحائب الكون المخيفة التي تحتضنني ، واراني لاصقاً بزاوية من هذا الامتداد الفسيح فما اعرف سبباً لوجودي في هذا المكان دون ذاك ، ولا سبباً لان يكون هذا الاجل القصير من الحياة قد خصّص لي في هذه النقطة لا في نقطة اخرى من الأزل السابق ومن الابد اللاحق . لا ارى من كل جانب الاّ لانهايات تشتمل عليّ كذرّة وكظل يستمر لحظة ولا يفيء . كل ما ادري اني لا محالة مائت . ولكن اكثر ما اجهله انما هو ذلك الموت عينه الذي لا أستطيع تلافيه .

« واذ كنت لا أعرف منشإي ، كذلك لست اعرف مصيري ، وكل ما اعلم هو انني بخروجي من هذا العالم سأقع الى الابد اما في العدم واما في قبضة اله ساخط ، دون ان اعلم اي المصيرين سيكون قسمتي الابدية . هذه هي حالي الملأى بالضعف والارتياب . فأستخلصُ من كل هذا انه يجب علي ان اقضي كل ايامي دون ان افكر في البحث عما سيحدث بي ، وقد اهتدي الى بعض النور الذي يفرّج شكوكي ، ولكنني لا أريد ان اتكلف ذلك ولا ان اخطو للسعي اليه خطوة واحدة . وانني ، اذ اضمر الاحتقار لمن يعنون بهذا ، اريد ان اذهب دون ما احتراس ولا خشية ، لاقتحم هذا الحادث الجلل ، وأساق مستسلماً الى الموت وانا في ريبة من الابد ومن مصيري » .

— من ذا الذي يرغب في صديق يتكلّم بهذا ؟ من ذا الذي يختاره ليكل اليه اعماله ؟ من يلجأ اليه في الأحزان ؟ والى اي مهمة من مهام الحياة يمكنك ان تعدّه ؟ انه لفخر للدين ان يكون اعداؤه رجالاً اغبياء بهذا المقدار ، وان مناوأتهم له ، فضلاً عن انها ضئيلة الخطر ، **فهي تساعد**

على اثبات حقائقه، لان الايمان المسيحي لا يذهب، او يكاد لا يذهب الاّ لاثبات واقعين: فساد الطبيعة وسرّ الفداء. والحال اني أؤكد ان هؤلاء اذا كانوا لا يساعدون على اظهار حقيقة الفداء بقداسة سيرتهم، فهم، في الاقل يساعدون اية مساعدة على اظهار فساد الطبيعة بما فيهم من اميال مضادة لها .

ليس ما هو اعظم شأناً للانسان من شأن نفسه ولا ارهب له من الابد . فوجود بشر لا يأبهون للهلاك ولخطر الشقاء الابدي ليس بالامر الطبيعي . ان مسلك هؤلاء يختلف تجاه سائر الأشياء : يخافون حتى احقرها ، ويترقبونها ويحسّونها . وهذا الانسان نفسه الذي يصرف الايام والليالي مغتاظاً يئساً لفقدانه منصباً او من اجل اهانة وهمية لحقت بشرفه ، هو نفسه الذي يعرف انه سيفقد كل شيء بالموت ، فلا يعتريه قلق ولا اضطراب . انه لامر في منتهى الغرابة ان نرى في قلب واحد وفي آن واحد هذا الشعور باحقر الاشياء وهذا اللاشعور العجيب ، اللاشعور باعظمها . انه لسحر يدق على الافهام وخمودٌ فائق الطبيعة يدل على قوةٍ كلية القدرة تسببه .

لا بدّ ان يكون في طبيعة الانسان اختلال غريب يتباهى هو بوجوده على هذه الحال التي يصعب التصديق ان يطيقها انسان . بيد ان الاختبار دلني على انها حالة اناس هم من الكثرة بحيث يدهشك ذلك لولا ان اكثرهم يتكلفها تكلفاً وهم في الواقع على غير ما يتظاهرون . انهم قوم سمعوا بان الاساليب البارعة في العالم عبارة عن الظهور بمظهر الجدة ، يُسمّون ذلك خلع النير ويحاولون التقليد . ولكن لا يصعب عليك ان تُفهمهم مبلغ اغترارهم اذا كانوا يسعون من وراء هذا الى تقدير الناس لهم . لان هذه الوسيلة ما كانت لتحمل على تقديرهم حتى بين الناس الذين يحكمون في الاشياء بسلامة العقل ويعرفون ان السبيل الوحيد الى هذا انما هو التحلي بالصلاح والامانة والحصافة والاهلية لخدمة الصديق خدمة نافعة ، لان البشر لا يحبون بالطبع الاّ من استطاع ان يسديهم نفعاً . فأي فائدة لنا ، والحالة هذه ،

اذا سمعنا قائلاً يقول لرجل انه خلع النير ، وانه لا يؤمن بوجود اله يسهر على اعماله ، وانه لا يفكر في ان يؤدي عنها حساباً إلاّ لنفسه ؟ هل يظن انه يحملنا بذلك على ان نثق به وننتظر منه التعزية والارشاد والمعونة في شتى حاجات الحياة ؟ هل يزعمون انهم يفرحوننا بقولهم ان النفس ان هي الاّ بعض هواء ودخان ، وان يقولوا ذلك بنبرة التباهي والسرور ؟ أهو امر يقال بمرح ؟ الا يجب ان يقال بكمد على انه ، في الحياة ، ادعى شيء الى الكمد ؟

انهم لو جدّوا في التفكير ، لوجدوا انهم من الانحراف عن الصواب ومن المضادة للرشد ومن المناقضة للصلاح ومن البعد في كل اساليبهم عن تلك الطلاقة التي يتوخونها بحيث يصبحون وهم اقرب الى تقويم اعوجاج الجانحين الى مشايعتهم عوضاً عن افسادهم . وفي الواقع ، سلهم ان يجادلوك في عواطفهم وفي الأسباب التي تجعلهم في شك من الدين ، يجيبوك بامور واهية سافلة الى حدّ انهم يجعلونك على يقين من عكس ما يزعمون ، وهذا ما دفع احد الناس الى ان يقول لهم هذا القول الصواب « اذا استمررتم على هذا النحو من الكلام فانكم تردونني الى الهدى » ولقد كان على حق ، إذْ مَن ذا الذي لا يتكرّه ان تكون له أميال يشاركه فيها اناس محتقرون إلى هذا الحد ؟

وعلى هذا فان الذين ما فتئوا يصطنعون هذه الاميال هم جد تعساء بإكراه طبائعهم ليصبحوا اكثر الناس صفاقة . فاذا كانوا ، في اعماق قلوبهم ، مغتاظين من انهم بحاجة الى النور فليعلنوا ذلك ، فما كان هذا الاعلان عارًا عليهم . وما العار الاّ في الافتقار الى النور . وليس أدل على السخافة المتناهية من ان يجهل المرء مقدار تعاسته بدون الله . ولا أدل على رداءة قلبه من ان لا يتمنى حقيقة الوعود الأبدية ، وليس اجبن من الاجتراء على الله . فليتركوا هذه الزندقات للذين فطروا على الشر فكانوا حقيقة خليقين بها ، وليكونوا على الاقل من ذوي الصلاح اذا لم يستطيعوا ان يكونوا

مسيحيين ، وليعترفوا اخيرًا ان ثمة فئتين من الناس يمكن ان يسموا عاقلين : وهم إما الذين يخدمون الله من كل قلوبهم لانهم يعرفونه ، وإمّا الذين يبحثون عنه من كل قلوبهم لانهم لا يعرفونه .

أمّا الذين يعيشون دون ان يعرفوه ويبحثوا عنه فهم يرون انهم غير جديرين ان يهتموا بانفسهم فهل يكونون جديرين باهتمام الغير ؟

يجب ان نكون مفعمين بالمحبة التي يفرضها الدين الذي يحتقرونه كيلا نحتقرهم ونتركهم في ضلالهم يعمهون . ولكن بما ان هذا الدين يجبرنا على ان ننظر اليهم ، ما داموا أحياء كأنهم قابلين للنعمة التي تنيرهم ، وان نعتقد بانهم قد يصبحون في وقت قريب اكثر منّا امتلاء بالايمان ، واننا قد نقع في العماية التي هم فيها ، فقد وجب ان نعمل في سبيلهم ما نود لو عملوه في سبيلنا لو كنا في الحال التي هم فيها ، وان نطلب اليهم ان يرفقوا بانفسهم ويتقدموا على الاقل بضع خطوات لعلهم يكتشفون انوارًا . فليخصصوا لهذه القراءة بعضاً من الساعات التي يصرفونها بشاغل آخر على غير طائل : فانهم مهما تكرهوا منها فقد يجدون فيها بعض الشيء ولا يخسرون شيئاً كثيرًا . على ان الذين ينصرفون باخلاص تام وبرغبة اكيدة الى ملاقاة الحقيقة ، فاني آمل انهم يصادفون الارتياح ويقتنعون بحجج هذه الديانة الالهية ، تلك الحجج التي جمعتُها هنا واتبعتُ في تنسيقها هذا الترتيب ...

١٩٥ – يقتضيني قبل الشروع في بحث براهين الدين المسيحي ، ان ابيّن زيغ الناس الذين لا يكترثون للبحث عن حقيقة امر عظيم الشأن لهم ، لاصقٍ بهم .

وهو بين جميع ضلالاتهم اكثرها دلالة على عمايتهم وجنونهم ولا ريب ، لكنه أقربها الى افحامهم حالما تقابلهم بالمعقول العام وبالمشاعر الطبيعية . اذ من الثابت ان امد هذه الحياة ان هو الا لحظة ، وان حالة الموت سرمدية ، اياً كان نوعها . وان جميع اعمالنا وافكارنا ، والحالة هذه ، يجب ان تكون مختلفة الاتجاه بحسب ماهية هذه الابدية ، بحيث يستحيل ان نسلك مسلكاً

عن تعقل وتبصر ما لم نهتد اليه على وضح هذه النقطة التي يجب ان تكون غرضنا الاخير .

ليس ما هو اظهر للعيان من هذا . ولو رجعنا الى مبادئ العقل لرأينا ان سلوك الناس منافٍ للعقل ان لم ينهجوا نهجاً آخر . واذا ما تبين لنا هذا ، فلنحكم بأمر الذين يعيشون دون ما تفكير في عقبى الحياة ، الذين ينقادون لاميالهم وملذاتهم دون ما تأمل ولا قلق ، الذين لا يفكرون الا في سعادة هذه اللحظة وحسب ، كأن باستطاعتهم ان يلاشوا الابدية بتحويل افكارهم عنها .

ولكن تلك الابدية باقية ، والموت الذي سيفتحها امامهم ويتهددهم في كل ساعة سيضعهم وشيكاً وحتماً امام الضرورة المريعة في ان يكونوا ، الى الابد ، اما متلاشين او تعساء دون ان يعرفوا اي الابديتين قد اعدت لهم الى ابد الدهر .

انه لشك رهيب العاقبة . انهم تجاه خطر ابدية من الشقاء؛ وهم مع ذلك ، كأن المسألة لا تستحق العناء ، يهملون البحث في هل هي من المذاهب التي يقبلها الشعب مبالغة منه في التصديق ام هي من تلك التي وان كانت غامضة بحد ذاتها ، الا انها تقوم على اساس شديد المتانة ولو مستتراً . وهكذا لا يدرون احقيقةٌ هو الامر ام ضلال ، أواهيةٌ الحجج ام قوية . انها نصب اعينهم ، وهم يرفضون التطلع اليها . وفي هذه الجهالة يستقر رأيهم على ان يعملوا كل ما من شأنه ان يوقعهم في ذلك الشقاء . وعلى ان ينتظروا الموت ليختبروا ما هم فيه ، على ان يكونوا مع ذلك شديدي الارتياح الى هذه الحالة ، وان يعلنوا ذلك ثم ان يتباهوا به .

أبامكانك ان تفكر في خطورة هذه القضية تفكيراً جدياً دون ان يهولك مسلك هذا مبلغه من الشذوذ ؟

ان الراحة في تلك الجهالة لامر عظيم الغرابة ، والذين يصرفون العمر فيها يجب ان نُشعرهم بمبلغ شذوذها وبلادتها اذ نمثلها لهم حتى نفحمهم

بمرأى ما هم عليه من جنون ، هذا هو تفكير الذين يؤثرون العيش في جهل من امرهم دون ان يستنيروا . يقولون « لا ندري » ...

١٩٦ — هؤلاء قوم لا قلب لهم ، فلن يكون لك منهم صديق .

١٩٧ — ان تكون عديم الشعور حتى انك تحتقر الامور المهمة . وان تصبح عديم الشعور بالامر الذي يستدعي جل اهتمامك ...

١٩٨ — ان يشعر الانسان بصغائر الامور وان لا يشعر بكبائرها ، ذلك دليلٌ على اختلال غريب .

١٩٩ — فلنتمثل عدداً من الناس في السلاسل ، مقضياً عليهم بالموت جميعاً ، يُنحَر بعضهم على مرأى بعضهم الآخر ، المتأخرون منهم يرون حالهم في حال اشباههم السابقين ، ينظر بعضهم الى البعض الآخر بالم ودون ما رجاء وينتظرون . تلك صورة الحال البشرية .

٢٠٠ — رجل في سجن ، لا يعرف هل صدر الحكم عليه ، وما هي الا ساعة حتى يعرف ذلك . فاذا كانت هذه الساعة كافية للعمل على ابطال الحكم ، لو عرف هو انه صدر ، فانه لامر مضاد للطبيعة ان يصرف هذه الساعة في لعب الورق عوضاً عن ان يصرفها في الاستعلام عن صدور الحكم . انه لأمر فائق الطبيعة ان يكون الانسان الخ ... ان هذا ثِقَل يد الله .

وعلى هذا فما كان الدليل على الله في غيرة الباحثين عنه فحسب بل في عماوة الذين لا يبحثون عنه .

٢٠١ — ما كانت اعتراضات هذا او ذاك من الناس إلاّ حجة عليهم لا على الدين . كل ما يزعمه الملحدون ...

٢٠٢ — (الذين يكتئبون من وجودهم بدون ايمان ، نرى ان الله لا ينيرهم ، اما الآخرون فنرى ان ثمة الهاً يعميهم) .

٢٠٣ — **سحر الاباطيل** (الحكمة ٤ : ١٢) . لكي لا تؤذينا الشهوة . فلنعمل كأن حياتنا ثمانية ايام لا غير .

٢٠٤ — اذا وجب ان نهب ثمانية ايام من الحياة ، فقد وجب ان نهب مائة عام .

٢٠٥ — عندما أتأمل أمد الحياة القصير ، الغارق في الأبد السابق واللاحق ، والمدى الصغير الذي املأه واراه ، الهاوي في لانهاية الرحائب العظيمة التي اجهلها وتجهلني ، ارتعب واعجب ان اراني في هذا المكان لا في مكان آخر ، اذ ليس من سبب في ان اكون في هذا لا في ذاك ، وان اكون الآن لا قبل . من ذا الذي وضعني فيه ؟ باية مشيئة وبأي تدبير قد أُعدّ لي هذا الزمان وهذا المكان «كذكر ضيف نزل يوماً ثم ارتحل» (الحكمة ٥ : ١٥) .

٢٠٦ — ان هذه الرحائب اللامتناهيات لتخيفني بصمتها الأزلي .

٢٠٧ — كم من الممالك تجهلنا .

٢٠٨ — ما لمعرفتي محدودة ؟ وقامتي ؟ ولِمَ حُدِّد اجلي بمائة عام لا بالف ؟ ولاي سبب اعطتنيه الطبيعة كما هو ، واختارت هذا العدد عوضاً عن غيره من الاعداد التي ليس في لانهائيتها من سبب لاختيار هذا او ذاك ، اذ ليس احدهما اكثر اغواء من الآخر ؟

٢٠٩ — هل انت اقل عبودية اذا احبك سيدك[1] وصانعك ؟ انك لسعيد ايها العبد . ان سيدك يصانعك . وسيضربك عما قليل .

٢١٠ — آخر فصل من الرواية دامٍ . مهما كانت جميلة في سائر اقسامها : يهال التراب على الرأس ، ويُقضى الامر الى الابد .

---

١) السيد هنا اللذة .

٢١١ – نحن مضحكون اذ نرتاح الى معاشرة امثالنا : ان فيهم حقارتك وعجزك فلا ترجى منهم مساعدة ؛ وستموت وحيداً فيجب ان تعمل اذن كما لو انك وحيد . فهل تبني عندئذ منازل رائعة الخ ؟.. بل ستبحث عن الحقيقة دون ما تردد . فاذا اعرضت عنها اظهرت انك تعتمد على تقدير الناس اكثر من اعتمادك على البحث عن الحقيقة .

٢١٢ – **زوال** . انه لامر هائل ان نشعر بزوال كل ما نملك .

٢١٣ – لا يقوم بيننا وبين الجحيم او السماء الا الحياة وهي اوهى ما في العالم .

٢١٤ – **ظلم** . ان يقترن الزهو بالفاقة ، ذلك منتهى الجور .

٢١٥ – خشية الموت بعيداً عن الخطر لا في الخطر ، اذ يجب ان تكون رجلاً .

٢١٦ – الموت المفاجئ يُخشى وحده . ومن اجل ذلك يقيم المُعرِّفون عند العظماء .

٢١٧ – هذا وارث يجد صكوك منزله . هل يقول « قد تكون مزوّرة ؟ » وهل يهمل تدقيقها ؟

٢١٨ – **سجن** . ارى من الحسن الا نتعمق في مذهب كوپرنيك : ولكن بهذا ... ! كل ما يهم الحياة هو أن يُعرَف أخالدة النفس أم غير خالدة .

٢١٩ – لا شك في ان علم الاخلاق يختلف اختلافاً تاماً بحسب ما تكون النفس خالدة او غير خالدة . ومع ذلك فقد ساق الفلاسفة علم الاخلاق بمعزل عن ذلك : يتداولون لقضاء ساعة .

افلاطون مهّد للمسيحية .

٢٢٠ — ضلال الفلاسفة الذين لم يجادلوا في خلود النفس. وضلالهم في الاعتماد على البرهان ذي الحدين عند مونتين[١].

٢٢١ — يجب ان يقول الملحدون اشياء تامة الوضوح[٢]، والحال انه ليس في تمام الوضوح أبدًا ان تكون النفس مادية.

٢٢٢ — **الملحدون**. ما حجتهم على استحالة البعث؟ ايهما أصعب ألولادة أم البعث، اكينونةُ ما لم يكن قط، ام استمرارُ كينونةِ ما قد كان؟ هل مجيء الكائن اصعب من عودته كائناً؟ العادة تجعل احدهما سهلاً وعدمها يجعل الآخر مستحيلاً: انه لحكم العامة.

لمَ لا تستطيع العذراء ان تلد؟ الا تكوِّن الدجاجة بيضها بمعزل عن الديك؟ ومن يقول لنا ان الدجاجة لا تستطيع ان تكوِّن الزرع في البيضة كالديك؟

٢٢٣ — ما هو اعتراضهم على البعث وعلى ولادة العذراء؟ ايهما اصعب، إنسالُ انسان او حيوان او اتلاده ثانية؟ انهم لو لم يشاهدوا نوعاً من البهائم، هل يمكنهم ان يحزروا انها تتناسل بدون اختلاط؟

٢٢٤ — كم اكره حماقاتِ مَنْ لا يعتقدون بالافخارستيّا الخ. فاذا كان الانجيل حقيقياً وكان المسيح هو الاله، فاي صعوبة بهذا؟

٢٢٥ — الالحاد دليل على قوة العقل، ولكن الى حد.

٢٢٦ — الملحدون الذين يعلنون انهم يتبعون العقل يجب ان تتوافر لهم قوة فيه عجيبة. فما عساهم قائلين؟ يقولون «الا نرى ان البهائم تحيا وتموت

---

١) اشارة الى المذهب الفلسفي القائل: ان النفس اما فانية واما خالدة، فان كانت فانية فلا عقاب ولا ثواب، وان كانت خالدة امكنها التدرج في اصلاح ذاتها.

٢) «اني لافرض على الذين يناهضون المذهب العام والقواعد الكبرى ان تكون معرفتهم اوسع من معرفة الآخرين، وان تكون لديهم الاسباب الواضحة والحجج القاطعة التي تحمل على الاقتناع». (لابرويار).

كالبشر والاتراك كالمسيحيين ؟ ان لهم مثلنا احتفالاتهم ، وانبياءهم ، وملافنتهم وقديسيهم وكهنتهم الخ..» (اهذا منُافٍ للكتاب ؟ اما هو يذكر كل هذا ؟) .

اذا كنتم لا تهتمون البتة بمعرفة الحقيقة ، فذاك يكفيكم لتكونوا في راحة . اما اذا كنتم تنشدون الحقيقة من صميم قلوبكم ، فما كان ذلك كافياً . بل واجهوا الامر تفصيلاً . ولو كنتم في معرض قضية فلسفية لكان ذلك كافياً . ولكن هنا حيث محور كل شيء ... ومع ذلك بعد توقف يسير عند هذا التأمل تتلهون الخ ... فليسألوا هذا الدين نفسه حتى لو لم يُبدِ سبباً لهذا الغموض : لعله ينبئنا به .

٢٢٧ — **ترتيب في الحوار** . « ماذا علي ان افعل ؟ لا ارى الا ظلمات في كل مكان . أأعتقد اني لا شيء ؟ أأعتقد اني الله ؟ » « كل الاشياء تتبدل وتتعاقب » — انك لمخطئ ، فثمة ...

٢٢٨ — اعتراض الملحدين « ولكننا لا نرى اي نور » .

٢٢٩ — هذا ما اراه ويقلقني . اني انظر في كل ناحية فلا ارى الا ظلاماً . لا تبدي لي الطبيعة شيئاً الا وهو موضوع شك وقلق . فاذا لم ار ما يدلني على الوهية ، انكرتها ، واذا رأيت في كل مكان دلائل على خالق ، فقد ارتحت في الايمان بسلام . ولكن الذي اراه هو اكثر من ان استطيع معه الانكار ، واقل من ان استطيع معه التيقن ، بحيث اني في حالة تدعو الى الاشفاق ، اتمنى معها مئة مرة لو ان هذه الطبيعة ، ان يكن ثمة اله يسندها ، دلت عليه دون ما ابهام ، واتمنى ، اذا كانت دلائلها عليه خداعة ، لو انها ازالت تلك الدلائل ازالة تامة ؛ واتمنى لو انها لم تقل شيئاً او انها قالت كل شيء حتى ارى اي سبيل اسلك ، عوضاً عن ان اكون فيما انا فيه جاهلاً ما انا وما علي ان افعل فلا اعرف حالتي ولا واجبي . ان قلبي لينزع بكليته الى معرفة مقر الخير الحقيقي حتى اتبعه ولا ثمين لدي الا وابذله في سبيل الابدية .

اني احسد الذين يعيشون في الايمان بمثل هذا الاهمال ويسيئون استعمال موهبة يلوح لي انني استعملها على وجه جد مختلف .

٢٣٠ — لا يُدرَك ان يكون الله ، ولا يُدرَك الاّ يكون ؛ وان تكون النفس متحدة بالجسد ، والا تكون لنا نفس ، ان يكون الكون قد بُرئ ، والا يكون الخ .. وان تكون الخطيئة الاصلية ، والاّ تكون .

٢٣١ — اترون مستحيلاً ان يكون الله غير متناه بدون اجزاء ؟
— نعم — سأريكم اذن شيئاً غير متناه وغير متجزئ . هي نقطة تتحرك في كل مكان بسرعة لا حد لها . لانها واحدة في كل الامكنة وهي بكليتها في كل مكان .

فليعرّفكم مفعول الطبيعة ، هذا الذي كنتم تحسبونه من قبل مستحيلاً ، ان هناك مفاعيل اخرى لا تعرفونها بعد . ولا تستنتجوا من علمكم هذا انكم عرفتم كل شي ؛ بل أنّ ما لا تعرفونه لا حد له .

٢٣٢ — الحركة غير المتناهية ، النقطة التي تملأ الكل ، أوان السكون : لانهائي متناهٍ بلا كمية ، غير مُتجزئ ولا نهائي .

٢٣٣ — **لا نهائي ، لا شيء .** [1] نفسنا ملقاة في الجسد حيث تجد العدد والوقت والمقاييس . تفكر في ذلك وتسميه طبيعة وضرورة وليس في وسعها ان تصدق غيره .

العدد الواحد المقترن باللانهاية لا يزيد عليها شيئاً ، ولا قياس القَدَم

١) يقول « بور روايال » في شرحه لخاطرة پسكال هذه « ان ما تنطوي عليه لا يعني الا فئة من الناس لا تقنعهم براهين الدين ولا حجج الملحدين فيظلون متأرجحين بين الايمان والالحاد . فيحاول ان يبين لهم ، بالاستناد الى مبادئهم نفسها والى مجرد انوار العقل ، ان عليهم ان يحكموا بانه من الانفع لهم ان يؤمنوا وان هذا هو السبيل الذي يجب ان يسلكوه اذا كان الخيار منوطاً بارادتهم ، وان عليهم ، ريثما يهتدون الى النور الذي يكشف لهم الحقيقة ، ان يفعلوا كل ما من شأنه ان يهيئهم لها وينعتقوا من العوائق التي تحول دون الايمان واخصها الاميال وباطل الملذات » .

الواحدة المضافة الى مقياس غير متناه . المنتهى يتلاشى امام اللانهاية ويصبح عدماً محضاً . كذلك عقلنا تجاه الله ، وعدلنا امام العدل الالهي . وما كان التفاوت بين عدلنا وعدل الله باعظم منه بين العدد الواحد واللانهاية . يجب ان يكون عدل الله واسعاً كرحمته[١] . والحـــال انه اقل اتساعاً تجاه الهالكين ، ويجب ان يحدث فينا صدمة هي دون ما تحدثه فينا الرحمة نحو المختارين[١] .

نعرف ان ثمة لانهاية ونجهل ماهيتها . وبما اننا نعرف خطأ القول ان للاعداد نهاية ، فمن الصحيح اذن وجود عدد لا نهائي . ولكننا لا نعرف ما هو : من الخطإ انه وِتْر ، ومن الخطإ انه شَفْع ، لانك اذا اضفت اليه عدداً واحداً فما تبدلت ماهيته ، ومع ذلك فهو عدد . وكل عدد فهو اما وِتْر واما شَفْع (الحقيقة ان ذلك يطبق على كل عدد ذي نهاية) . وعلى هذا فبالامكان ان تعرف ان ثمة الهاً دون ان تعرف ما هو .

اما وقد رأينا اشياء كثيرة ليست هي الحقيقة بعينها ، او ليس ثمـــة حقيقة جوهرية ؟

نحن ندرك اذن وجود المنتهى وماهيته لاننا مثله نهاية وامتداداً . ونحن ندرك وجود اللانهاية ونجهل ماهيتها لان لها امتداداً مثلنا وليس لها حدود مثلنا . ولكننا لا ندرك وجود الله ولا ماهيته لانه لا امتداد له ولا حدود .

ولكننا بالايمان ندرك وجوده ، وبالمجد سندرك ماهيته ، وقد تقدم لي انه بالامكان ان ندرك وجود شيء دون ادراكنا ماهيته .

---

١) يقول بوسويه في رسالته عن التاريخ العام « ان قواعد العدل البشري قد تساعدنا على الدخول في عمق العدل الالهي التي هي ظل له ، ولكنها لا تمكننا من سبر غور هذه اللجة . ولنؤمن بان عدل الله ورحمته يأبيان ان يقاسا بمثلها عند الناس . فلهما آثار لشد ما هي اعمق واشمل » .

ان ما يبعث على النفور في العدل نحو الهالكين انما هو انتقال خطيئة الفرد الى الناس جميعاً . بيد ان جانسينيوس يرى ان هذا مطابق لناموس الوراثة والتضامن الذي يتحكم في الطبيعة . وان الرحمة التي تتيح الخلاص والنعيم لمن لا استحقاق لهم ، هي ، على العكس ، مناقضة للنظام الطبيعي ، وهي تجاه العقل معلول بدون علة .

فلنتكلم الآن بحسب الانوار الطبيعية .

اذا كان ثمة اله ، فانه في بُعد عن المدارك لا نهاية له لانه اذا كان لا اجزاء له ولا حدود فلا مقايسة لنا به أبداً .

فنحن اذن عاجزون عن ادراك ماهيته ووجوده . وعلى هذا فمن ذا الذي يجرؤ على محاولة حل هذه القضية ؟ ليس نحن الذين لا مقايسة لنا به .

من ذا الذي يلوم المسيحيين ، والحالة هذه ، اذا هم عجزوا عن اقامة الدليل على صواب معتقدهم وهم الذين يعتنقون ديانة لا يستطيعون الدلالة على صوابها ؟ انهم يعلنون ، اذ يعرضونها على العالم ، ان ذلك حماقة[١] ، وتتظلمون بعد ذلك من انهم لا يقيمون البرهان عليها ، انهم لو برهنوا عليها لما استطاعوا ؛ وهم بافتقارهم الى البراهين لا يفتقرون الى البصيرة . « نعم ولكن اذا كان في ذلك عذر لمن يعرضونها على هذا الوجه ، واذا كان فيه ما يرفع الملامة عنهم لاظهارها بدون دليل فما فيه عذر للذين يرتضونها » . فلنبحث اذن في هذه النقطة ولنقُل : « الله إما ان يكون وإما ألاّ يكون » . ولكن الى اي جهة نميل ؟ العقل لا يستطيع ان يجزم بشيء : فدوننا ودون ذلك فضاء غير متناه . وفي اقصى هذه المسافة اللامتناهية تُلعَب لعبة لا ندري ما نتيجتها (croix ou pile) . على مَ تراهن ؟ انك بحسب العقل لا تستطيع ان تراهن على هذا ولا على ذاك ، وبحسب العقل لا تستطيع ان تدافع عن كليهما . فلا تتهمن بالضلال الذين قد اختاروا ؛ لانك لا تعرف من اختيارهم شيئاً . — « لا . ولكني لائمهم ليس لانهم اختاروا هذا ، بل لمجرد انهم اختاروا ، لانه وان يكن الذي راهن على هذا في خطإ الذي راهن على ذاك ، فكلاهما مخطئ : والصواب في عدم المراهنة . » — نعم ولكن المراهنة واجبة ، وليست اختيارية ، لانك خائض في الميدان . فاي الامرين تتخير ؟ وبما ان الاختيار محتوم فلنرَ الامر الذي يعنيك اقل من

١) لانه قد كتب : سأبيد حكمة الحكماء وارذل عقل العقلاء (بولس الى اهل كورنتس ١-١٩) .

الآخر . لك ان تخسر شيئين : الحقيقة والخير ، وان تعرّض شيئين : عقلك وارادتك ، معرفتك وسعادتك . ولطبيعتك ان تتقي شيئين : الضلال والشقاء . ان عقلك لا يؤذيه اختيار هذا اكثر من اختياره ذاك ما دام الاختيار محتوماً . هذه نقطة فرغنا منها . ولكن سعادتك ؟ فلنوازن بين الربح والخسران مراهنين ان الله موجود . ولنعتبر هذين الواقعين : اذا ربحت فقد ربحت كل شيء ، واذا خسرت فانك لا تخسر شيئاً ، فراهن اذن على انه موجود ولا تتردد . — « ما اعجب هذا الكلام . اجل يجب ان اراهن ، ولكن قد اكون مجازفاً في الرهان » . — لعمري ، بما ان حظ الربح يعادل حظ الخسران اذا لم يكن لك ان تربح الا حياتين مقابل حياة واحدة ، فبوسعك ان تراهن . ولكن اذا كان لك ان تربح الحياة ثلاثاً فيجب ان تقامر (بما ان الضرورة تقضي بان تقامر) ، وانه لمن الغباوة ، اذا كنت مجبراً على اللعب ، الا تخاطر بحياتك لتربح منها ثلاثاً في لعبة يتعادل فيها حظ الخسارة والربح . ولكن هناك ابدية حياة وسعادة . وما دام الامر كذلك عندما يكون في جانبك حظ واحد من حظوظ لا حصر لها ، فانك على صواب اذا خاطرت بواحد لتحصل على اثنين . وانك على خطإ عندما تكون مجبراً على اللعب وترفض ان تخاطر بحياة مقابل ثلاث في لعبة يكون لك فيها حظ واحد من حظوظ لا حصر لها اذا كان الربح لانهاية حياة في لانهاية من السعادة . ولكن الربح هنا لانهاية حياة في لانهاية سعادة . وهنا حظ الربح واحد مقابل عـــدد محدود من حظوظ الخسران ، والذي تخاطر به محدود . فلا وجه اذن للتردد : فحيث تكون اللانهاية ولا تكون حظوظُ الخسران غيرَ متناهية مقابل حظ الربح ، فلا مجال للتردد بل يجب بذل كل شيء . وعليه فمتى كنت مجبراً على اللعب وجب ان تجحد العقل لتحتفظ بالحياة عوضَ ان تخاطر بها في سبيل ربح غير متناه وشيك الحدوث كخسارة العدم .

اذ لا فائدة من القول بانك في ريبة من الربح وانك على يقين من انك تخاطر ، وان البعد الذي لا حد له بين يقينك بالمخاطرة وريبتك في الربح

يساوي الخير المحدود الذي تعرضه بلا شك الى لانهائي غير محقق. ان الامر هنا لمختلف، فكل لاعب موقن بانه يخاطر فيما هو مرتاب بالربح، وهو مع ذلك يخاطر ولا شك بالمحدود ليربح ربحاً غير محقق، ويفعل ذلك دون ان يسيء الى العقل. ليس من بعد غير محدود بين هذا اليقين بالمخاطرة والشك بالربح، ان ذلك خطأ. والحقيقة ان هناك لانهاية بين اليقين بالربح واليقين بالخسارة، بيد ان الشك في الربح يقاس بيقين المخاطرة بنسبة حظوظ الربح والخسارة، ويفضي بنا ذلك الى ان الحظوظ اذا تعادلت من جهة ومن اخرى تحتم اللعب بين متعادِلَين، وعندئذ يعادل يقين المخاطرة بشك الربح، وما كان تباعدهما مما لا حد له. وهكذا تقوم قضيتنا على قوة غير محدودة متى كانت حظوظ الربح والخسارة يعادل بعضها بعضاً في الربح، وكان ما تخاطر به محدوداً وما نتوخى ربحه غير محدود. ان في ذلك لتبياناً؛ واذا كان في طاقة الناس ان يدركوا حقيقة من الحقائق، فالحقيقة تلك في طاقتهم.

— «اني اعترف بهذا واقر به، ولكن أليس من سبيل لمعرفة خفايا اللعب؟»

— نعم، الكتاب وغيره الخ.

— «نعم؛ ولكن يديّ مقيدتان وفمي ابكم. يجبرونني على المراهنة وانا غير حر، لا يطلقون سبيلي، واني في حال لا يسعني معها ان اكون مؤمناً. فما عساي ان اصنع؟»

— هذا صحيح، ولكن اعلم على الأقل بعجزك عن الايمان بما ان عقلك يدفعك اليه فيما انت لا تستطيعه، وانصرف اذن، ليس الى اقناع نفسك بالاستزادة من الأدلة على الله، بل بانقاص شهواتك. انك تنشد الايمان ولا تعرف اليه سبيلاً، تود لو تشفى من الكفر وتطلب الدواء: تَعلَّم من الذين كانوا مقيدين مثلك وهم الآن يراهنون على كل ما يملكون، انهم اناس يعرفون السبيل الذي تود لو تسلكه انت. وقد برئوا من الداء

الذي تريد ان تبرأ منه . فاتبع الطريقة التي ابتدأوا منها : لقد عملوا كما لو كانوا مؤمنين فتناولوا الماء المقدس واستتلوا القداديس الخ . وبالطبع فان هذا يجعلك مؤمناً وأبله[1] — « وان هذا ما أخشاه » — ولماذا ؟ اي خسارة تخسر ؟

ودليلي على ان هذا الامر ينتهي بك الى الغاية ،هو كونه ينقص من اهوائك التي هي عقباتك الكبيرة .

نهاية هذا الخطاب . واي ضرر يصيبك من ذلك ؟ انك ستصبح أميناً ، صالحاً ، وديعاً ، وفياً ، باراً ، وصديقاً صدوقاً حقيقياً . في الواقع انه لن تكون لك اللذات النتنة ، والمجد والنعيم ، ولكن الا يكون لك غيرها . اقول لك انه سيصيبك من ذلك مربح في هذه الحياة ، وانك في كل خطوة تخطوها تجد ، من اليقين في الربح ومن العدم في كل ما تخاطر به ، ما تعترف معه في النهاية بانك راهنت على امر اكيد غير متناه لم تُعطِ بمقابله شيئاً .

— « ان هذا الخطاب ليبهجني ويسبيني الخ » .

— اذا كان هذا الخطاب يروقك ويبدو قوياً ، فاعلم انه عمل رجل جثا على ركبتيه ، قبل وبعد ، امام الذات الالهية المنزهة عن الاجزاء ، وابتهل اليها ان تخضع لها ذاتك ايضاً من اجل خيرك ومن اجل مجد الله ، وهكذا تتفق القوة وهذه المذلة[2] .

٢٣٤ — لو كان لا ينبغي ان نعمل شيئاً الا في سبيل المحقق لما وجب ان نعمل شيئاً في سبيل الدين ، لان الدين غير محقق . ولكننا كم نعمل في سبيل غير المحقق كالاسفار في البحار والمعارك ! اقول اذن انه لا ينبغي ان نعمل شيئاً البتة ، لان ما من شيء محقق ؛ وان في الدين من المحقق ما يفوق تحققنا من ان نرى النهار غداً . لانه ليس من المحقق ان نرى الغد ،

---

١) جعله ابله في المعنى الذي يقصده پسكال اي اعاده الى الطفولة ليدرك الحقائق السامية التي تفوت حكمة انصاف العلماء .

٢) اي ان قوة الخطاب التي يعترف بها الملحد تتفق مع السجود والصلاة التي يعتبرها مذلة .

ولكن من الممكن حقاً الا نراه. لا يصح مثل هذا القول في الدين. ليس من المحقق ان يكون، ولكن من يجرؤ على القول انه من الممكن حقاً الا يكون؟ والحال ان العمل في سبيل الغد وفي سبيل غير المحقق عمل معقول؛ لان العمل في سبيل غير المحقق واجب بمقتضى قاعدة الرجحان التي قام الدليل على صدقها.

رأى القديس اغوسطينوس ان الناس يعملون في سبيل غير المحقق فوق البحار، وفي الحروب، الخ. ولكنه لم يرَ قاعدة الرجحان التي تدل على انهم يجب ان يعملوا. ورأي مونتين ان الناس يتكرهون العقل الاعرج وان العادة تستطيع كل شيء، ولكنه لم ير علة هذا المعلول.

جميع هؤلاء الاشخاص رأوا المعلولات، ولكنهم لم يروا علاتها، فهم، تجاه الذين اكتشفوا العلات، كالذين ليست لهم الا العيون تجاه الذين لهم العقل؛ لان المعلولات كالمحسوسات. اما العلات فلا يراها غير العقل، ولئن تكن هذه المعلولات مرئية عن طريق العقل الا ان هذا العقل هو، تجاه العقل الذي يرى العلات، كالحواس الجسدية تجاه العقل.

٢٣٥ — لقد شاهدوا الشيء ولم يروا علته. (القديس اوغسطينوس).

٢٣٦ — تقضي قاعدة الرجحان بان تجتهد في البحث عن الحقيقة، لانك اذا مت ولم تعبد المصدر الحقيقي كنت هالكاً، وقد تقول «لكنه لو شاء ان اعبده لترك لي دلائل على مشيئته». — انه فعل، غير انك تهمل البحث. فابحث؛ ان الامر لجدير بذلك.

٢٣٧ — يجب ان يختلف نمط الحياة في العالم بحسب هذه الافتراضات المختلفة: ١) اذا كان بامكاننا البقاء فيه ابداً. ٢) اذا كان من الثابت الا نبقى فيه طويلاً ومن غير المحقق ان نبقى فيه ساعة واحدة. ان هذا الافتراض الاخير هو افتراضنا.

٢٣٨ — واخيراً ما عساك ان تعدني بسوى عشر سنوات من الأنانية

اصرفها في محاولة الارضاء عبثاً ، فضلاً عما ينالني من مشقات كبيرة (لان عشر سنوات هي القسمة) ؟

٢٣٩ — **اعتراض** : الذين يأملون بالخلاص هم سعداء ، ولكن يقابل ذلك خوفهم من الجحيم .

الجواب : من هو اكثر تخوفاً من جهنم ، أذلك الذي يجهل وجودها بينما هو موقن بالهلاك الابدي ، هذا اذا كانت جهنم موجودة ، ام ذلك الذي يوقن بوجودها بعض اليقين بينما هو آمل ان يخلص اذا كانت موجودة ؟

٢٤٠ — يقولون : « لو كان لنا الايمان لما عتمنا ان تركنا الملذات » ، وانا اقول لكم : « لا تلبثون ان تحصلوا على الايمان لو تركتم الملذات » . فالمبادرة لكم . ولو استطعت لاعطيتكم الايمان ، بيد اني لا استطيع ، ولا استطيع بالتالي ان اختبر حقيقة ما تقولون ، ولكن فى وسعكم ان تهجروا الملذات وتختبروا حقيقة ما اقول .

٢٤١ — **ترتيب** . ان خشيتي من ان اخطئ ثم اجد أنّ الدين المسيحي حقيقي ، لتفوق خشيتي من ان اخطئ باعتقادي انه حقّ .

القسم الرابع

وسائل الايمان

٢٤٢ — مقدمة الجزء الثاني : البحث في الذين عالجوا هذا الموضوع .

اني لأعجبُ لهؤلاء الناس باية جسارة يتكلمون عن الله . فهم ، اذ يوجهون كلامهم الى الملحدين ، يشرعون في الدلالة على وجوده بصنائع الطبيعة . وما كنت لادهش لعملهم لو كانت اقوالهم موجهة الى المؤمنين ، لانه من الثابت ان الذين عمرت قلوبهم بالايمان الحي يرون فوراً ان كل ما وجد انما هو من صنع الاله الذي يعبدون . اما الذين انطفأ فيهم ذلك النور ، الذين نقصد الى اضرامه فيهم ، هؤلاء الناس الذين تجردوا من الايمان والنعمة ، الذين يبحثون بكل ما فيهم من نور كلّ ما يرونه في الطبيعة ومن شأنه ان يقودهم الى هذه المعرفة ، ان هؤلاء لا يجدون الا ظلمات ودياجير . فقولك لهؤلاء انه يكفيهم ان يروا احقر الأشياء المحيطة بهم فيروا الله منكشفاً ، واسنادك هذا الموضوع الخطير الى مجرد الدليل القائم على سير القمر والكواكب ، وزعمك بعدئذ انك استكملت دليلك عليه بمثل هذا الخطاب ، لمما يفضي بهم الى الاعتقاد ان البراهين التي تقوم عليها ديانتنا واهية جداً . وانى ارى بالعقل والاختبار انه لا امر كهذا من شأنه ان يولد فيهم احتقارها .

ان الكتاب المقدس الذي هو ادرى بصنائع الله لم يتكلم عنه على هذه الصورة ، بل هو يقول بالعكس ان الله اله متحجب ، انه من يوم فسدت الطبيعة تركهم في عماوة لا تنجلي الا بالمسيح الذي لا اتصال بالله بدونه :

« ولا يعرف احد الآب الا الابن » ...

ذلك ان الكتاب يدلنا في مواضع كثيرة على ان من طلب الله وجده . وما كان هذا النور « كالنهار عند الظهيرة » ولا وجه للقول ان الذين يبحثون عن النهار في الظهيرة او عن الماء في البحر يجدونه ، فقد وجب الا يكون الله واضحاً في الطبيعة الى هذا الحد اذ يقول الكتاب « حقاً انك الاله المتحجب » .

٢٤٣ — من الأمور التي تدعو الى الاعجاب الا يكون رجل من رجال الشريعة قـــد استعان الطبيعة للدلالة على الله ، فجميعهم ينزعون الى جعله مقتعداً به . ان داود وسليمان وغيرهما لم يقولوا قط « ليس من خلاء فالله اذن موجود » . وينبغي ان يكونوا احذق من احذق الناس الذين جاؤوا بعدهم واستعانوا الطبيعة جميعهم . ان هذا لعظيم جداً .

٢٤٤ — « وبعد ، الست تقول انت نفسك ان في السماوات والاطيار دليلاً على الله ؟ »

— كلا — « وديانتك الا تقول بهذا ؟ » — كلا . لانه وان صح ذلك في وجه من الوجوه حيال بعض النفوس التي وهب الله لها ذلك النور ، الا انه خطأ تجاه الغالبية .

٢٤٥ — للايمان اسباب ثلاثة : العقل والعادة والوحي . ان الدين المسيحي الذي ينفرد باعتماد المعقول لا يقبل ، في عداد بنيه الحقيقيين ، من يؤمنون بمعزل عن الوحي ، ولايعني هذا انه ينفي العقل والعادة ، بل بالعكس : ولكن يجب على الانسان ان يفتح ذهنه للبراهين ويثبته فيها بالعادة ، وان يقدم نفسه بالتخشع الى الايحاءات التي تستطيع وحدها ان تفضي الى العاقبة الخلاصية الحقيقية : « لكيلا يصبح صليب المسيح باطلاً » .

٢٤٦ — **ترتيب** . يجب بعد رسالة « وجوب التماس الله » ايراد رسالة « رفع العقبات » التي هي خطاب « الآلة » واعداد الآلة والبحث عن طريق العقل .

٢٤٧ — **ترتيب** . رسالة الى صديق لحثّه على البحث . سيجيب : « ما الفائدة من البحث ؟ ما من شيء ظاهر » . واجيبه « لا تيأس » . فيجيب انه يكون سعيدًا لو رأى بعض النور ، وانه اذا اعتقد ذلك فما كان ليجديه نفعاً بمقتضى هذا الدين نفسه ، وهو يؤثر والحالة هذه الا يبحث . وعلى اعتراضه هذا نجيبه : الآلة .

٢٤٨ — **رسالة تدل على جدوى البراهين عن طريق الآلة .**

الايمان يختلف عن البرهان : فاحدهما بشري والآخر هبة من الله « البارّ يحيا من الايمان » : هذا الايمان الذي يضعه الله في القلب ، وغالباً ما يكون البرهان أداته « الايمان يأتي من السماع » . ولكن هذا الايمان قائم في القلب ، فلا يجعلك تقول « اعرف » بل « اني اؤمن » .

٢٤٩ — من الخرافة ان يضع المرء رجاءه في الشكليات ، ومن الكبرياء الا يخضع لها .

٢٥٠ — يجب ان نجمع بين الظاهر والباطن لنحظى بنوال الله ؛ اي ان نجثو على الركبتين ونصلي بالشفتين الخ . حتى يكون الرجل المتكبر الذي رفض الخضوع لله قد اصبح الآن خاضعاً للمخلوق . انتظار العون من هذا الظاهر خرافة ، ورفض الجمع بينه وبين الباطن كبرياء .

٢٥١ — الديانات الاخرى ، كالوثنية ، اكثر شعبية لانها ظاهرية ، ولكن ليست لأهل المعرفة . ان ديانة عقلانية صرف اكثر مناسبة لاهل المعرفة ولكنها لا تفيد الشعب . والديانة المسيحية وحدها في نسبة الجميع لانها تجمع بين الظاهري والباطني . فهي ترفع الشعب في الباطن وتخفض المتكبرين في الظاهر ، وما كانت تامة بدون الامرين لان الشعب يجب ان يعي روح الحرف واهل المعرفة يجب ان يخضعوا روحهم للحرف .

٢٥٢ — ... لأنه لا ينبغي ان نجهل ذاتنا ، فنحن آلة بقدر ما نحن عقل . وهو السبب في ان الاداة التي يحصل بها الاقتناع ليست بالاثبات

الوحيد. فما اقل الأشياء المُثبَتَة! ان البراهين لا تفحم الا العقل، والعادة تصنع اكثر البراهين قوة وتصديقاً. فهي تميل الآلة وهذه تجر العقل دون ان يفكر. من ذا الذي اثبت ان سيطلع النهار غداً واننا سنموت؟ واي شيء اكثر تصديقاً من هذا؟ فالعادة اذن تقنعنا بذلك، وهي التي تصنع هذا العدد من المسيحيين، ومن الاتراك، والوثنيين والمهن والجند الخ...
وأخيراً ينبغي ان نلتجئ إلى العادة متى رأى العقل اين هي الحقيقة، حتى نرتوي ونصطبغ بهذا الاعتقاد الذي يتفلّت منا في كل ساعة، لان استحضار البراهين ابداً ودائماً لمما يفوق الطاقة. بل يجب ان نحصل على اعتقاد اكثر سهولة، وهو الاعتقاد بالعادة، الذي يجعلنا نؤمن بالاشياء، دون ما عنف ولا تصنع ولا بينة، ويميل بجميع قوانا الى هذا التصديق فتنساق اليه النفس انسياقاً طبيعياً. لا يكفي الاعتقاد الذي لا يحصل الا بقوة اليقين في حين ان الآلة تميل الى اعتقاد العكس. فينبغي والحالة هذه ان نجعل الاعتقاد في جزءينا: نجعله في العقل عن طريق الحجج التي يكفي ان نكون قد رأيناها مرة في الحياة واحدة، ونجعله في الآلة عن طريق العادة وبان نحول دون ميلها الى العكس. « امل يا رب قلبي ».

العقل يعمل ببطء وهو دائم الاستطلال على مبادئ يجب ان تكون حاضرة ابداً وهي من الكثرة بحيث انه يخمد ويضل لقصوره عن استحضارها جميعاً. اما الشعور فشأنه غير هذا: انه يعمل فوراً، وهو ابداً على اهبة العمل، فيجب اذن ان نضع ايماننا في الشعور، والا ظل ابداً في ترجرج.

٢٥٣ — امران فيهما غلوّ: نبذ العقل والاقتصار عليه.

٢٥٤ — ليس من النادر ان تجد نفسك مجبراً على ان تأخذ على الناس افراطهم في الطواعية. انه لعيب طبيعي كالزندقة ويضاهيه في الايذاء: الوسواس.

٢٥٥ — التقوى تختلف عن الوسواس .
من انتهت به التقوى الى الوسواس فقد هدم التقوى .
يأخذ علينا الملحدون هذا الاذعان للوسواس .

٢٥٦ — قليلون هم المسيحيون الحقيقيون ، فمن الناس من يؤمن عن طريق الوسواس ، ومنهم من لا يؤمن لانه خلع العذار ، والمتوسطون بين الحالتين قليلون .

ولست اعني بين اولئك الذين هم في صراط التقوى المستقيم ولا جميع الذين يؤمنون بعاطفة قلب .

٢٥٧ — في الناس فئات ثلاث فحسب : بعضهم يخدم الله لانه وجده ، وبعضهم يلتمسه لانه لم يجده ، وبعضهم يعيش دون ان يلتمسه ودون ان يجده . فالاولون عاقلون سعداء ، والاخيرون مجانين واشقياء ، والمتوسطون اشقياء وعاقلون .

٢٥٨ — « كل يصطنع الهاً » (سفر الحكمة ١٥:٨) .
الاشمئزاز .

٢٥٩ — للعالِم العادي قدرة على ان لا يتأمل ما لا يريد ان يتأمله . قال اليهودي لولده : « لا تفكر في النصوص التي تتنبأ عن المسيح » وهذا هو شأن جماعتنا غالباً . وهكذا تحفظ الديانات الكاذبة ، والديانة الصحيحة نفسها ، تجاه كثير من الناس .

ولكن من الناس من لا يملكون الامتناع عن التأمل ، فهم يتأملون بمقدار ما يُمنَعون عن التأمل . ان هؤلاء ليعتقون من الديانات الكاذبة وحتى من الصحيحة ايضاً اذا لم يهتدوا الى البراهين المتينة .

٢٦٠ — يختبئون في الزحمة ويستنجدون بالعدد . ضوضاء .
الاسناد . لئن سمعت الناس يقولون عن شيء انه القاعدة في تصديقك ،

فيجب الا تصدق شيئاً ما لم تحتكم الى ذاتك وكأنك ما سمعت شيئاً قط .

ان انقياد ذاتك لذاتك ، وصوت عقلك المستمر لا عقل غيرك هو ما يجب ان يحملك على التصديق .

وتصديقك له هو من الاهمية بمكان . اذ لو لم تكن ثمة قاعدة للتصديق لامكن ان يكون مئة من الاشياء المناقضة لبعضها حقيقية في وقت معاً .

لئن قيل ان القِدَم قاعدة للتصديق أفكان الاقدمون بلا قاعدة اذن ؟ ولئن قيل انها في الرضى العام فماذا كان قد حدث لو ان جميع الناس بادوا ؟

التواضع الكاذب كبرياء .

ازح الستار ، انك مهما صنعت فقد وجب ان تؤمن او تنكر او تشك ، اليس لذلك كله قاعدة ؟ نحكم على الحيوانات انها تحسن القيام بعملها ، او ليست لدينا قاعدة لنحكم على الناس ؟

الإنكار والايمان والشك هي للانسان بمثابة العدْو للفَرَس .

عقاب الخطأة الضلال .

٢٦١ — الذين لا يحبون الحقيقة ، يحتجون بمن يحاجّون بها وبكثرة من ينكرونها ، وهكذا لا ينشأ ضلالهم عن كونهم لا يحبون الحقيقة او المحبة .

٢٦٢ — خرافة وشهوة . وساوس ، رغبات شريرة . الخشية الشريرة : هي الخشية الناشئة ليس عن تصديق الله بل عن الشك في وجوده او عدمه . الخشية الصالحة تنشأ عن الايمان ؛ والخشية الكاذبة تنشأ عن الشك . الخشية الصالحة تقترن بالرجاء لانها تتولد من الايمان وبالرجاء بالله الذي نؤمن به ؛ والخشية الشريرة تقترن بالقنوط لانك تخشى الاله الذي لا تؤمن به . فثمة جماعة تخشى ان تفقده وجماعة تخشى ان تجده .

٢٦٣ — « يقولون : ان اعجوبة قد ثبّتت ايماني » . يقولون هذا عندما لا يشاهدونها — ان الاسباب التي نراها عن بعد تبدو وكأنها حجبت بصرنا ،

حتى اذا وصلنا اليها نبدأ بمشاهدة ما وراءها . لا شيء يوقف تحرك الفكر . يقولون انه ليس من قاعدة الا وتحتمل بعض الشواذ ، ولا حقيقة مهما كانت عامة الا وفيها وجه نقصان . ويكفي الا يكون شمولها مطلقاً حتى تفسح لنا مجالاً لنطبّقَ الشذوذ على الموضوع الراهن ولنقول : « ليس الامر دائماً بصحيح ؛ واذن فثمة حالات لا يصح معها هذا » . لم يبق علينا الا ان نظهر انه : صحيح وان من لا يجده فهو من قلة الحذق او الشقاء بمقدار .

٢٦٤ — لا يملّ الانسان الاكل والنوم في كل يوم لان الجوع يعاوده ، وكذلك النعاس ؛ ولولا ذلك لملّها ، ولذلك يمل الامور الروحية من لم يجُعْ اليها .

٢٦٥ — يقول الايمان ما لا تقوله الحواس ، ولكن قوله لا يضاد ما تراه ، فالايمان فوقها لا ضدها .

٢٦٦ — كم كشفت لنا المناظير عن كواكب جهلها فلاسفتنا فيما سلف ، كانوا يعتمدون الكتاب المقدس لتحديد عدد النجوم فيقولون : « لا يوجد الا الف واثنان وعشرون ، نعرف ذلك » .

في الارض اعشاب نراها — ولكنك لا تراها من القمر . — وعلى هذه الاعشاب وبر وعلى هذا الوبر حشرات ، ولكن لا شيء بعد ذلك — ايها المغرور ! — المختلط مركب من عناصر ، اما العناصر فلا . — ايها المغرور ، انها لفكرة دقيقة . — يجب ان لا نقول بوجود ما لا نرى . — يجب اذن ان نقول ما يقوله الغير لا ان نفكّر تفكيرهم .

٢٦٧ — آخر محاولة يحاولها العقل هي اعترافه بان من الامور لانهاية تفوقه . وانه لضعيف اذا قصر عن ادراك ذلك .

ولئن كانت الامور الطبيعية تفوقه فما قولك بالتي تفوق الطبيعة ؟

٢٦٨ — **اذعان** . عليك بالشك حيث يجب الشك ، وبالجزم حيث يجب الجزم ، شرط ان تذعن حيث يجب الاذعان . ومن سلك غير هذا

المسلك لا يدرك قوة العقل . من الناس من يخلّون بهذه المبادئ الثلاثة فيجزمون في كل شيء على انه ذو دلالة لافتقارهم الى علم الدليل ، او يشكون في كل شيء لافتقارهم الى معرفة الوجوه التي يُحتّم معها الاذعان ، او يخضعون في كل شيء لافتقارهم الى معرفة الوجوه التي يحتم معها الحكم .

٢٦٩ — على الاذعان وممارسة العقل تقوم المسيحية الحقّ .

٢٧٠ — القديس اوغوسطينوس[١] :

ما كان العقل ليذعن قط لو انه يرى ان ثمة حالات يحتم عليه معها الاذعان . فمن العدل اذن ان يخضع متى رأى ان خضوعه واجب عليه .

٢٧١ — تحيلنا الحكمة على الطفولة : « اذا لم تكونوا كالاولاد الصغار فلن تدخلوا ملكوت السماوات » .

٢٧٢ — لا شيء اطبق على العقل من انكار العقل .

٢٧٣ — اذا أخضعنا كل شيء للعقل كان الدين خلواً من اي امر سري فائق الطبيعة . واذا اخللنا بمبادئ العقل كان الدين سخرية وغباوة .

٢٧٤ — كل تعليل ينتهي الى الاستسلام للشعور .

ولكن هوى النفس يشبه الشعور ويناقضه فلا يستطاع التمييز بين هذين المتناقضين . يقول احدهم ان شعوري هوى ، بينما يقول الآخر ان هواي شعور . يجب ان تكون ثمة قاعدة . العقل يتوسط ولكنه قابل الالتواء في كل جهة ، فكأنه لم يكن .

٢٧٥ — كثيراً ما يحسب الناس ان المخيلة هي القلب ، فيظنون ان قد ارتدوا حالما يفكرون في الارتداد .

---

١) جاء في كتاب للقديس اغوسطينوس الى كونسانسيوس « لإن وجب ان يسبق الايمان العقل ، فهذا مبدأ يقره العقل . لانه لو لم يكن هذا القول معقولاً لكان اذن منافياً المعقول . ولئن كان من المعقول اذن ان يسبق الايمان العقل لاجل الوصول الى المرتفعات التي لا نستطيع بلوغها بعد ، فمن الواضح ان العقل الذي اقنعنا بذلك قد سبق هو نفسه الايمان » (حاشية هاڤيه) .

٢٧٦ — قال دي روانز : « اما الاسباب فهي تأتيني فيما بعد . ولكنني ارضى بالشيء اولاً او اعرض عنه ولست اعرف سبباً لرضائي واعراضي ، ومع ذلك انفر منه من اجل ذلك السبب الذي لم اكتشفه الا فيما بعد » . بيد اني اعتقد ان نفوري لم ينشأ عن تلك الاسباب التي اكتشفتها فيما بعد ، بل انا لم اجد هذه الاسباب الا لاني نفرت من الشيء[١] .

٢٧٧ — للقلب حججه التي لا يعرفها العقل ، نعرف هذا من امور جمة . اقول ان القلب يُحب طبعاً الكائنَ الكلي ، ويحب نفسه طبعاً بحسب ما ينصرف الى هذا او ذاك . ويتصلب على الواحد او الآخر بحسب اختياره . لقد نبذتَ احدهما واحتفظتَ بالآخر ، اتراكما بالعقل تتحابان ؟

٢٧٨ — القلب ، لا العقل ، يحس الله . وهذا هو الايمان : استشعار الله بالقلب لا بالعقل .

٢٧٩ — الايمان هبة من الله . لا تحسبننا نقول انها هبة استدلال . ان الديانات الأخرى لا تقول هذا عن ايمانها . فهي لا تتيح غير الاستدلال لتصل الى الايمان ولكنه لا يفضي اليه .

٢٨٠ — ما ابعد الهوّة بين معرفتك الله وحبك له .

٢٨١ — القلب ، الفطرة ، المبادئ .

٢٨٢ — نعرف الحقيقة ليس بالعقل وحده بل بالقلب ايضاً . واننا بهذه الطريقة الاخيرة نعرف الاصول الاولى ، وعبثاً يحاول العقل المعلل

---

١) يرينا هذا المثل كيف كانت الافكار تتولد عند پسكال في سياق حياته العادية . ان في هذه الخاطرة دليلاً على تأثير احاسيسنا المستترة على ما نعزوها اليه ونفسرها به من براهين لاحقة . وهي حال تنطبق عليها حكمة « لاروشفوكو » القائلة : « ان العقل العوبة القلب ابداً » .
اضف الى هذا ان العلم الحديث قد اثبت صحة هذه الملاحظة . فرب نائم نوماً مغنطيسياً قد القي في ذهنه ان يقوم عند يقظته بعمل معين . فهو يقوم به فعلاً ويجد ليسوغ هذا العمل ، الذي أمر به امراً ، اسباباً كثيراً ما تنطوي على الدقة والحذق .

الذي لا حصة له فيها ان يناهضها . والمتشككون الذين لا دأب لهم الا هذا يعملون على غير طائل . نعرف اننا لا نحلم . فمهما عجزنا عن اقامة الدليل على ذلك بواسطة العقل ، فان هذا العجز لا يدل على شيء دلالته على سقم العقل ، وليس على ترجرج جميع معارفنا حسب ما يزعمون . لان ادراك المبادئ الاولى (وجود المدى ، والزمان والحركة والعدد مثلاً) ثابت ثبات اي معرفة تأتينا عن طريق تعليلات العقل . وعلى هذه المدارك التي تأتينا من القلب والفطرة يجب ان يستند العقل ويجعلها اساساً لقوله . القلب[1] يشعر ان في المدى ثلاثة مقاييس وان الاعداد لامتناهية ، ثم يأتي العقل فيبرهن ان ليس ثمة عددان مربعان يكون احدهما ضعفي العدد الآخر . فالمبادئ تُحَسّ والقضايا تُستنتَج وكلها عن يقين ولو اختلفت الطرق . وانه لمن السخافة وعدم الفائدة ان تطلب القوة العاقلة الى القلب اقامة الدليل على مبادئه الاولى حتى يقبل التسليم بها ، كما انه من السخافة ايضاً ان يطلب القلب الى القوة العاقلة ان تشعر بجميع القضايا التي تبينها ليرضى بها .

واذن يجب ألاّ يستخدَم هذا العجز إلاّ لإذلال العقل الذي يودّ لو يحكم في كل شيء، لا لمحاربة يقيننا كأن العقل وحده قدير على ارشادنا . وليت ربك يشاء لو استغنينا عن العقل وادركنا جميع الأشياء بوحي الفطرة وبالشعور . على ان الطبيعة ضنت علينا بهذا الخير ، بل انها بالعكس حبتنا بجزء من المدارك من هذا النوع ، في حين ان سائرها لا يكتسب بغير الاستدلال .

ونرى من اجل ذلك ان الذين منحهم الله الدين عن شعور القلب هم جد سعداء ، في يقينهم المشروع . اما الذين لا دين لهم فلا نستطيع ان نبثهم اياه بغير الاستدلال ريثما يعطونه من الله بشعور القلب ، ولولا ذلك لما كان الدين الا بشرياً وعديم الفائدة للخلاص .

---

١) القلب هو الشعور المباشر واستشعار هذه المبادئ .

٢٨٣ — للقلب نظامه . وللعقل نظامه الذي يجري بحسب قاعدة وتبيان . اما القلب فله نظام آخر . لا يبرهن الانسان ان الغير يجب ان يحبه ، فيبسط لاسباب الحب نظاماً . ان في هذا لسخرية[١] .

٢٨٤ — لا تعجبوا اذا رأيتم اناساً ساذجين يعتقدون دون ما استدلال فقد اعطاهم الله ان يحبوه ويكرهوا ذواتهم ، وامال قلبهم الى الاعتقاد . وما من اعتقاد يكون اعتقاد فائدة وايمان ما لم يكن الله قد امال القلب ، والانسان يعتقد حالما يميل الله قلبه ، وهذا ما ادركه داود اذ قال : « أَمِلْ يا رب قلبي » .

٢٨٥ — الديانة تتناسب وفئات العقول جميعاً . فئة تقف عند مجرد التأسيس[٢] ، وهذه الديانة هي على نحوٍ بحيث ان مجرد تأسيسها يكفي للدلالة على حقيقتها . وفئات أخر تتقدم حتى تبلغ الرسل . والاوسع علماً يصلون حتى بدء العالم . اما الملائكة فيرونها باكثر جلاء ومن أبعد .

٢٨٦ — الذين آمنوا ولم يقرأوا الكتاب ، قد اوتوا استعداداً باطنياً كلي القداسة وسمعوا عن ديانتنا ما ينطبق عليها . يشعرون ان الهاً برأهم . فلا يريدون ان يحبوا غير الله وان يكرهوا سوى ذواتهم . ويشعرون ان ليس لهم القدرة على ذلك من تلقاء انفسهم . وانهم عاجزون عن الذهاب الى الله ، وان الله اذا لم يأت اليهم فلا يستطيعون ان يكون لهم اي اتصال به . ويسمعون من يقول ان من فرائض ديانتنا الا نحب غير الله والا نكره الا ذواتنا . واننا ، اذ كنا فاسدين جميعاً وعاجزين عن الله ، فالله صار انساناً ليتصل بنا . وما كان اولئك الذين ينطوون على هذا الاستعداد في القلب ، ولهم هذه المعرفة بواجبهم وعجزهم ، بحاجة الى اكثر من هذا للاقتناع .

٢٨٧ — الذين نراهم مسيحيين دون معرفة النبوءات والبراهين لا يقل حكمهم فيها عن حكم الذين لهم هذه المعرفة . انهم يحكمون فيها عن طريق

---

١) قال أحدهم لامرأة : « ماذا علي ان اصنع حتى تتيقني من حبي لك » . فاجابت : « يجب ان تحبني فلا أشك في ذلك » . (ميره ، رسالة العقل) .

٢) أي تأسيس الكنيسة المسيحية .

القلب فيما يحكم الآخرون عن طريق العقل . ان الله هو نفسه الذي يميل بهم الى الايمان ، وهكذا يزداد اقتناعهم جدوى .

اني اعترف ان احد هؤلاء المسيحيين الذين يؤمنون دونما براهين قد لا يملك ما يقنع به رجلاً غير مؤمن يقول عن ذاته القول ذاته . على ان الذين يعرفون براهين الديانة يبرهنون دونما صعوبة ان هذا المؤمن ملهم من الله حقيقة ولو عجز ان يقيم بنفسه دليلاً على ذلك .

وبما ان الله قال في نبوءاته التي لا شك فيها انه في ابان ملك يسوع المسيح سيسكب روحه على الامم وان ابناء الكنيسة وبناتها سيتنبأون ، فمما لا شك فيه ان روح الله على هؤلاء وليست على الآخرين .

٢٨٨ — عوضاً عن ان تشكو من ان الله تحجّبَ ، فستحمده على انه تكشف بمقدار ، وستحمده ايضاً على انه لم يتكشف للحكماء المختالين غير الجديرين بان يعرفوا الهاً كلي القداسة .

فئتان من الناس تملكان المعرفة : الذين لهم دعة القلب ويحبون الوضاعة اياً كانت درجة اذهانهم ، سامية او خفيضة ؛ او الذين لهم كفاية من البصيرة ليشاهدوا الحقيقة مهما اعترضتهم الحوائل .

٢٨٩ — الدلائل . ١ — الديانة المسيحية ، بتأسيسها ، وبذاتها قائمة برسوخ وعذوبة مما يناقض الطبيعة بمقدار . ٢ — قداسة وسمو واتضاع النفس المسيحية . ٣ — روائع الكتاب المقدس . ٤ — يسوع المسيح على الأخص . ٥ — الرسل على الأخص . ٦ — موسى والأنبياء على الأخص . ٧ — الشعب اليهودي. ٨—النبوءات . ٩—الديمومة: لاديمومة لديانة اخرى . ١٠—المعتقد وبه الدليل على كل شيء . ١١ — قدسية هذه الشريعة . ١٢ — بمسلك العالم .

من الثابت انه بعد هذا ، وباعتبار ماهية الحياة وماهية هذه الديانة ، لا يجوز التمنع عن مجاراة الميل الى اتباعها اذا كان صادراً عن القلب : ومن الاكيد انه لا مجال للهزء بالذين تبعوه .

٢٩٠— **البرهان على الديانة.** الأدبيات ، المعتقد ، العجائب ، النبوءات ، الرموز .

القسم الخامس

العدل وعلّة المعلولات

٢٩١ – في « رسالة الظلم » يمكن ايراد اضحوكة الاولاد الابكار الذين ينالون كل شيء. « يا صديقي انك ولدت في هذه الناحية من الجبل ، فمن العدل ان يرث اخوك البكر كل شيء ».

« لماذا تقتلني ؟ »

٢٩٢ – انه يسكن ما وراء النهر .

٢٩٣ – « لِمَ تقتلني ؟ » – ماذا ! الست تقيم على الضفة الاخرى ؟ لو كنتَ مقيماً يا صاح على هذه الضفة لكنتُ سفاكاً ولكان من الظلم ان اقتلك على هذه الصورة ، ولكن بما انك تقيم على الضفة الثانية فانا شجاع وقتلك عدل » .

٢٩٤ – على اي اساس يقيم (الشعب) نظام العالم الذي يريد ان يسوسه ؟ أعلى هوى الافراد ؟ اي اختلاط بهذا ! أعلى العدالة ؟ انه يجهلها .

فمن الراهن انه لو عرفها لما وضع هذه الحكمة التي هي اكثر الحكم شمولاً بين الناس ، بأنْ يتبع المرء عادات بلده ، ولكان سطوع الانصاف الحقيقي اخضع جميع الشعوب ، ولما كان المشترعون استعاضوا عن هذه العدالة الثابتة ليتمثلوا باهواء الفرس والالمان ، ولرأيناها راسخة في دول الارض قاطبة وفي الأزمنة جميعاً ، عوضَ ان لا نرى شيئاً عادلاً كان او غير عادل ، الا تبدلت مزيته بتبدل المناخ . يرتفع القطب ثلاث درجات فينهار اجتهاد

القضاء برمته ويقرر الحقيقة هاجريّ. الشرائع الاساسية تتغير بعد سنوات. للحق مواقيته. دخول زُحَل في برج الاسد يرشدنا الى مصدر الجناية. يا لاضحوكة عدل يحده نهر! ما كان حقيقة من ناحية جبال « بيرينيه » يصبح ضلالاً ما وراءها.

يعترفون ان العدل ليس في تلك العادات بل انه قائم في الشرائع الطبيعية المعروفة في كل صقع، ولا شك انهم كانوا يصرون على قولهم هذا بعناد لولا ان المصادفة التي زرعت الشرائع البشرية مجازفة قد وقعت على شريعةٍ كلية واحدة، بيد ان اهواء الناس هي من التعدد بحيث انك لا تجد منّ ذلك شيئاً. فالاختلاس والزواج بالمحارم، وقتل الآباء والابناء، كل ذلك قد وجد له محلاً بين اعمال الفضيلة. هل اضحك من ان يكون لرجل الحقُ في قتلي لانه يسكن ما وراء النهر ولان اميره في نزاع مع اميري وان لم يكن بيني وبينه مثل ذلك؟ لا شك ان ثمة نواميس طبيعية، ولكن هذا العقل الجميل الفاسد قد افسد كل شيء.

وينجم عن هذه البلبلة ان من الناس من يزعم ان جوهر العدل في سلطة المشترع وآخر انه في ارتياح الحاكم وآخر انه في العادة الحاضرة، اذ لا شيء عادل بذاته بحسب العقل المجرد، كل شيء يتحرك مع الزمن. الانصاف صنيعة العادة لمجرد انها سائرة، وهنا اساس سلطانها التصوري. ولا شيء أخطأ من هذه الشرائع التي تقوّم الاخطاء. ومن اطاعها لكونها عادلة فقد اطاع عدلاً توهـّمه لا جوهر الشريعة، فهي ململمة بذاتها وانها شريعة ليس اكثر. ومن شاء ان يبحث في علتها وجدها من الضعف والخفة بحيث انه اذا لم يكن قد الف مشاهدة عجائب المخيلة البشرية أدهشه أن يرى الزمن قد اكسبها هذا المقدار من الابهة والتجلة. ان الثورة وقلب الدول عبارة عن زعزعة العادات القائمة وذلك بالتنقيب حتى ينابيعها اظهاراً لافتقارها الى السلطات والعدالة. يقولون انه يجب الرجوع الى الشرائع الاساسية الاولية في الدولة. تلك الشرائع التي ابطلتها عادة غير عادلة. ولكن هذا المسلك

ينتهي حتماً الى ضياع كل شيء . اذ لا شيء عادل مما يرونه في هذا الميزان . بيد ان الشعب يعير سمعه بسهولة الى مثل هذا الخطاب . فيخلع النير اذ يتعرفه ، ويستفيد العظماء من تهديمه وتهديم هؤلاء الفضوليين الباحثين في العادات السائرة . ومن اجل ذلك قال اوسع المشترعين حكمة[١] انه من الخير للناس ان يُخدعوا غالباً . وقال آخر[٢] وهو سياسي حاذق « بما انه يجهل الحقيقة المنقذة فمن الخير له ان يُخدع » . فيجب ان لا يشعر بحقيقة الاغتصاب ، لأنها دُسَّتْ فيما مضى دون سبب فاصبحت معقولة ؛ بل يجب ان تظهر له على انها اصيلة ازلية وان يخفى عنه منشأها لئلا تتعرض للزوال عاجلاً .

٢٩٥ — **لي ولك** . كأن يقول هؤلاء الصغار المساكين « هذا الكلب لي ، وهذا محلي في الشمس » . ان ذلك بدء صورة اغتصاب الارض كلها .

٢٩٦ — البت في اعلان الحرب وتقتيل هذا العدد العديد من الاسبانيين يستقل فيه رجل واحد ، وهو الى ذلك ذو مصلحة : وقد وجب ان يكون رجلاً محايداً[٣] .

٢٩٧ — العدل الحقيقي[٤] عدمناه : ولو كان هو فينا لما اتخذنا قاعدة للعدل في ان يتبع الرجل عادات بلده .

انهم ، اذ لم يجدوا العادل ، وجدوا القويّ الخ ...

٢٩٨ — **العدل والقوة** . من العدل ان ما هو عادل يُتَّبَع . ومن الضرورة ان ما هو الاقوى يُتَّبَع . فالعدل بدون القوة عاجز . والقوة بدون

---

١) افلاطون .

٢) اغوسطينوس .

٣) ان هذه الخاطرة يلقيها پسكال عرضاً تنطوي على مبدإ التحكيم الدولي الذي اتخذ في وقتنا الحاضر شكلاً قد يحوّل سير الحضارة .

٤) قال شيشرون ليس لدينا من الحق الحقيقي والعدالة الصافية مثال وضعي متين بل ظل وصور .

العدل غاشمة . والعدل بدون القوة يُناهَض ، لأن الدنيا لا تخلو ابداً من اهل الشر ؛ والقوة بدون العدل تُتَّهم ، فيجب اذن ان يتحدا معاً ، وان يكون ما هو عادل قوياً وما هو قوي عادلاً .

— العدل مثار النزاع ، والقوة معترف بها دون ما نزاع . وهكذا لم يستطيعوا اعطاء القوة للعدل لان القوة ناقضت العدل وقالت انها هي العادلة، واذ عجزوا عن ان يكون ما هو عادل قوياً عملوا على ان يكون ما هو قوي عادلاً .

٢٩٩ — القواعد الكلية الوحيدة هي شرائع البلد في الامور العادية، وتعددها هو لغير تلك الامور . من اين يأتي هذا ؟ من القوة التي فيها . وهذا ما يفسر ان الملوك ، أُولي القوة ، لا يجارون اغلبية وزرائهم .

لا شك ان المساواة في المقتنى عادلة . ولكنهم اذ عجزوا عن ان يفرضوا القوة لاطاعة العدل فقد جعلوا العدل في اطاعة القوة . ولم يستطيعوا ان يحصنوا العدل فسوَّغوا القوة حتى يكون العادل والقوي معاً ، فيستتب السلام الذي هو الخير الأسمى .

٣٠٠ — « عندما يمتلك القوي المسلح مقتناه ، فبسلام يمتلكه »[١] .

٣٠١ — لماذا يتبعون الأغلبية ؟ ألكونها اكثر صواباً ؟ كلا ، بل اكثر قوة .

لماذا يتبعون الشرائع القديمة والآراء القديمة ؟ ألكونها اكثر صواباً ؟ لا ، ولكنها فريدة وتنزع منا جذر التنوع .

٣٠٢ — . . . . انها نتيجة القوة لا العادة ، لان الذين يملكون الابتداع قلة ؛ والاكثر قوة في العدد لا يريدون الا ان يتَبعوا وهم ينكرون المجد على هؤلاء المبتدعين الذين يبغونه عن طريق ما ابتدعوا . واذا اصروا

---

١) عن القديس لوقا ، الفصل الحادي عشر — ١١ .

في ارادتهم على نيله واحتقار الذين لا يبتدعون تعرضوا لان يطلق عليهم هؤلاء اسماء مضحكة ، وقد يضربونهم بالعصي . فلا يتباهين احد اذن بهذا الحذق ، او فليرضَ به في نفسه .

٣٠٣ — القوة لا الرأي ملكة العالم . ولكن الرأي هو ما مارستَ معه القوة . ان القوة تكوّن الرأي . ان التواني جميل ، على ما نرى . لماذا ؟ لان من شاء ان يرقص على الحبل يبقى وحيداً [١] .

٣٠٤ — العلائق التي تربط بعض الناس باحترام البعض الآخر هي في الغالب علائق ضرورة ، لان الناس يجب ان يكونوا على مراتب مختلفة . جميعهم يريد السيطرة ولا يستطيعها جميعهم وانما يستطيعها بعضهم .

فلنتمثلهم في بدء تكوينهم . لا شك انهم يتغالبون حتى يغلب فريقهم الاقوى فريقهم الاضعف ويكون هو المسيطر . على ان الاسياد لا يروقهم ان تستمر الحرب فيأمرون ان القوة التي في يدهم تؤول على الوجه الذي يشاؤون ، فيكلها بعضهم الى اختيار الشعوب والبعض الآخر الى الوراثة الخ الخ .

وهنا تبدأ المخيلة دورها . وكان الفعل قبل ذلك للقوة المجردة ، اما الآن فالقوة تساندها المخيلة .

واذن فالعلائق التي تربطك بالاحترام تجاه هذا او ذاك بوجه خاص انما هي علائق تخيلية [٢] .

---

١) الماع الى قول ابيكتاتوس « في التنزه على الحبل صعوبة وخطر ، فهل يجب ان اتنزه على الحبل ؟ »

٢) يجب ان يكون الناس طبقات ، وعلي ان احترم احداً ، فاي الناس هو ؟ الضرورة لا تكفي لتعيينه . انما تفرض علي بصفة كوني من الرعية واجب الاحترام كشرط للسلام الاجتماعي ولكنها لا تولي احداً الحق في ان يكون محترَماً . ولا يقوم هذا الحق الا بصورة كيفية عن طريق المخيلة .

ان هذا التمييز يمكن من اكتناه فكرة اعمق وادق تنطوي عليها ما نسميه اليوم المسألة الاجتماعية ، ولا ترمي هذه المسألة الى معرفة هل من المحتم وجود اغنياء وفقراء بمقدار ما هي ترمي الى معرفة السبب في كون هؤلاء اغنياء واولئك فقراء .

٣٠٥ — يسوء السويسرانيين ان يقال عنهم انهم من الاشراف ، ويقيمون الدليل على انهم من العامة نَسَباً ليحكم في اهليتهم للمناصب الكبيرة .

٣٠٦ — بما ان الدوقيات والممالك ومناصب القضاء حقيقية وضرورية[١] لان القوة تنظم كل شيء ، فهي قائمة ابداً في المكان والزمان . ولكن بما ان الهوى يجعل ان يكون هذا او هذه في تلك المراتب ، فما كان ذلك ثابتاً وهو عرضة للتبدل الخ .

٣٠٧ — رئيس القضاء متزمت يرتدي الزخارف ، لان منصبه كاذب . وما كان هذا شأن الملك : فله القوة . ولا يأبه للمخيلة . القضاة والاطباء ، ليس لهم الا المخيلة .

٣٠٨ — عادة الناس ان يروا الملك في موكب من الحرس والطبول والقادة وسائر الأشياء الداعية للاجلال والخشية ، تجعل ان وجه الملك — اذا صادف ان يكون وحده بمعزل عن تلك التوابع — يطبع في رعاياه الاجلال والخشية ، لانهم لا يفصلون في خواطرهم ذاته عن حاشيته التي يرونها عادة لاصقة به . والعالَم الذي لا يعرف ان هذه النتيجة متأتية عن العادة يعتقد انها متأتية من قوة طبيعية . ومن هنا اصل هذه الكلمات « سمة الالوهية مرتسمة على وجهه الخ » .

٣٠٩ — **عدل** . كما ان الزي[٢] يكوّن الملاحة ، فهو يكوّن العدالة ايضاً .

---

١) حقيقية لانها تعطي السلطان الحقيقي لا الكرامة الوهمية ، ضرورية لانه يجب ان تكون هناك سلطة آمرة .

٢) يبدو ان پسكال يستعمل « الزي » كمرادف للعادة . فرد كليهما الى المخيلة والاعتياد . بيد اننا اذا عالجنا الامر بوجه الحصر نرى من المستحسن ان نميز بين العادة التي هي تقليد الأقدمين واشاعة اعتيادها خلال الاجيال في الزمن ، والزي الذي هو تقليد المعاصرين واشاعة اعتياده خلال الشعوب في المدى . ان ملاحة الزي تقوم على جاذب الجدة . بيد ان احترام القدم والرسوخ وهما خاصتا العادة يسمانها بنوع من القيمة الأدبية ويجعلانها اكثر صواباً وسداداً من الزي . ولكن هناك ازياء للافكار تجعلك تعقل العدالة على هذه او تلك من الصور الخاصة ، وهذا ما عناه پسكال .

٣١٠ — **ملك وطاغية** . ستكون لي ايضاً فِكـَري فيما وراء الرأس .
سآخذ حذري عند كل سفر .
عظمة اصطلاحية ، احترام الاصطلاح .
لذة العظماء في استطاعتهم اسعاد الناس .
خاصة الثروة ان تُعطَى بسخاء .
خاصة كل شيء يجب ان يبحث عنها . خاصة القدرة الحماية[١] .
عندما تهاجم القدرة التقنيع . عندما يتناول الجندي البسيط قبعة الرئيس الاول المربعة ويرميها من النافذة[٢] ...

٣١١ — السلطة القائمة على الرأي والمخيلة تسيطر بعض الوقت . وهذه السلطة عذبة واختيارية ، على ان سلطة القوة تسيطر ابداً . وهكذا فالرأي ملك العالم ولكن القوة طاغيته[٣] .

٣١٢ — العدل هو ما كان قائماً . وهكذا فجميع شرائعنا القائمة تعتبر عادلة حتماً دون ما بحث لانها قائمة .

٣١٣ — **اراء الشعب السليمة** . اعظم الشرور الحروب الاهلية . فهي واقعة حتماً اذا شئت ان تثيب الاستحقاق ، لان الجميع يقولون عندئذ انهم مستحقون . ان الشر الذي يخشى من احمق يدعى الى الخلافة بحق المولد ليس بهذا المقدار عظيماً ولا محتوماً .

---

١) من تسلط ضمن نظامه الخاص فهو ملك ، وخارج نظامه فهو طاغية . لذلك يجب البحث عن خاصة كل شيء ليمكن التمييز بين الملك والطاغية .

٢) الماع الى حوار في اهجية « مانييه » « ليس من قبعة مربعة الا وارميها » ، والمفاد ان القوة عندما تهاجم التقنيع فهي تظهر ان قدرة التقنيع مستعارة ووهمية ولكنها في الوقت نفسه تجاوز قدرتها الخاصة التي هي الحماية مما يحدث اختلالاً في نظام المجتمع .

٣) يقابل پسكال باستمرار بين هاتين الكلمتين ، فالملك هو السيد الشرعي الذي يأمر في نطاق سيادته ، اما الطاغية فهو السيد الذي يتجاوز سيادته ليسيطر فيما لا تشتمل عليه ، مثل ذلك نيرون الذي يشاء ان يكون اشعر شعراء رومة لانه امبراطور .

٣١٤ — الله خلق كل شيء لذاته ، واعطاها قدرة العقاب والخير . بامكانك ان تطبق هذا على الله او على نفسك . فاذا طبقتها على الله كان الانجيل هو القاعدة ، او على نفسك فقد حللت محل الله . ولما كان الله محاطاً باناس مفعمين بالمحبة يطلبون اليه خيرات المحبة التي هي في قدرته فإنّ ... فاعرف نفسك اذن واعلم انك لست الا ملك شهوة يسلك طرق الشهوة .

٣١٥ — **علة المعلولات** . انه لامر عجب : لا يريدون ان اكرم رجلاً يرتدي الديباج ويتبعه سبعة او ثمانية من خدمه ، ولعمري اذا احجمت عن تحيته امر بجلدي . ان هذا الثوب قوة . شأن فرس جميلة السرج تجاه غيرها ! ان مونتين مضحك اذ لا يرى اي فرق بينهما واذ يدهش ممن يجد هذا الفرق واذ يسأل عن سببه[1] .

٣١٦ — **اراء الشعب السليمة** . ليس من الباطل ان تكون انيق الهندام ، ففي هذا دليل على كثرة اتباعك ، وفي جمال شعرك دليل على ان لك اجيرًا في مخدعك وعطارًا الخ. وفي اثوابك القشب ... ، الخ. الخ. لأن يكون لك سواعد عديدة فليس ذلك مجرّد مساحة، ولا عدة فرس[1] . كلما ازدادت سواعدك ازددتَ قوة . إنما الاناقة في اظهار القوة .

٣١٧ — الاحترام معناه: « أزعج نفسك » . يبدو ان هذا باطل ولكنه عدل ، لان مفاده ان تقول : « اني لازعج نفسي اذا كان هذا مما يروقك ولا سيما اني فاعل هذا دون ان تكون لك حاجةٌ اليه » ؛ فضلاً عن ان الاحترام

---

١) الفقرة التي يلمع اليها بسكال واردة في كتاب « التفاوت بين الناس » لمونتين وهذه هي : « ومن العجب الا تقدر الاشياء باعتبار مزاياها الخاصة بها » .

يروقنا في الفرس قوة عدْوه وشدة جريه لا جمال سرجه . وفي الكلب اسراعه لا طوقه، وفي الطير جناحه لا جلجله ، فلم لا نقدر المرء بما هو خاص به ؟ لهذا الرجل قصر جميل وريع واسع : كل ذلك حوله لا به . ان هذه القطعة تذكر بفكرة ل « أپيكتاتوس » : « لا تقول الفرس للفرس اني اغلى منك ثمناً ... وان لي لجاماً من ذهب وسرجاً جميلاً، بل اني اعدى منك» .

١) الماع الى قول مونتين « ان الفرس بشدة عدوه لا بعدته » .

يعني التمييز بين العظماء : والحال لو كان الاحترام في الجلوس في الكرسي الوثير لكان جميع الناس جديرين بالاحترام ، ولاستحال التمييز ، ولكنك تستطيع ، وقد ازعجت نفسك ، ان تميز تمييزًا حسناً .

٣١٨ — له اربعة خدم .

٣١٩ — ما احسن ما فعلوا اذ ميزوا بين الناس بحسب الظواهر لا بحسب الصفات البواطن ! من منا نحن الاثنين يتقدم الآخر ؟ من يتنزل عن مكانه للآخر ؟ أأكثرنا براعة ؟ ولكني اضاهيه براعة ويجب ان نقتتل على هذا . له اربعة خدم وليس لي إلا خادم واحد : ذلك ظاهر ، وما لك الا ان تعدّ . علي ان اتنزل اذن ، واني احمق اذا اعترضت . وهكذا نحن في سلام ، وهذا من اكبر الحسنات .

٣٢٠ — إنّ ابعد امور العالم عن العقل تصبح اقربها بسبب فوضى البشر . ايّ أمر اقل صواباً من اختيار ولد الملكة البكر ليسوس الدولة ؟ لا يُختار اعرق المسافرين نسباً لقيادة السفينة ... وقد تكون هذه الشريعة مضحكة جائرة . ولكن بما ان الناس هم كذلك ايضاً وسيبقون كذلك ابدًا ، فانها تصبح معقولة عادلة ، اذ من عساهم يختارون ؟ أأكثرهم فضيلة ام أكثرهم مهارة ؟ هنا تقع الواقعة فورًا اذ كل يدعي انه هو ذلك الافضل وذلك الأمهر . فلنربط هذه الصفة اذن بما لا يقع الجدل حوله . انه بكر الملك . ان الامر واضح ولا منازعة البتة . والعقل لا يستطيع افضل من ذلك ، لان الحرب الاهلية اعظم الشرور .

٣٢١ — الاولاد المندهشون يرون رفقاءهم محترمين .

٣٢٢ — ما اعظمها افضلية طبقة الاشراف التي تضع رجلاً ، منذ سنته الثامنة عشرة ، في المقدمة ، مشهورًا ومحترماً ، مما لا يستحقه رجل غيره الا في سنته الخمسين . انه مربح ثلاثين عاماً دون عناء .

٣٢٣ — ما هي الا « انا »[1] .

رجل يقف في النافذة لمشاهدة المارة ، فاذا مررت به هل استطيع القول انه وقف هنا ليراني ؟ لا . لانه لا يفكر فيّ بوجه خاص . ولكن الذي يحب شخصاً من اجل جماله أيحبه حقاً ؟ لا : لان الجدري الذي يقتل الجمال دون ان يقتل الشخص يجعل انه لا يحبه فيما بعد .

واذا احبني الناس من اجل قوتي المميزة وذاكرتي فهل احبوني « انا » ؟ لا ، لاني قد افقد هاتين المزيتين دون ان افقد ذاتي . واذن اين هي هذه الا « أنا » اذا لم تكن في الجسد ولا في النفس ؟ وهل تُحبّ الجسدَ او النفس الا لاجل هذه الصفات التي لا تكوّن الا « أنا » اذ انها صفات قابلة للزوال ؟ فهل تحب في احد الناس جوهر نفسه مجرداً وايا كانت صفاتها ؟ لا يمكن هذا وما كان عدلاً . فلا نحب اذن احداً البتة ، وانما نحب صفاتٍ لا غير .

فلا يُهزأنّ اذن بالذين يكرمون انفسهم من اجل المناصب والمراتب . لانه لا يُحَبّ احد الا من اجل صفات مستعارة .

٣٢٤ — آراء الشعب جد سليمة ؛ مثلاً :

١ — بكونه اختار التلهي والصيد عوضاً عن الغنيمة . ان انصاف العلماء سيهزأون به ، ويتباهون باظهارهم جنون العالم في هذا . ولكنه على صواب لسبب لا يدركونه هم .

٢ — بانه ميز الناس بحسب المظاهر ، كشرف المحتد او المال . ويتباهى العالم ايضاً بان يظهر كم ان هذا مناف للمعقول : ولكن هذا جد معقول (اكلة لحوم البشر يهزأون من ملك فتى)[2] .

---

١) يقصد پسكال هنا بكلمة « انا » ذاتيتنا في علاقتها مع الذاتيات الاخرى .

٢) الماع الى زيارة المتوحشين لاوروبا في عهد شارل التاسع ودهشتهم عندما رأوا هذا الفتى ملكاً على الأمراء الملتحين والكماة الشاكي السلاح .

٣ — بان يغتاظ من صفعة ، وان ينشد المجد بنهم . على ان هذا الامر جدير بان يتمناه المرء لِـمَّا يلحقه من المنافع الأخرى الجوهرية . ومَنْ صُفع ولم يتأثر رزح تحت الشتائم والحاجات .

٤ — بان يعمل في سبيل ما هو غير اكيد ، ينطلق فوق البحر ؛ ويمر فوق مجاز عائم .

٣٢٥ — لقد اخطأ مونتين : يجب ان لا تتبع العادة الا لكونها عادة وليس لكونها معقولة او عادلة ، بيد ان الشعب يتبعها لمجرد اعتقاده انها عادلة . والا لما اتبعها مهما تكن عادة . لانه لا يريد ان يُستَعبد الا للعقل او للعدل . ولولا ذلك لحُسبتْ العادة طغياناً .

فمن الخير اذن ان تطاع الشرائع والعادات لانها شرائع ، وان يعرف الشعب انه ما من واحدة منها ، حقيقية كانت او عادلة ، تجوز اضافتها بعد ، وان عليه ان يقتصر على اتباع السائر منها : وبهذه الوسيلة فهو لا ينصرف عنها أبداً . ولكن الشعب لا يستسيغ هذه النظرية ؛ وبما انه يعتقد ان الحقيقة ممكن وجودها ، وانها قائمة في الشرائع والعادات فهو يؤمن بهذه ويرى في قِدَمِها دليلاً على حقيقتها . وعلى هذه الصورة يطيعها . ولكنه معرض للانتقاض عليها حالما يظهرون له انها لا قيمة لها وهو امر قد يصحّ في جميعها اذا نظرنا فيها من ناحية معينة .

٣٢٦ — **ظُلْم** . من الخطر ان يقال للشعب ان الشرائع غير عادلة ، لانه لا يطيعها الا لاعتقاده انها عادلة . ومن اجل ذلك يجب ان يقال له في الوقت نفسه انه يجب عليه اطاعتها لكونها شرائع كما تجب طاعة الرؤساء ليس لانهم عادلون بل لانهم رؤساء . وانك لتتلافى الثورة اذا استطعت ان تفهمه ذلك وان ترشده الى تعريف العدالة الحقيقي .

٣٢٧ — العالَم يصيب في احكامه ، لانه في الجهالة الطبيعية التي هي المرتكز الحقيقي للانسان . للعلوم طرفان يتلامسان ، الاول هو جهل طبيعي

محض يحوق بجميع الناس عند الميلاد ، والطرف الثاني هو حيث تنتهي النفوس الكبيرة التي تجد انها لا تعرف شيئاً بعدما جازت مراحل المعرفة البشرية ، فيلتقي الطرفان في هذه الجهالة نفسها من حيث انطلقا اولاً . ولكنها هنا جهالة عالمة تعقل نفسها . والذين خرجوا من الجهالة الطبيعية وما استطاعوا الوصول الى الاخرى يصطبغون بشيء من ذلك العلم الموسوم بالادعاء . ان هؤلاء يشوشون العالم ويسيئون الحكم في كل شيء ، يحتقرون العـــالم ويحتقرهم ، يخطئون في الحكم بينما العالم يصيب .

٣٢٨ — **علّة المعلولات** . انقلاب مستمر من حجة للشيء الى حجة عليه .

لقد اقمنا الدليل اذن على توهم الانسان بتقديره اشياء ما كانت قط جوهرية ، وجميع هذه الآراء قد هدمت ، ثم بيّنّا بعدئذ ان جميع تلك الآراء جد سليمة وان تلك الاباطيل تقوم على أسس صحيحة وان الشعب والحالة هذه ما كان واهماً بالمقدار الذي يزعمون ، وهدمنا هكذا الرأي الذي كان يهدم رأي الشعب .

— ولكن علينا ان نهدم الآن هذا المذهب الاخير ونظهر انه من الثابت ان الشعب واهم وان تكن آراؤه سليمة ، لانه لا يستشعر معها مقر الحقيقة ، وانه ، اذ يضعها حيث لا توجد ، فان آراءه جد خاطئة وجد سقيمة .

٣٢٩ — **علّة المعلولات** . ان ضعف الانسان هو السبب في كثير من الجهالات الاصطلاحية ، مثل اتقان الضرب على العود[1] وما كان ذلك شرّاً الا بسبب ما نحن فيه من ضعف .

---

١) كان پسكال قد كتب « عدم اتقان » ثم صحح ليوفق بين شطري جملته الثاني والاول : انه لجهالٌ اتقان الضرب على العود ، على ان الجملة الثانية لا يفسرها الا ما كان قد كتب اولاً : ان ما هو شر عدم اتقان الضرب على العود .

٣٣٠ — ان قدرة الملوك يقوم اساسها على العقل وعلى جنون الشعب وبالأخص على الجنون. ان اعظم واهم شيء في العالم يقوم اساسه على الضعف وهذا الأساس عجيب في ثباته ، لأنه ما من شيء اثبت من ان الشعب سيكون ضعيفاً. ان ما يقوم اساسه على العقل السليم لهو واهي الاساس ، على ما تراه الحكمة[1].

٣٣١ — لا نتمثل افلاطون وارسطو الا باثواب مدّعي العلم الواسعة. رجلان من ذوي الصلاح شأنهما شأن سائر الناس بمضاحكة الاصدقاء. تَلَهّيا بتصنيف «الشرائع» و «السياسة» فصنفا هذه وتلك لاعِبَيْن، وهذا الشطر من حياتهما كان اقلها فلسفة وترصناً. وما كان احراهما ان يعيشاه ببساطة وسكينة. وكأني بهما كتبا في السياسة لينظّما مستشفى مجانين ، واذا كانا قد تكلفا التكلم عنها تكلمهما عن امر خطير فلمعرفتهما ان المجانين الذين يخاطبان يفكرون في ان يصبحوا ملوكاً واباطرة. وقد تكيّفا بمبادئهم حتى يُعدِّلا جنونهم باقل ما يستطاع من الاساءة.

٣٣٢ — انما البغي رغبة الانسان في السيطرة خارج نظامه رغبة شاملة.

غرف مختلفة يشغلها اقوياء وحسان وعقلاء ومتعاقلون واتقياء ، وكل يملك في بيته لا في مكان آخر ، وقد يتلاقون ، فيقتتل القوي والجميل ، حماقةً ، على ايهما يكون سيدَ الآخر ولا يتوافقان : اذ الخطأ في انهما يريدان السيطرة

---

١) ان المقاطع السابقة تهيء لنا تفسير هذه الخاطرة التي تبدو شديدة الغموض لاول وهلة. ان قدرة الملوك تقوم على العقل ، لان الشعب بما له من آراء سليمة يعترف بضرورة وجود سيد يضمن سلام المجتمع ، وتقوم على الجنون بمعنى ان الشعب يؤمن ان فرداً معيناً يملك الحق اكثر من سواه في ان يكون السيد ، وان رفعة الشأن الطبيعية اللاصقة بذاته تؤهله شرعاً لذلك السلطان. والجنون انما هو اساس اثبت من العقل : لانه لو اقتصرت المعرفة على ضرورة وجود الملك لما انتفى النزاع في من يكون الملك ، لان كل فرد يود لو كان هو ذلك الرجل. فلو توافق الناس ، كما هو معقول ، على اعطاء الملك اوفرهم حكمة لما انعدم النزاع بينهم على من هو اوفرهم حكمة. ولكن ضعف الشعب ، وقد اقنعته المخيلة ان الحق في الملك ناشئ عن المولد ، انما هو اساس عجيب في رسوخه لتقوم عليه قدرة الملوك ، وهكذا وبفضل هذا الضعف يستقر سلام المجتمع.

في كل مكان ، وما من احد يستطيع ذلك ولو استعان القوة ؛ انها لعاجزة في مملكة العلماء ، وما كانت الا سيدة الاعمال الظاهرية .

بغي — ... وهكذا فان في قولك : « انا جميل فيجب ان يخشاني الناس ، انا قوي فيجب ان يحبوني ، انا ... » كذباً وبغياً .

البغي هو ان تريد لنفسك عن طريقٍ ما لا تستطيعه الا عن طريق آخر . للمزايا المختلفة حقوق مختلفة . حق الحب للملاحة ، وحق الخشية للقوة ، وحق التصديق للعلم . هذه الحقوق يجب ان تؤدى ومن الجور ان تُرفض كما انه من الجور ان يُفرض غيرها ، كما ان في القول « ليس هذا الرجل قوياً فاقدره . وليس بارعاً فاخشاه » كذباً وبغياً .

٣٣٣ — اما رأيتَ اناساً يأتونك للشكوى من قله اهتمامك بهم ، فيضربون لك مثل ذوي الشأن الذين يقدرونهم؟ اني لاجيب هؤلاء : « اظهروا فضلكم الذي خلبتم به اولئك الناس ، فاقدركم تقديرهم لكم » .

٣٣٤ — **علّة المعلولات** . الشهوة والقوة اصل اعمالنا جميعاً : فالشهوة مبعث الاعمال الاختيارية والقوة مبعث الاعمال غير الاختيارية .

٣٣٥ — **علّة المعلولات** . ومن الحق اذن ان نقول ان العالم كله في وهم . لانه وان تكن آراء الشعب سليمة ، فما كانت سليمة في رأسه لأنه يعتقد وجودَ الحقيقة حيث لا توجد . ان الحقيقة في آرائهم ولكن ليس بالمقدار الذي يتصورون ، فمن الحق اذن تكريم الاشراف ولكن ليس لان النَسَب افضلية فعلية ، الخ ...

٣٣٦ — يجب ان تكوِّن فكرة وراء رأسك تحكم بها في كل شيء ، بينما انت تتكلم كسائر الناس .

٣٣٧ — **علّه المعلولات** . تدرُّج . الشعب يكرم ذوي النَسَب الرفيع . والمتحذلقون يحتقرونهم بحجة ان المولد ليس من افضليات الشخص بل

المصادفة . اما الحاذقون فيكرمونهم ليس بالاستناد الى فكرة الشعب بل بالفكرة المضمرة وراء الراس . واهل الورع الذين يتحلون بالغيرة اكثر منهم بالعلم يحتقرونهم على رغم الاعتبارات التي يكرمهم من اجلها الحاذقون ، ذلك انهم يحكمون في الامر على ضوء نور جديد تنفحهم به التقوى . على ان المسيحيين الكاملين يكرمونهم على ضوء نور آخر اسمى . وهكذا تتعاقب الآراء من موءاتية الى مناقضة بمقدار ما يوءتى الناس من نور .

٣٣٨ — ومع ذلك فالمسيحيون الحقيقيون ينقادون للحماقات ، ليس انهم يحترمون الحماقات بل امرَ الله الذي اخضع البشر لهذه الحماقات عقاباً لهم . ان القديس توما ، اذ يفسر رسالة القديس يعقوب عن ايثار الاغنياء ، يرى انهم ان لم يفعلوا ذلك من اجل الله فهم مارقون على الدين[1] .

---

١) هذا هو المقطع الذي يلمع اليه پسكال « يا اخوة ، لا يكن فيكم محاباة انتم الذين تؤمنون بمجد سيدنا يسوع المسيح . لانه اذا دخل مجتمعكم رجل يلبس خاتماً من ذهب وثوباً ابيض ، ثم دخله ايضاً رجل فقير رديء الثوب ، فاذا لم تعيروا انتباهكم الا صاحب الثوب الثمين وقلتم له « اما انت فتوسد مقعد الشرف » فيما تقولون للفقير : « ابق واقفاً او اجلس عند موطىء القدمين » ، فقد ميزتم بينهما وانصرفت افكاركم الى ما يناقض العدل ».

القسم السادس

الفلاسفة

٣٣٩ — استطيع ان اتصور انساناً بلا ايدي ، ولا ارجل ، ولا رأس ، (لانه ما من شيء الا الاختبار علمنا ان الرأس اكثر لزوماً من الارجل) ، ولكنني لا أستطيع ان اتصور الرَجُل ولا فكر له : فهو عندئذ حجر او جماد .

٣٤٠ — للآلة الحاسبة مفاعيل تقرب من الفكر اكثر مما تقرب منه جميع اعمال البهائم . ولكنها لا تصنع شيئاً يمكن القول معه ان لها إرادة كالبهائم[١] .

٣٤٢ — لو كان الحيوان يعمل عن عقل ما يعمله عن غريزة . ولو كان يتكلم عن عقلٍ ما يتكلم به عن غريزة فيما له علاقة بالصيد وبتنبيه رفقائه الى انه وجد الطَريدة او اضاعها ، لكان اجاد الكلام ايضاً في الامور التي تعنيه اكثر من ذلك ، كأن يقول « اقرض هذا الحبل الذي يجرحني ولا أستطيع الوصول اليه » .

٣٤٣ — الببغاء التي تمسح منقارها ولو نظيفاً .

٣٤٤ — الغريزة والعقل دليلان على طبيعتين .

٣٤٥ — سطوة العقل في ما يأمرنا به تفوق سطوة السيد ، لان في

١) لا يصح الاستنتاج من هذه الفقرة ان پسكال ينسب الارادة للبهائم ، ولعله اوردها مثلاً يوضح الفرق بين عمليات الادراك المجرد ونوازع الارادة .

عصياننا لهذا تعاسة وفي عصياننا لذلك حماقة[١] .

٣٤٦ — في الفكر عظمة الانسان .

٣٤٧ — ما الانسان الا يراع[٢] ، اوهى ما في الطبيعة ، ولكنه يراع مفكر ، لا حاجة ان يتجند الكون برمته ليسحقه : فلفحة بخار ، او قطرة ماء ، كافية لان تقتله . لكنّ الانسان ، وإنْ سحقه الكون ، فهو لا يبرح اعظم قدرًا مما يقتله ، لانه يعرف انه يموت ، وافضلية الكون عليه لا يعرف الكونُ منها شيئاً .

قدْرنا كلُّه في الفكر . فالى هنا ينبغي ان ننتسب لا الى مدى ولا الى مدَّة نعجز عن ان نملأهما . فلنعمل اذن على حسن التفكير : ففيه مبدأ الأدبيات .

٣٤٨ — **يراع مفكر** . يجب الا ابحث في المدى عن قدر نفسي بل في نظام فكري . وما كان قدري ليزيد لو ملكتُ الاراضي : بالمدى يَعيني الكون ويبتلعني ، وبالفكر اعيه[٣] .

٣٤٩ — **لامادية النفس** . الفلاسفة الذين كبحوا اميالهم ، اي مادة قد استطاعت ذلك ؟

٣٥٠ — **اتباع زينون** . يستنتجون انك تستطيع دائماً ما تستطيعه احياناً ، وانه لما كانت الرغبة في المجد ، تجعل من هم تحت سطوته ان يأتوا عملاً من الاعمال ، فباستطاعة الآخرين ذلك ايضاً . انها لحركات محمومة لا تستطيع العافية مثلها .

---

١) الانسان بحسب هذه الفكرة يطيق التعاسة اكثر مما يطيق الحماقة . ذلك انه في التعاسة ضحية القوى الخارجية في حين ان عقاب الحماقة باطني ، وما نحن اذن موضوع التعاسة فحسب بل علّتها ايضاً .

٢) قصبة .

٣) يعارض پسكال المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي في كلمة وعي comprendre « انني بحسب المادة جزء من الكون ، ولكن فكري يمتد روحياً الى الكون ، فالكون مستوعب بي وانا مستوعب به » . وفي هذه المعارضة ايجاز لفلسفة المعرفة كلها .

يستنتج ابيكتاتوس من وجود مسيحيين ثابتين ، ان بامكان اي كان ان يكون شبيهاً بهم .

٣٥١ — تلك الجهود العقلية التي تبلغها النفس احياناً ، انما هي اشياء لا تستقر فيها ، انها لتقفز فحسب ، لا كمن يقفز على العرش الى الابد بل الى لحظة فحسب .

٣٥٢ — إنّ ما تستطيعه فضيلة انسان ، يجب الا يقاس بمجهوده بل بمعتاده .

٣٥٣ — لا ارى في فرطِ فضيلة قدراً ، ما لم ار في الوقت نفسه فرط الفضيلة المقابلة لها ، وقد اجتمع ذلك في ايپامينونداس الذي كان له من البأس اقصاه ومن الحلم اقصاه ؛ والا لما كان ذلك صعوداً بل هبوطاً . لا يظهر الانسان عظمته اذ يكون في احد الاقصيين بل بلمسه كليهما وبمَلء ما بينهما . ولكن قد لا يكون ذلك الاّ حركة مفاجئة تقوم بها النفس من احد الأقصيين الى الآخر . فيما هي ابداً في نقطة واحدة كعود اللهب[1] . ان في هذا دليلاً على سرعة تحرك النفس ، ان لم يكن دليلاً على امتدادها .

٣٥٤ — ليست طبيعة الانسان في الذهاب دائماً ، إنما لها ذهابها وايابها .

للحمى قشعريراتها ولوافحها ، والبرد يظهر شدة اللفح في الحمى كالحر نفسه . واختراعات البشر جيلاً بعد جيل تسير على المنوال نفسه[2] . كذلك هو شأن الطيبة والخبث في العالم بوجه عام .

---

١) من المعلوم ان استقرار الصور على غلاف العين يجعل ان عوداً لاهباً ، اذا ادير اكثر من عشر دورات في الثانية ، يرسم امام العين دائرة نار ، فيحصل من هذا التعاقب السريع وهم المعية والتزامن (simultanéité) .

٢) يعتقد پسكال ان تطور الفرد او العالم لا يسير حتماً في اتجاه واحد تقدمي .

٣٥٥ — البلاغة المتصلة تُضجِر .

الامراء والملوك يلعبون احياناً . ولا يستوون دائماً على عروشهم ، حيث يضجرون : العظمة تحتاج الى ان تُهجر لكي تُحَس ، الاستمرار يولد الاشمئزاز في كل شيء ، وفي البرد لذة الدفء .

٣٥٦ — غذاء الجسم شيئاً فشيئاً . الافراط في الغذاء افتقار اليه .

٣٥٧ — من شاء ان يتتبع الفضائل حتى اقاصيها من جهة ومن اخرى ، تعترضه رذائل تندس فيها بصورة غير محسوسة ، في طرقها غير المحسوسة ، من ناحية اللانهاية الصغرى . وتعترض رذائل جمة من ناحية اللانهاية الكبرى ، بحيث انك تضلّ في الرذائل وتغرب عن عينك الفضائل[1] .

٣٥٨ — ما الانسان ملاك ولا بهيمة ، والبلوى هي ان من اراد نفسه ملاكاً فقد جعلها بهيمة .

٣٥٩ — لا نثبت في الفضيلة بقوتنا الذاتية ، بل بتوازن عيبين متضادين ، كما نبقى وقوفاً بين ريحين متقابلتين : أزِلْ احد العيبين تَقَعْ في الآخر[2] .

٣٦٠ — ان ما يقترحه اتباع زينون هو من الصعوبة والبُطل بمقدار !

---

١) لا يفهم بوجه الحصر على ما تنطبق هاتان الفكرتان : اللانهاية الصغرى واللانهاية الكبرى . الآ اننا نحاول هذا التفسير : ان تتبع الفضائل من جهة ومن اخرى ، اي في اتجاه اللانهايتين معاً ، انما هو بلا شك تتبعها في أدق تفاصيلها وفي الوقت نفسه في اوسع مداها . كيف تبرز الرذائل من هذه المتابعة ؟ لنأخذ مثلاً فضيلة العدل ، ان من شاء ان يكون عادلاً صارماً وفي أدق حالات الحياة قد يبلغ به الامر ، بصورة غير محسوسة ، الى ان يصبح عديم المبالاة بمصير من تطالهم عدالته ، قليل الشفقة بل جافي القلب . ومن طمح الى ان يجعل السيطرة للعدالة الشاملة في كل مكان ، أما يحمله هذا على ان يتدخل في شؤون الآخرين وان يباشر اصلاح المجتمع الخ ؟ .. هنا يطل وجه الطمع وما يلحق به من موكب الرذائل .

٢) قال لاروشيفوكو : « تدخل العيوب في تركيب الفضائل كالسموم في تركيب العقاقير : تعمل فيها الحكمة مزجاً وتلطيفاً وتستعملها بجدوى ضد الآلام والحياة » . وقال : « كثيراً ما تولد الاميال اميالاً تناقضها : فالبخل قد يولد الاسراف ، والاسراف البخل ، وكثيراً ما يكون المرء ثبت الجنان عن ضعف وجريئاً عن حياء » .

يقولون : ان الذين لم يبلغوا الدرجة العليا من الحكمة فهم مجانين وذوو نقائص على السواء ، شأنهم شأن الذين هم على قيد قيراطين في الماء[١] .

٣٦١ — الخير الأسمى . التنازع في الخير الأسمى . « لكي تكون مرتاحاً الى نفسك والى الخيرات الصادرة عنك »[٢] .

ثمة تناقض ، لانهم ينصحون اخيراً للانسان ان يقتل نفسه . فيا للحياة السعيدة التي يتخلصون منها كما يتخلصون من الطاعون[٣] .

٣٦٥ — الفكر .

كل قدر الرجل في فكره .

والفكر اذن شيء عجيب لا يضاهى من حيث طبيعته . وقد وجب ان تكون فيه عيوب غريبة ليكون محتقراً ، وهي فيه من الكثرة بحيث انه ادعى شيء الى السخرية . فما اعظمه بطبيعته ، وما احطه بعيوبه .

ولكن ما عسى ان يكون هذا الفكر ؟ ما احمقه !

---

١) نجد هنا احدى المناقضات البارزة في أدبيات مذهب زينون . ان الفضيلة شيء مطلق فلا تحتمل درجات ، فمن ليس بذي فضيلة فهو خلو منها تماماً ، شأن الذين يسقطون على حافة الماء او على حافة الهاوية فانما هم يسقطون لا فرق ان يكون الانحراف الذي احدث سقوطهم كبيراً او صغيراً . اذننا نجد مثيلاً لهذه النظرية الزينونية في مذهب « الطريق الضيق » المسيحي الذي يعتنقه پسكال بشدة ، على انه تجدر الاشارة الى ان اتباع زينون قد انتهوا الى التسليم بان ثمة مجالاً للتمييز بين جمهور الحمقى (وهم بحسب رأيهم معظم الناس ، لان هؤلاء الاتباع لم يستطيعوا الجزم فيما اذا كان قد وجد حكيم حقيقي منذ هرقل) ، فبامكان البعض ، وان لم يبلغ الفضيلة ، ان يتدرج اليها شيئاً فشيئاً .

٢) من قول « سينيك » ان اتباع زينون كانوا يعتبرون ان الانتحار جائز ابداً . بل من المرغوب فيه كلما قضت الحال بان يؤدي المرء خدمة لوطنه ، او ان يتجنب الجريمة والعوز والمرض او الجنون . ان نظرية الانتحار هذه لا تتعارض والتفاؤل ، في نظر الزينونيين ، لانهم من القائلين بالوهية الكون : الانسجام الباطني في الانسان الذي كان يحدد سعادة الحكيم انما هو جزء من الانسجام الكوني وصورة عنه ، فالموت يجمع الكائن بالكون وبالله الذي هو روحه . ان پسكال ، وقد استجمعت في فكره ذكرى « مونتين » و « جانسينيوس » ، ليستنكر مذهب الزينونيين من ناحية الاختبار والدين .

٣) يا للحياة السعيدة ، التي يلجأون لاجل الاستمتاع بها الى مساعدة الموت (جانسينيوس) .

٣٦٦ — ليس عقل ذلك الحاكم المطلق في شؤون العالم مستقلاً الى حد انه لا يعتكر لدى اول ضوضاء تقوم حوله. لا حاجة لقصف مدفع حتى تمتنع عليه فِكَرُه. فلا ينبغي لذلك الا خفقة ريح او صرير آلة. لا تدهش لكونه لا يحسن التفكير الآن، فثمة ذبابة تدندن في اذنيه، وهذا يكفي ليجعله عاجزًا عن الاسترشاد برأي. فاذا أردت ان يستطيع الى الحقيقة سبيلاً، فاطرد هذا الحيوان الذي يكبح جماح عقله ويعكر هذا الذكاء المقتدر الذي يسوس المدائن والممالك. فما اضحكه من اله!

٣٦٧ — مقدرة الذباب: يربح المعارك[1]، يمنع عمل النفس، يأكل الجسد.

٣٦٨ — إننا لندهش عندما يقولون[2] انّ الحرارة إنْ هي الا حركة بعض الكريات، وان النور هو التدافع المتكرر الذي نحسه. ماذا! اليست اللذة الا رقصة الارواح؟ لقد قامت في ذهننا عن هذا فكرة جد مختلفة. وهذه المشاعر تبدو لنا شديدة البعد عن المشاعر الاخرى التي نقول انها هي

---

١) اشارة الى ان البورتغاليين خسروا معركة لان المحاصرين اطلقوا عليهم اسراباً من النحل.

٢) اي ديكارت. ان ديكارت يحصر ماهية الفكر في كونه التأمل الشعوري. وهذا ما يحمله على ان يخص الجسد بجميع وظائف الانسان التي لا تحمل طابع هذا التأمل حيث يكون هذا الجسد منفعلاً لا فاعلاً، شأن الأحاسيس المختلفة. وهو يرى من جهة اخرى ان كل ما هو مادي مرده الى الحركة. وقد افضى به هذا الى ان يحاول تفسيراً للاحاسيس محض آلي، فهي تنبثق اذن من صدمة اولية، وما الفوارق النوعية التي نعتقد انها تميزها الواحدة عن الاخرى الا فوارق اتساع وسرعة. ان التدافع المتكرر، انما هو الطاقة الدافعة عن المركز المنطوية عليها جميع الاجسام التي تتحرك مستديرة لتبتعد عن الاجسام التي تدور حولها (مبادئ الفلسفة القسم ٣ الفصل ٥٤). ان الارواح الحيوانية هي «اجزاء من الدم بالغة اللطافة تتحرك بسرعة شديدة، لان ما اسميه ارواحاً — يقول ديكارت — ان هي الا اجسام (البحث في الميول الجزء الاول المادة ١٠) ويبدو ان العلم الحديث قد اقر نظرية ديكارت هذه القائلة بان مختلف الحواس انما هي اللمس البدائي وقد تحول واستدقّ. ونرى، بالمقابلة، ان انتقال التحسس المادي الى الشعور به شعوراً باطنياً، وهو الذي يعبر عنه كواقع وجداني، نرى ان هذا الانتقال قد ظل في اتم غموض واستبهام، على رغم ما يؤكده پسكال. وكان التقدم الوحيد في هذا المجال، من الناحية العلمية على الاقل، عبارة عن ان ما اعتقده ديكارت حلاً من الحلول انما هو في الواقع احجية من الأحاجي.

نفسها تلك التي نقيسها بها ! ان الشعور بالنار ، تلك الحرارة التي تحدث فينا تأثيراً جد مختلف عن تأثير اللمس ، واستقبال الصوت والنور ، كل ذلك يبدو لنا غامضاً ، مع انه من الغلاظة بحيث يشبه ضربة الحجر . وفي الواقع ان لطافة الارواح التي تدخل في المسام تمس اعصاباً اخرى ، ولكنها اعصاب ممسوسة .

٣٦٩ — الذاكرة ضرورية لعمليات العقل كلها[١] .

٣٧٠ — (المصادفة توحي بالفكَر ، والمصادفة تنزعها ، ليس من صناعة لحفظها ولا لتحصيلها . فكرة افلتت وكنت اود لو دونتها . ادونها كيلا تفوتني) .

٣٧١ — (عندما كنت صغيراً ، كنت احتضن كتابي ، وبما انه كان يحدث لي أحياناً ان اخطئ[٢] باعتقادي انني احتضنه كان يساورني الشك ...) .

٣٧٢ — يحدث ان تفلت مني فكرتي وانا اكتبها . ولكن ذلك يذكرني بضعفي الذي انساه في كل ساعة ، وهو يرشدني بمقدار ما ترشدني فكرتي المنسية . لانني لا أرمي الا لمعرفة عدمي .

---

١) يقتضينا تفهم هذه الملاحظة الرجوع الى مذهب ديكارت . ان ديكارت يعتبر ان هنيهات الزمن مستقلة الواحدة عن الاخرى . فكل هنيهة يقابلها خلق جديد للعالم وحقائق لازمة هي بحسب ديكارت مخلوقات الله . ومن ثم فليس ما يضمن البتة ان القضية المعترف بحقيقتها في هنيهة معينة ، تبقى على هذه الصفة في هنيهة اخرى او ان تكون قد استقرت على ماهيتها في الفكر . واذن فليس من تأكيد مطلق الا في الايحاء الآني المباشر وفي اليقين . ولكن اليقين ملازم للفكر المجردة فحسب . ومن اجل ذلك يوعز ديكارت بان يصار في معالجة اي برهان مركب الى استعراض مراحل الاستنتاج المختلفة بما امكن من السرعة تقرباً من وحدة الايحاء جهد المستطاع وتحسباً لخور الذاكرة ومفاجآتها .

واذن فمقصد پسكال من هذه الكلمات الوجيزة ان يقول : لئن كانت الذاكرة ضرورية لجميع عمليات العقل ، فقد وجب ان نقول ان العقل «يسكن وعدوُّه معاً» وان جميع عملياته مشوبة ، والحالة هذه ، بالارتياب ومهددة بالضلال .

٢) في الأصل ثلاث نقط ملأها فوجير Faugère بكلمة « اخطئ » التي تم بها المعنى الذي قصده پسكال .

٣٧٣ — **تشكك** (پيرونية) . سأدون فِكَري دون ما ترتيب ، وقد لا ادونها بفوضى ودون ما هدف، انه الترتيب الصحيح الذي لن يفتأ يسم غرضي بالاختلال . انني لافرط في تشريف موضوعي لو عالجته بترتيب ، اذ اريد ان ابين انه عاجز عن ذلك .

٣٧٤ — أكثرُ ما يدهشني ان ارى الناس كافة لا يدهشهم ما بهم من ضعف . انهم يعملون بجد وكلٌ يتبع طبقته، ليس لانه من الحسن ان يتبعها نزولاً عند ضرورة الزي السائد، بل هو يتبعها وكأنه يعرف بتأكيد اين مقر الصواب والعدالة . انهم يخيبون في كل ساعة ؛ ويعتقدون ، عن تواضع مضحك ، ان الذنب ذنبهم لا ذنب المهارة التي يتباهون ابداً انها فيهم . بيد انه من الحَسَن ان يكون هذا العدد من الناس لا يدين بالپيرونية ، ذلك لاجل مجد الپيرونية ، حتى يظهر ان الانسان جدير باشد الآراء استغراباً ، اذ انه جدير بان يعتقد انه ليس على ذلك الضعف الطبيعي المحتوم ، وبأن يعتقد ، على العكس ، انه في الحكمة الطبيعية .

ليس ما يدعم الپيرونية مثل ان يكون في الناس من ليسوا پيرونيين : فلو كانوا جميعاً كذلك لكانوا على خطإ[1] .

٣٧٥ — قطعت من عمري شوطاً بعيداً وأنا اعتقد وجودَ عدالة ؛ وما كنت بذلك مخطئاً ؛ لان ثمة عدالة على الوجه الذي شاء الله ان ينزلها . ولكنني لم الاحظها من هذه الناحية ، وبهذا أخطأت ؛ لاني كنت اعتقد ان عدالتنا عادلة في جوهرها وان باستطاعتي ان اعرفها واحكم فيها . ولكن لكم وجدتني وقد اعوزني الحكم الصحيح ، فشككت في نفسي ثم في الآخرين . رأيت جميع البلدان والناس في تقلب وتبدل . وهكذا ، على اثر

---

١) في اي امر « لكانوا على خطإ » ؟ مفاد ذلك ان الناس لو كانوا جميعهم پيرونيين لما اتسع المجال لاتهام العقل بانه السبب في تناقض الآراء ومغالطة الانسان في طبيعته الحقيقية : ولكانت الپيرونية دفنت في انتصارها نفسه .

تبدل متوالٍ في الحكم على العدالة الحقيقية ، عرفت ان طبيعتنا ان هي الا تبدل مستمر . ولم اتبدل قط منذ هذا . فلو تبدلت لاثبتّ رأيي .

٣٧٦ — هذه الشيعة تتقوى باعدائها اكثر منها باصدقائها ؛ لان ضعف الانسان يظهر في من لا يعرفونها اكثر منه في من يعرفونها .

٣٧٧ — كلام التواضع اداة كبرياء لاهل المجد وتواضعٍ للمتضعين . كذلك كلام البيرونيين فهو اداة ايجاب للايجابيين ؛ قليلون هم الذين يتكلمون عن التواضع بتواضع ، وعن العفة بعفة ، وعن البيرونية بشك . ما نحن الا كذب وازدواجية ، وتناقض . نتستر عن ذواتنا ونتقنع .

٣٧٨ — بيرونية . يُتهم منتهى الذكاء بالجنون كمنتهى العيب . ليس من حَسنٍ كالتوسط . ان الاكثرية تقول بهذا وتعضّ من تهرَّب منه من اي طرفٍ كان . لست اعاند ، وارضى عن طواعية ان يحلّوني فيه وارفض ان اكون في الطرف الأسفل ، ليس لأنه أسفل بل لانه طرف ، لانني ارفض ايضاً ان اكون في الاعلى . انك لتخرج من الانسانية اذا خرجت من الوَسَط . ان عظمة النفس الانسانية في ان تعرف ان تستقرّ فيه . وما كانت العظمة في خروجك منها بل في الاّ تخرج .

٣٧٩ — ليس من الخير ان تكون حرًا حتى الإفراط . ليس من الخير ان تكون فيك جميع الحاجات .

٣٨٠ — جميع الحِكَم الصالحة موجودة في العالم ؛ فلا يعوزها الا التطبيق . واليك المثل :

لا يشك احد في انه يجب عليه ألاّ يعرض حياته للدفاع عن الخير العام ، ومع ذلك فكثيرون هم الذين يعرضونها ؛ اما في سبيل الدين فلا .

من الضروري ان يكون تفاوت بين الناس ، ان هذا لصحيح ؛ ولكننا اذ نسلم بهذا ، نفتح المجال ليس لمنتهى السيطرة فحسب بل لمنتهى الجور .

من الضروري ان يتساهل الفكر قليلاً ، ولكن ذلك يفسح المجال لمنتهى الطغيان . فلتُحدَّد المعالم اذن . ليس من حدود للاشياء : تريد الشرائع ان تقيم هذه الحدود ، والفكر لا يطيقها .

٣٨١ — لا سداد رأي في مطلع الصبى ؛ كذلك في منحنى الشيخوخة . اذا فكرت وما وفيت ، او فكرت وافرطت ، عاندت وتباهيت . اذا تأملت عملك حالما تنجزه لم تَزَلْ في ميلك اليه ، واذا افرطت في الانتظار تعذر عليك ان تتبينه . كذلك لوحات الرسم اذا رأيتها مفرطاً في البعد عنها او التقرب منها ، اذ ليس المكان الحقيقي الا نقطة غير متجزئة . وسائر النقاط فهي مفرطة اما في القرب ، او البعد او العلو او الانخفاض . النظرة الصادقة تعين هذه النقطة في فن الرسم ، فمن يعيّنها في الخلقيات ؟

٣٨٢ — اذا تحرّك كل شيء بالتساوي ، فلا يتحرك في الظاهر ، كما في السفينة عندما ينطلق الجميع نحو الخطر ، يبدو انه لم ينطلق احد . الذي يقف يدل على تهور الآخرين ، كنقطة ثابتة .

٣٨٣ — يقول اهل الفوضى لاهل النظام : انكم الباعدون عن الطبيعة فيما نحن اتباعها : كركب سفينة يحسبون الواقفين على الشاطئ هاربين . والكلام شبيه بذلك من كل النواحي . يجب ان تكون لك نقطة ثابتة لتحكم فيه : المرفأ يحكم في ركب السفينة ، ولكن اي مرفأ نسلك في الخلقيات ؟

٣٨٤ — التناقض سمة للحقيقة[1] سيّئة : ثمة اشياء ثابتة منقوضة ، واشياء خاطئة تمر دون ما تناقض . فلا التناقض سمة للخطإ ، ولا عدمه سمة للحقيقة .

---

١) لا يعني التناقض هنا تعارض اثباتين متباينين ضمن الفكرة الواحدة ، بل يعني وقوع التخطئة والتكذيب . انه التناقض التاريخي لا المنطقي . ان پسكال ، وهو الامين هنا لمذهب العقليين الديكارتي ، يرفض ان يبحث في التناقض عن مصداق الحقيقة . فيجب ان لا تؤخذ هذه الجملة الاولى بحرفيتها . سمة الحقيقة تعني المصداق ، اي طريقة التمييز بين الحقيقة والخطإ .

٣٨٥ — كل شيء هنا متجزئ بين الصدق والكذب الا الحقيقة الجوهرية ، فهي نقية كل النقاء ، صادقة كل الصدق . إن الاختلاط يشينها ويلاشيها . ليس من شيء خالص الصدق . وما من شيء صادق اذا عنيت الصدق الخالص . يقولون ان القتل شيء طالح . نعم ، لأننا نعرف الشر والباطل . ولكن اي شيء تقول عنه انه صالح ؟ العفة ؟ اقول لا ، لان العالم ينقرض . الزواج ؟ بل العفة أفضل . الامساك عن القتل ؟ لا ، لان الاضطرابات قد تكون مريعة فيقتل الاشرار جميع الصلاح . القتل ؟ لا ، لان فيه هدم الطبيعة . ليس من صادق ولا صالح الا بجزء منه وانه لممزوج شرًا وباطلاً .

٣٨٦ — لو كنا نحلم كل ليلة بالشيء نفسه لأثر فينا تأثير الأشياء التي نراها كل يوم . ولو وثق صانع من انه يحلم كل ليلة ، زهاء اثنتي عشرة ساعة ، انه ملك لكاد سروره ، في ظني ، يضاهي سرور ملك يحلم كل ليلة زهاء اثنتي عشرة ساعة انه صانع .

ولو كنا نحلم كل ليلة ان عدواً يطاردنا وان اشباحه المزعجة تقلقنا ، واننا نقضي جميع الايام في مشاغل مختلفة ، شأننا في السفر ، لكاد ألمنا يبلغ ما يبلغه لو كان ذلك حقيقياً ولخفنا النوم خوفنا من يقظة يعقبها مثل تلك المصائب .

ولكن بما ان الاحلام جد مختلفة وان الحلم نفسه يتنوع ، فان ما نراه فيه يطبع فينا تأثيرًا دون تأثير ما نراه في اليقظة ، لان فيها استمرارًا ، الا ان هذا الاستمرار ليس من الاتصال والتساوي بحيث انه لا يتغير ، ولكن تغيره اقل مفاجأة ان لم نقل نادرًا ، كما يحدث لك في السفر ، فتقول « يلوح لي انني احلم » ؛ لان الحياة حلم وهي تكاد تحاكيه في عدم الثبات .

٣٨٧ — (قد يكون للاثبات براهين صحيحة ، ولكن هذا غير اكيد . وهكذا ، لا يدل هذا الا على انه ليس اكيداً ان يكون كل شيء غير اكيد ، ذلك لمجد البيرونية) .

٣٨٨ — **الحس الصادق** . يقولون كارهين « انك لا تتصرف عن حسن طوية . اننا لا ننام الخ .» . كم اود لو ارى هذا العقل المتشامخ وقد ذل وتضرع ! فما كان هذا الكلام كلام رجل ينازعونه في حقه ويدافع عنه والسلاح والقوة في يده . فهو لا يتلهى بالقول انهم لا يتصرفون عن حسن طوية ، بل يعاقب هذه النية السيئة بالقوة .

٣٨٩ — يقول ابن سيراخ ان الانسان يجهل كل شيء[1] بمعزل عن الله ، وانه في شقاء محتوم . اذ انه شقي لكونه يريد ولا يستطيع . والحال فهو يريد ان يكون سعيداً وان يتثبت في بعض الحقائق ؛ ومع هذا فهو لا يستطيع ان يعرف ولا أن لا يرغب في ان يعرف ، حتى انه لا يستطيع ان يشك .

٣٩٠ — يا لها من اقوال حمقاء ! « هل برأ الله العالم ليقضي عليه بالهلاك الأبدي ؟ ايقضي به على هـــذا العدد من الناس الضعفاء واي ضعف ؟ الخ. » ان في البيرونية دواء لهذا الداء ، وهي تخفض من هذا الزهو[2] .

٣٩١ — **حديث** . كلمات ضخمة : اما الدين ، فاني انكره .
حديث . البيرونية تفيد الدين .

٣٩٢ — **ضد البيرونية** . (... وانه اذن لامر غريب الا نستطيع تحديد هذه الاشياء دون ان نزيدها غموضاً . ونتكلم عنها في كل ساعة) . نفترض ان الجميع يدركونها على الصورة نفسها ؛ ولكن افتراضنا لا داعي له لاننا نفتقر الى الدليل عليه . انني ارى جيداً انهم يستعملون هذه الكلمات في المناسبات

---

١) يشير پسكال بصورة خاصة الى الفقره ٧ من الفصل الثامن .
٢) يلمع پسكال الى اقوى الاعتراضات التي يتذرع بها العقليون في وجه المسيحية وعلى الأخص الجانسينية . هل الله عادل في ان يعد للهلاك الأبدي هذا العدد من المخلوقات او في ان يفرض علينا التزامات لا تتناسب ظاهرياً وضعف البشرية ؟ ولكن الحكم في عدل الله يفترض القدرة على تعريف العدل المطلق . وهنا يظهر الزهو الذي تخفض منه البيرونية وهي التي تمنع الانسان من الانتفاض على الله .

نفسها ، وانه في كل مرة يرى رجلان ان جسماً قد انتقل من مكانه يعبران كلاهما عما نظراه من امر هذا الشيء بالكلمة نفسها بقولهما انه قد تحرك . ويستخلصون من هذه المطابقة في الاستعمال حدساً قوياً على المطابقة في الافكار . ولكن هذا لا يقنع قناعة مطلقة وان يكن ثمة مجال للمراهنة على صدق هذا الحدس وخصوصاً اننا نعرف انه كثيراً ما تستخلص النتائج نفسها من افتراضات متباينة .

ولئن كان ذلك مما يشوش الموضوع الا انه لا يطفئ الضياء الطبيعي الذي يجعلنا نتثبت في هذه الاشياء ، على انه يكدّر ذلك الضياء ويقلق العقائديين ، ويؤيد بالتالي المذهب الپيروني الذي هو عبارة عن التباس مبهم وغموض مريب لا تستطيع رِيَبُنا ان تنزع كل ضيائه ولا انوارنا الطبيعية ان تطرد جميع ظلماته .

٣٩٣ — انه لامر مضحك ان نرى بعض الناس ، وقد جحدوا جميع شرائع الله والطبيعة ، يستنّون لأنفسهم شرائع يخضعون لها بدقة ، (مثل ذلك اللصوص والمراطقة الخ)[١] ؛ كذلك علماء المنطق . ويبدو ان اباحيتهم وجب ان تكون بلا حدود ولا حواجز حتى يتخطوا اكثرها عدالة وقدسية .

٣٩٤ — جميع مبادئهم عن الپيرونيين والزينونيين والملحدين الخ ... صحيحة على ان استنتاجاتهم خاطئة لان المبادئ المعاكسة صحيحة ايضاً .

٣٩٥ — **الغريزة . العقل** . بنا عجز عن اقامة الدليل لا تزيله العقائدية كلها ، وفينا فكرة عن الحقيقة لا تزيلها الپيرونية كلها .

٣٩٦ — شيئان ينبئان الانسان عن طبيعته كلها : الفطرة والاختبار[٢] .

---

١) كتب «ڤولتير» الى «دالامبير» يقول «لو كان لي رعايا وجب ان اقنعهم بضرورة الشرائع ، لاريتهم ان الشرائع قائمة حيثما كان حتى في الميسر الذي هو تجارة المختلسين ، وحتى بين اللصوص» . ان علماء المنطق الذين هم في حكم الجنود واللصوص انما هم المتشككون المفرطون في معالجة البراهين . على انهم وإن كانوا يسلمون بنواميس المنطق فما فعلوا ذلك الا وقتياً ليدللوا على ان كل منطق يفترض مبادئ مسلماً بها دون ما تبيان انما هو منطق تعسفي وغير ثابت .

٢) الفطرة اي طموح الانسان الى الخير تذكراً لكماله الاصلي . والاختبار معرفة حقارته وسقوطه .

٣٩٧ — عظمة الانسان في كونه يعرف نفسه شقياً. الشجرة لا تعرف انها شقية. واذن انه لشقي ان يعرف نفسه شقياً، ولكنه بمعرفة شقائه عظيم.

٣٩٨ — جميع هذا الشقاء يدل على عظمته. انه شقاء الامير الخطير، شقاء الملك المخلوع[١].

٣٩٩ — لا شقاء بلا شعور : البيت المتهدم ليس شقياً، لا شقي الا الانسان. (انا الرجل الذي رأى البؤس — مراثي ارميا).

٤٠٠ — لنفس الانسان، عندنا، قدر عظيم حتى اننا لا نطيق ان تحتقرنا هذه النفس والا يكون لنا تقدير في نفس ما. وكل سعادة الناس قائمة على هذا التقدير.

٤٠١ — **مَجْد**. البهيمة لا تعجب بالبهيمة. الفرس لا يعجب بفرس آخر، وهذا لا ينفي انهما يتنافسان في السبق، ولكنه امر لا يفضي الى نتيجة، لانهما، في الاسطبل، لا يتنزل اكثرهما بدانة ودمامة للآخر عن شعيره. كما يتمنى الناس من الناس لانفسهم. فضيلة البهائم ترضي نفسها بنفسها.

٤٠٢ — عظمة الانسان قائمة في شهوته نفسها، ذلك بانه عرف ان يستخلص منها نظاماً عجيباً يجعل منها صورة للمحبة.

٤٠٣ — **عظمة**. علل المعلولات تدل على عظمة الانسان بكونه قد استخلص من الشهوة نظاماً بلغ هذا المبلغ من الجمال.

٤٠٤ — ضعة الانسان الكبرى سعيه وراء المجد، ولكن في هذا ابلغ دليل على ميزته، فانه مهما نعم بخيرات الارض، والصحة والرفاهية، فهو لا يرتضي ما لم يكن ذا حظوة في الناس. وهو يرى ان عقل الانسان هو من رفعة القدر بحيث انه مهما كان له من الافضلية على الارض فاذا لم

---

١) قال لامرتين : محدود في طبيعته، لانهائي في امانيه، الانسان اله هاوٍ يتذكر السماوات.

يحلّ ايضاً في المرتبة المفضلة من ذلك العقل فما كان مسروراً قط . انها لاجمل مرتبة في العالم ، وما من شيء باستطاعته ان يثنيه عن هذه الرغبة . وانها الصفة التي لا يمحوها من قلب الانسان شيء .

وهؤلاء الذين يحتقرون الناس ويساوونهم بالبهائم يريدون ايضاً ان يعجب بهم الناس وان يصدقوهم ، وهم يناقضون انفسهم بشعورهم نفسه ، لان طبيعتهم التي هي اقوى من كل شيء تقنعهم بعظمة الانسان اكثر مما يقنعهم العقل بحقارتهم .

٤٠٥ — **تناقض** . الكبرياء تعادل الشقاء جميعه . الانسان اما انه يخفي شقاءه ، واما ، اذا اكتشفه ، فهو يتباهى بانه قد عرفه[١] .

٤٠٦ — الكبرياء توازن جميع الشقاوات وتذهب بها جميعاً . هوذا مسخ عجيب وضلال مبين . انظره ساقطاً من مقامه ، انه ليبحث عنه بقلق . شأنه بذلك شأن جميع الناس . ولننظر من ذا الذي يجده .

٤٠٧ — عندما ترى الخباثة[٢] ان العقل بجانبها ، تتشامخ وتبسطه بكل بهائه . فاذا حدث انّ التزمّت او الاختيار الصارم لم يؤات الخير الحقيقي واقتضى الرجوع الى مسايرة الطبيعة ، تصبح الخباثة متشامخة بهذا الرجوع .

٤٠٨ — الشر سهل ، وثمة شرور لا حصر لها. اما الخير فيكاد يكون فريداً . على ان في الشر نوعاً تجد في سبيل العثور عليه الصعوبة نفسها التي

---

١) « يا لتعاسة الانسان ، اذ يصبح انقى واسمى واصدق ما في الفضيلة مرعى للكبرياء . فاي دواء لهذا ما دام الانسان يتباهى ايضاً بالدواء نفسه ؟ انه يتباهى بكل شيء ، حتى بمعرفة ما فيه من عوز وعدم (بوسويه ، « بحث في الشهوات » ، الفصل الثالث والعشرون) .

٢) الخباثة هنا الروح الشرير والطبيعة الفاسدة بالأنانية . والحال ان اساس هذه الخباثة الكبرياء . وهي تجد في كل مناسبة سبيلاً الى الكبرياء . تجدها في القوة عندما يكون العقل من جهتها ، وفي الضعف ايضاً : فالرجل الذي لم يفلح في قهر الطبيعة يتمجد بذلك كانه يستعيد استقلاله ويصبح اعظم شأناً بانحرافه عن ناموس الله.

وقد يؤيد هذا التفسير ما جاء في قول بوسويه : « ان الكبرياء التي نعنيها انما هي قوة كاذبة تجعل النفس متمردة ومتشامخة وعدوة لكل خشية وطامحة الى نوع من الاستقلال . وهو السبب في انها تجد في المعصية لذة خاصة وفي ان النهي يغضبها ويثيرها (« بحث في الشهوة » ، الفصل ١٤) .

تعترضك للعثور على ما يسمونه الخير ، وكثيراً ما يحدث بسبب هذه الميزة انك تحسب ذلك الشر الخاص خيراً . حتى انه يقتضيك كبراً في النفس خارقَ الطبيعة لتنتهي اليه ، وتنتهي الى الخير ايضاً[1] .

٤٠٩ — **عظمة الانسان** . عظمة الانسان هي من الوضوح بحيث انها تنبثق من شقائه نفسه ، لان ما هو طبيعة في الحيوان نسميه شقاء في الانسان ، ونعرف ، من كون طبيعته اليوم تماثل طبيعة الحيوان ، انه تحدر عن طبيعة افضل كانت خاصة به فيما سلف .

فمَنْ سِوى الملك المخلوع يرى نفسه تعيساً في ان لا يكون ملكاً ؟ من يرى نفسه شقياً في ان لا يكون له الا فم واحد ؟ ومن لا يرى نفسه شقياً في ان لا يكون له الا عين واحدة ؟ لم يخطر على بال احد ان يتألم ان لم تكن له ثلاث اعين ؛ ولكن لا عزاء لمن لا أعين له .

٤١٠ — **پرسيوس ملك مقدونية ، بولس اميليوس** . كانوا يأخذون على پرسيوس انه لم يقتل نفسه[2] .

٤١١ — على الرغم ممّا نرى من بؤسنا الذي يشد خناقنا ، فان لنا فطرة تسمو بنا ولا نستطيع كبح جماحها .

٤١٢ — في الانسان حرب باطنة بين عقله واهوائه . لو لم يكن له الا العقل بدون اهواء ... لو لم يكن له الا الأهواء بدون عقل ...

ولكن بما ان له هذا وتلك فلا يستطيع ان يبقى بدون حرب او ان يصالح جهةً ما لم يحارب الجهة الاخرى . وهكذا فهو ابداً منقسم ومناقض لذاته .

---

١) يقول پسكال في « الخطاب عن اميال الحب » : كل شيء عظيم للنفوس العظيمة ؛ فهي قوية تجاه الشر والخير على السواء . ان هذا التفوق يفرضها على الجماهير التي هي اميل الى الاعجاب بالكمية منها الى تمييز النوعية .

٢) پرسيوس آخر ملوك مقدونية (١٧٨–١٦٨ ق. م) قهره القائد الروماني بولس اميليوس في معركة « بيدنا » ومات في الاسر في ايطاليا .

٤١٣ — هذه الحرب الباطنية القائمة بين العقل والأهواء قد قسمت شداة السلام الى فئتين : فمنهم من ارادوا الكفر بالأهواء ليصبحوا آلهة ، وغيرهم ارادوا الكفر بالعقل ليصبحوا بهائم . ولكن لا هؤلاء ولا اولئك استطاعوا الى ذلك سبيلاً . فالعقل باقٍ ابداً ، يتهم الأهواء بالحقارة والجور ، ويعكر صفو المستسلمين لها . والاهواء حية ابداً في الذين يريدون الانصراف عنها .

٤١٤ — الناس مجانين حتماً حتى انك تكون مجنوناً — بضرب آخر من الجنون — ان لم تكن مجنوناً[١] .

٤١٥ — يُنظَر في طبيعة الانسان على وجهين ، احدهما على ضوء مصيره ، وهو عندئذ عظيم ولا قرين له ، والآخر على ضوء حكم الذين يحكمون في طبيعته كما يحكمون في طبيعة الفرس والكلب ، لمجرد ما يرون السباق وغريزة الاقصاء « et animum arcendi »[٢] ؛ والانسان عندئذ رذل حقير . ها هما السبيلان اللذان تختلف معهما الاحكام في امره وكانا منشأ النزاع بين الفلاسفة[٣] ، لان الواحد ينكر افتراض الآخر . يقول احدهم : « لم يخلق لهذه الغاية لان جميع افعاله تناقضها » ويقول آخر : « انه يبتعد عن مصيره عندما يأتي هذه الافعال الدنيئة » .

٤١٦ — أ. پ. ر. **عظمة وشقاء** . بما ان الشقاء يُستنتَج من العظمة ، والعظمة من الشقاء ، فقد استنتج بعضهم الشقاء واقاموا الدليل عليه بالعظمة . ولما كان الآخرون قد استنتجوا العظمة ، ودليلهم يزداد قوة بكونهم قد استنتجوها من الشقاء نفسه ، فلم يكن كل ما استطاع البعض ان يقوله ليظهر العظمة الا حجة توسل بها البعض الآخر ليستنتج الشقاء ،

---

١) قال انطونيو بيرنر : خير لك ان تكون مجنوناً مع الجميع من ان تكون حكيماً وحدك . فاذا كان الجميع مجانين فما خسرت شيئاً ، اما اذا بقيت حكيماً وحدك حسبت حكمتك جنوناً .

٢) غريزة الاقصاء هي غريزة كلب الحراسة .

٣) يشير پسكال الى ان معظم الحالات التي تحدد طبيعتنا الواقعية تقابلها الطبيعة المثلى التي هي مصيرنا الحقيقي .

اذ ان الانسان شقي بمقدار ما انحدر من اعلى . والآخرون يعكسون البرهان . وقد اقبل بعضهم على بعض ضمن حلقة مفرغة : ليقينهم ان الناس بمقدار ما يأتيهم النور يجدون في الانسان عظمة وشقاء . وموجز القول ان الانسان يعرف انه شقي : فهو اذن شقي بكونه شقياً ، ولكنه عظيم جداً بان يعرف ذلك .

٤١٧ — هذه الازدواجية في الانسان هي من الوضوح بحيث ان هناك من حسبوا ان لنا نفسين اثنتين ، وقد بدا لهم ان الانسان المجرّد اعجز من ان يكون عرضة لهذه التبدلات الفجائية ، من زهوٍ لا حد له الى خور في القلب مريع[1] .

٤١٨ — من الخطر ان تظهر للانسان كم هو معادل للبهائم ، دون ان تظهر له عظمته . كما انه من الخطر ان تريه عظمته دون حقارته ، واخطر ما في ذلك ان تتركه في جهل من الحالتين ، ولكن الافضل ان تمثل له الحالتين جميعاً .

لا يجوز ان يعتقد الانسان انه معادل للبهائم ولا للملائكة ، ولا ان يجهل الامرين بل ان يعرف كليهما .

٤١٩ — لا اطيق البتة ان يرتاح في ذاته ، ولا في الاخرى ، حتى يكون ، وقد اصبح دون قاعدة ارتكاز ولا راحة ...

---

١) يقول مونتين في كتابه « التجارب » (الجزء الثاني ، الفصل الاول) : هذا التبدل والتناقض الذي يشاهد فينا هو من السلامة بحيث يحسب البعض ان فينا نفسين والبعض الآخر ان فينا قدرتين ترافقانا وتميل بنا احداهما للخير والاخرى للشر . ذلك ان هذا التنوع المفاجئ لا يتوافق والانسان المجرد .

ان الفيلسوف المادي لامتري (La Mettrie) الذي عاش في القرن الثامن عشر يقول بعد ان يروي اسطورة الدوار الذي كان ينتاب پسكال ويجعله متوهماً بوجود هوة دائمة عن يساره : « رجل عظيم من ناحية ، ونصف مجنون من ناحية اخرى » .

٤٢٠ ــ اذا ترفع خفضته ، واذا انخفض رفعته ، وناقضته ابداً حتى يعلم انه مسخ لا يدرك[1] .

٤٢١ ــ اني الوم ، على السواء ، الذين اخذوا على انفسهم ان يمتدحوا الانسان ، والذين اخذوا على انفسهم ان يلوموه ، والذين اخذوا على انفسهم ان يتلهوا . ولا ارى الصواب الا في الذين يبحثون ناحبين .

٤٢٢ ــ من الخير ان نهن ونتعب على غير طائل في البحث عن الخير الحقيقي ، لكي نرفع اذرعنا الى المخلّص .

٤٢٣ ــ **نقائض . بعد تبيان حقارة الانسان وعظمته** . والآن فليقدر الانسان نفسه بحقيقة قدرها . فليحب نفسه لان فيه طبيعة تقدر على الخير ، ولكن لا يحبنّ الحقارات التي تنطوي عليها . ليحتقر نفسه لان تلك القدرة جوفاء ، ولكن لا يحتقرن هذه القدرة الطبيعية . فليبغض نفسه وليحبها . ان فيه القدرة ليعرف الحقيقة ويكون سعيداً ولكن ليس لديه حقيقة ثابتة او وافية .

واود اذن لو احمل الانسان على الرغبة في ان يجد الحقيقة وان ينعتق من أهوائه ليتأثرها حيث يجدها اذ يعلم كم اعتكرت معرفته بظلمات الأهواء . اود لو كره في نفسه الشهوة التي تحمله على العمل ، حتى لا تعميه عند الاختيار ، ولا توقفه اذا اختار .

٤٢٤ ــ جميع هذه المناقضات التي بدت وكأنها اكثر ما يقصيني عن معرفة الديانة ، هي التي عجلت في توجيهي الى الدين الحقيقي .

---

١) قال بوسويه في موعظته عن الموت : «ايها الموت، نشكر لك ما افضت على جهالتنا من انوار. انك وحدك تقنعنا بحقارتنا . وانك وحدك تعرفنا بقدرتنا ، اذا بالغ الانسان في تقدير نفسه عرفت كيف تكبح كبرياءه واذا بالغ في احتقارها عرفت انتنهض عزيمته » .

القسم السابع

الخلقيات والمعتقد

٤٢٥ — الجزء الثاني . في عجز الانسان عن معرفة الخير الحقيقي والعدل بمعزل عن الايمان .

جميع الناس يسعون إلى السعادة ، ذلك دون ما استثناء ، ومهما تعددت وسائلهم فهم ينزعون الى هذه الغاية . وما يجعل ان بعضهم يذهب الى الحرب ، فيما البعض الآخر لا يذهب اليها ، هو تلك الرغبة الواحدة الكائنة في كليهما ترافقها نظرات مختلفة . وما كانت الارادة لتسعى الا وراء هذا الغرض الذي هو الباعث على جميع اعمال الناس كافة ، حتى السائرين منهم الى المشنقة .

ومع ذلك لم يستطع احد ، طوال السنين والايام ، ان يبلغ بدون الايمان الى هذه النقطة التي يطمح اليها الناس باستمرار . ولكن الجميع يتذمرون : الامراء والرعايا ، الاشراف والعامة . الشيوخ والشبان ، الاقوياء والضعفاء ، العلماء والجهلة ، الاصحاء والمرضى ، في جميع البلدان ، والازمنة ، والطبقات .

ان هذا الامتحان الطويل الامد ، المتواصل المتماثل كان من شأنه ان يقنعنا بعجزنا عن بلوغ الخير بجهودنا ، ولكن الامثال قليلة الارشاد ، فما كانت قط يوماً تامة المشابهة الا ميز بينها فارق دقيق . وهذا ما يجعلنا ننتظر الا يكون انتظارنا خائباً . واذ كان الحاضر لا يرضينا ابداً فان الاختبار يخدعنا ، ويقودنا من مصاب الى آخر حتى الموت الذي هو نهايته الابدية .

واذن ماذا يصيح بنا هذا التعطش وهذا العجز سوى ان الانسان كانت فيه سعادة حقيقية لم يبق له منها الآن الا علامة وأثر فارغ يحاول على

غير طائل ان يملأه بكل ما يحيط به ، ملتمساً في الاشياء الغائبة عنه المعونة التي لا يحصل عليها من الاشياء الراهنة ، وجميعها عاجزة عن مراده ، لان الهاوية اللامتناهية لا يستطيع ان يملأها الا غرض غير متناه وثابت ، عنيت الله ؟

فهو دون سواه خيره الحقيقي ، ومن الغرابة انه منذ هجره ايّاه لم يبق شيء في الطبيعة الا امكن ان يحل محله : الكواكب ، والسماء ، والارض ، والعناصر ، والنصوب ، والملفوف ، والكراث ، والبهائم ، والهوام ، والعجول ، والأفاعي ، والحمى ، والطاعون ، والحرب والمجاعة والرذائل ، والزنى[1] . ومذ فقد الخير الحقيقي فما من شيء الا امكن ان يبدو له بمظهر ذلك الخير ، حتى انه وجد ذلك في إتلاف نفسه وهو اشد ما يكون مناقضة لله وللعقل وللطبيعة في وقت معاً[2] .

يبحث عنه البعض في السلطة ، وآخرون في الاستطلاع والعلوم ، وآخرون غيرهم في الملذات . ومنهم ممن هم اكثر دنواً منه قد اعتبروا انه من الضروري الا يكون الخير الذي يبتغيه جميع الناس قائماً في اي من الأشياء الخاصة التي يستقل بامتلاكها فرد احد ، والتي اذا ما وُزّعت آلمت من حازها بنقصان القسم الذي ليس له اكثر مما يرضيه الاستمتاع بالقسم الذي له . فقد أدركوا ان الخير الحقيقي وجب ان يكون على وجه يستطيع معه الجميع ان يمتلكوه بأسره دون ما انتقاص ولا حسد ، والا يستطيع

---

١) يلمع « هاڤيه » الى قول الشاعر جوفينال :
« انه لتدنيس للقدسيات ان تهتك حرمة الكراث والبصل بتمزيقها او بأكلها ، فيا للام المقدسة التي تنبت في البساتين آلهتها » .
وثمة هذا التبسيط البليغ لـ « بوسويه » : « كانوا يعبدون حتّى البهائم والزواحف . كل شيء كان الله الا الله نفسه . وذلك العالم الذي برأه الله ليظهر عظمته بدا وقد اصبح هيكلاً للاصنام . لقد تاه الجنس البشري حتّى عبد رذائله وشهواته » .

٢) كان الانتحار مباحاً عند اشياع زينون . ولكن ما يستوقف النظر ان بعض اصحاب مذهب اللذة كانوا يشوقون اتباعهم اليه ، ومنهم هيجزياس الذي لقبوه بمستشار الموت ، فان كثيراً من مستمعيه كانوا ينتحرون حال انصرافهم من سماع محاضراته .

أن يَفقده كارهاً . ودليلهم على ذلك ان هذه الرغبة ، اذ هي طبيعيةٌ في الانسان لأنها في كل انسان حتماً ، حتى لا يمكن الا ان تكون فيه ، فقد استنتجوا ...

٤٢٦ — امّا وقد فُقدت الطبيعة الحقيقية، فقد اصبح كل شيء طبيعة الانسان . كما ان الخير الحقيقي اذ فقد ، فقد اصبح كل شيء خيره الحقيقي .

٤٢٧ — لا يعرف الانسان اي مرتبة يحتل . من البين انه تائه وساقط عن مكانه الحقيقي دون ان يستطيع العثور عليه . فهو يبحث عنه بقلق في كل مكان ودون ما جدوى في اطباق الدياجير .

٤٢٨ — لئن كان ثمة خوف في اقامة الدليل على الله بحسب الطبيعة ، فلا تحتقر الكتاب[1] من اجل ذلك . ولئن كانت معرفة هذه المتناقضات دليل قوة فاقدر الكتاب حق قدره .

٤٢٩ — حقارة الانسان حتى انه يخضع للبهائم ، حتى انه يعبدها .

٤٣٠ — ان عظائم الانسان وحقاراته هي من الظهور للعيان بحيث يحتم ان تعلمنا الديانة الحقيقة ان في الانسان اصل عظمة واصل حقارة عريقين. ويجب اذن ان تدلنا الديانة على سبب هذه النقائض الغريبة.
ويجب ، لكي تجعل الانسان سعيداً ، ان تظهر له ان ثمة الهاً ، وان عليه ان يحبه ، وان غبطتنا الحقيقية ان نحيا به ، وان شرنا الوحيد هو ان نفترق عنه ، وان نعترف اننا مليئون بالظلمات التي تحول دون معرفته وحبه، واننا بعيدون عن الانصاف لان واجباتنا تفرض علينا حب الله في حين ان شهواتنا تحولنا عنه ، يجب ان تدلنا على سبب ما نحن فيه مما يناقض الله وخيرَنا نفسه ، وان ترشدنا الى دواء لهذا العجز والى وسائل الحصول على

---

١) لانه قال ان الله اله متحجب .

هذا الدواء. ولنبحث في جميع ديانات العالم لنرى هل من دين، غير الدين المسيحي، يفي بهذا المراد.

أننشد ذلك عند الفلاسفة الذين يحصرون الخير كله في الخيرات التي فينا؟ أهذا هو الخير الحقيقي؟ اتراهم وجدوا الدواء لادوائنا؟ اتراهم يشفون الانسان من زهوه اذا عادلوه بالله؟ والذين عادلونا بالبهائم وجعلوا الخير كله في ملذات الأرض، حتى في الابدية، اتراهم وجدوا الدواء لشهواتنا؟ اي ديانة اذن تعلمنا شفاء الكبرياء والشهوة؟ واخيراً اي ديانة ترشدنا الى خيرنا وواجباتنا والى الضعف الذي يحولنا عنها والى علة هذا الضعف والى الدواء الذي يشفيه، والى وسيلة الحصول على هذا الدواء.

ان سائر الديانات لم تستطع ذلك، فلنر ما تفعل حكمة الله.

تقول هذه الحكمة: «لا تنتظر من الناس حقيقة ولا تعزية. انا التي برأتك وباستطاعتي وحدي ان أعلمك مَن انت، ولكنك لم تَبْقَ في الحالة التي برأتك فيها. لقد خلقت الانسان باراً كاملاً، وملأته بالنور والمعرفة، وقد بثثت فيه مجدي وعجائبي. وكانت عين الانسان عندئذ ترى جلال الله، ولم يكن الانسان عندئذ في الظلمات التي تعميه ولا في حالة الموت ولا في الشقاء الذي يغمّه. ولكنه لم يستطع احتمال هذا المقدار من المجد دون ان يقع في الازدهاء. فشاء ان يحصر نفسه بنفسه ويستغني عن عوني. وانتزع ذاته من سيطرتي، واذ عادل نفسه بي متوخياً ان يجد غبطته في ذاته تركته وشأنه، وأثرت في وجهه المخلوقات الخاضعة له وجعلتها من اعدائه: حتى اصبح اليوم شبيهاً بالبهائم وبعيداً عني بمقدار، حتى لم يبق له الا نور غامض من خالقه، لان معارفه انطفأت او اعتكرت. ان الحواس، وهي مستقلة عن العقل وكثيراً ما تسوده، قد حملته على السعي وراء الملذات. جميع المخلوقات تعذبه او تجربه، وتتسلط عليه اما باخضاعه بالقوة واما باجتذابه اليها بالعذوبة، مما يجعل سيطرتها اشد هولاً وتعسفاً.

«هذه هي حال البشر اليوم. لقد بقي لهم بعض الشعور العاجز

بسعادة طبيعتهم الاولى ، وهم غارقون في بؤس عمايتهم وفي شهوتهم التي اصبحت طبيعتهم الثانية .

« ويمكنك ، بالاستناد الى هذا المبدإ الذي اطلعتك عليه ، ان تتبين سبب هذا المقدار من المتناقضات التي ادهشت جميـــع الناس وفرقتهم شيعاً مختلفة الشعور . وراقب الآن جميع اندفاعات العظمة والمجد التي ما استطاعت محن الشقاء ان تكبح من جماحها . وانظر اذا لم يكن سبب ذلك ناشئاً عن طبيعة أخرى ... »

اما وقد انكشفت هاتان الحالتان فمن المستحيل ان لا تتعرف بهما . تتبّع حركاتك ، وراقب نفسك وانظر ألا ترى فيها الميزات الحية لهاتين الطبيعتين . ابالامكان ان يوجد هذا المقدار من المتناقضات في اداة بسيطة ؟

— غير مفهوم ؟ — ليس ما يمنع ان ما لا يُدرَك فهو كائن . العدد اللانهائي . المدى اللانهائي المساوي للمنتهي .

— لا يُصدَّق ان يتحد الله بنا ؟ — منشأ هذا الاعتبار ما نرى من وضاعتنا . فاذا كانت وضاعتك صادقة حقاً ، فتتبعها الى حيث تقصيتها انا واعترفْ اننا في الواقع من الضعة بحيث لا نستطيع ان ندرك من نفسنا هل رحمة الله لا يسعها ان تجعلنا اهلاً له ؛ لاني اود لو اعرف كيف ان هذا الحيوان المقر بهذا المقدار من الحقارة يدعي الحق في ان يقيس رحمة الله ويضع لها الحدود التي يوحي بها مراده . انه ، على قلة ادراكه لما هو الله ، لا يدرك ما هو هو نفسه ، واذ يضطرب من رؤية حاله يتجرأ على القول ان الله لا يستطيع ان يجعله اهلاً للاتحاد به .

ولكنني اود لو اسأله هل يطلب الله اليه الاّ ان يحبه اذ يعرفه ، ولاي سبب يعتقد ان الله لا يستطيع ان يجعل ذاته قابلة للمعرفة والحب في حين انه بطبيعته قابل للحب والمعرفة . لا شك في ان الانسان يعرف على الأقل انه كائن وانه يحب شيئاً . فاذا كان يرى شيئاً في الدياجير حيث هو ، وكان يجد موضوعاً لحبه بين الأشياء الارضية ، فلماذا — اذا نفحه الله بشعاع

من جوهره – لا يكون اهلاً لان يعرفه ولان يحبه على الصورة التي يشأ ان يتصل فيها بنا ؟ لا شك اذن ان في هذا التفكير ازدهاء لا يطاق ، ومهما بدا انه يستند الى تواضع ظاهري فما كان التواضع صادقاً ولا معقولاً ما لم يدفعنا الى الاقرار باننا لا نعرف من نفسنا من نحن الا عن طريق الله .

« انا لا أتوخى ان تُخضع اليّ تصديقك بدون حجة ولا أدّعي استعبادك بتعسف ، كذلك لا أدّعي اعطاءك الدليل على كل شيء ....

شاء الله ان يفتدي البشر وان يفتح باب الخلاص لمن يسعون اليه ، على ان الناس بمآتيهم هم من قلة الجدارة به بحيث يقضي العدل ان يمنع الله عن بعضهم ، بسبب صلابتهم ، ما يمنحه آخرين برحمة لا تجب لهم . ولو شاء ان يتغلب على عناد اكثرهم تصلباً ، لاستطاع ذلك بأن تكشّف لهم بسطوع يقضي على شكهم في حقيقة جوهره ، كما سوف تتجلى في اليوم الاخير بين قصف من الصواعق وانهيار في الطبيعة يبلغان مبلغاً من الشدة حتى يبعث الموتى ويشاهده من العميان اعماهم بصراً .

اجل لم يشأ ان يبدو على هذه الصورة في مجيئه العذب . وبما ان عدداً كبيراً من الناس كانوا غير خليقين بحلمه ، فقد شاء ان يتركهم في حرمان من الخير الذي لا يريدونه . ولم يكن من العدل اذن ان يبدو بصورة الهية ظاهرة حَريّة باقناع جميع الناس اقناعاً اكيداً ، ولكن لم يكن من العدل ايضاً ان يأتي بصورة من الخفاء لا يستطيع ان يعرفه معها الذين يبحثون عنه بصدق طوية . لقد شاء ان يكون قابلاً لمعرفة هؤلاء له معرفة تامة ، وهكذا ، اذ هو شاء ان يظهر منكشفاً للذين يسعون اليه من كل قلوبهم وان يتحجب عن الذين يفرون منه من كل قلوبهم ، فقد عدّل هذه المعرفة بحيث انه اعطى عن ذاته دلائل مرئية للذين يسعون اليه لا للذين لا يبحثون عنه .

وثمة قبس من النور كافٍ للذين لا يرغبون الا في رؤيته وقدر من الظلام كافٍ للذين تنطوي نفوسهم على نقيض ذلك » .

٤٣١ — ما من احد غيره عرف ان الانسان اجود المخلوقات . ان بعض الناس الذين ادركوا حقيقة جودته ، قد عزوا شعوره الطبيعي بحقارته الى الجبن وإنكار الجميل . والآخرون الذين ادركوا حقيقة هذه الحقارة ومداها ، قالوا ان شعوره بعظمته ، وهو طبيعي فيه ايضاً ، انما هو كبرياء مضحكة .

يقول البعض « ارفع ناظريك الى الله وانظر الذي انت شبيه به ، الذي برأك لتعبده ، وبامكانك ان تكون شبيهاً به ، لان الحكمة تعادلك به اذا شئت ان تتبعه » . قال « اپيكتاتوس » : « ارفعوا الرأس ايها الناس الاحرار » ؛ ويقول له البعض الآخر : « اخفض بصرك الى الارض ، ايتها الحشرة ، وانظر الى البهائم التي انت رفيق لها » .

واذن اي شيء يصبح الانسان ؟ ألِـلّه يكون معادلاً ام للبهائم ؟ يا للبون الهائل ، ما عسانا ان نكون اذن ؟ ومن ذا الذي لا يرى في كل ذلك ان الانسان تائه ، وانه انحدر عن مكانه ، وانه يبحث عنه بقلق ، وانه لن يستعيده ؟ من ترى يسيّر خطاه اليه ؟ من تراه يحله فيه ؟ ان اعظم الناس لم يستطيعوا ذلك .

٤٣٢ — الپيرونية هي الحقّ . لان الناس قبل المسيح لم يكونوا ليعرفوا ما هم عليه ، هل هم عظماء ام ضعفاء[1] ومن منهم قال بهذا او بذاك لم يكن ليعرف شيئاً ، بل افترضه دون ما سبب واتفاقاً ، حتى انهم كانوا ضالين ابداً بنفيهم هذا او ذاك .

« ان ما تبحثون عنه دون ان تعرفوه تبشركم به الديانة »[2] .

---

١) ان الناس قبل المسيح لم يكونوا يعرفون لا العظمة الحق ولا الحقارة الحق ؛ ولا بنوع خاص ، اتحادهما معاً في الانسان .

٢) يورد پسكال عن ظهر قلب هذه الفقرة من خطاب القديس بولس ؛ فقد جاء فيه « ان هذا الاله الذي تكرمون دون ان تعرفوه (وكان يعني المذبح الذي اقاموه لاله مجهول) انما به ابشركم » . والمعنى جد مختلف . ففي نية القديس بولس ان الحقيقة كانت قد تراءت للوثنيين في حين يرى پسكال انهم ما برحوا في الضلال .

٤٣٣ — **بعد الاصغاء الى طبيعة الانسان** —

يجب ان يكون الدين قد عرف طبيعتنا حتى يكون حقيقياً. يجب ان يكون قد عرف العظمة والحقارة وعلة هذه وتلك. ومن عرفها الا المسيحية ؟

٤٣٤ — اقوى حجج الپيرونيين[١] — واترك ايسرها — هي: اننا، بمعزل عن الايمان والتنزيل، لا نؤمن بحقيقة هذه المبادئ لولا شعورنا بها شعوراً طبيعياً. والحال ان هذا الشعور الطبيعي، ليس بالحجة القاطعة عن حقيقة تلك المبادئ، لاننا اذ يعوزنا اليقين — بمعزل عن الايمان — لا ندري هل الانسان قد خلقه اله رحيم، او شيطان رجيم، أو خُلق مصادفة، ونشك — بحسب ما يكون اصلنا — في هل هذه المبادئ حقيقية او كاذبة او حائرة، وانه ما من احد يثق — بمعزل عن الايمان — ايقظان هو او نائم، لانه يعتقد في نومه انه يقظان عن ثقة، يعتقد انه يرى الفلوات والصور والحركات، يشعر بانقضاء الوقت ويقيسه، ويعمل كما لو انه في اليقظة. ولمّا كان نصف الحياة ينقضي في النوم، على ما نعترف به نحن، حيث لا نلمّ بالحقيقة مهما تراءت لنا، لان احساساتنا انما هي عندئذ مجرد اوهام، فمن يدري ان يكون هذا النصف الآخر من الحياة، حيث نظن اننا في اليقظة، رقاداً آخر يختلف عن الاول بعض الشيء ونستيقظ منه ساعة نظن اننا نيام ؟

(ولما كان يحدث كثيراً ان نحلم اننا نحلم، فنركم حلماً فوق آخر، اما يجوز ان يكون هذا النصف الآخر من الحياة، هو نفسه حلماً ترتبط به الاحلام الاخرى ونستيقظ منه على الموت، ذلك النصف من الحياة الذي لا نملك فيه من مبادئ الحقيقة والخير غير يسيرِ ما نملك منها في حالة النوم الطبيعي، حيث لا تكون الخواطر المختلفة التي تحركنا فيه الا أوهاماً شبيهة بانقضاء الزمن وباشباح احلامنا ؟).

---

١) المشككين — المترجم.

هذه هي أخص القوى من ناحية ومن أخرى .

واني اترك ليسرها، عنيت الخطب التي ينتقد بها البيرونيون تأثيرات العادة والتربية ، والاخلاق ، والاقليم ، وسائر الاشياء المماثلة ، التي وان تكن تجذب معظم العامة من الناس الذين لا تدور معتقداتهم الا على هذه الاسس الباطلة ، الا انها تنهار عند ايسر نعمة تصدر عن البيرونيين، فليقرأ كتبهم من لا يقتنع كفاية : انه سيقنع بسرعة ، وقد يجاوز الحد في الاقتناع .

اني اقف عند حصن العقائديين الوحيد وهو ان من تكلم عن حسن نية وصدق لا يسعه ان يشك في المبادئ الطبيعية . ويدحض البيرونيون هذا بما عندهم من ريبة في اصلنا تشمل الريبة في طبيعتنا ، وهذا ما يعمل العقائديون على ان يجيبوا عنه منذ كان العالم .

ها هي الحرب معلنة بين البشر ، بحيث يتعين على كل منهم ان يعقد النية على رأي فينحاز حتماً اما الى اهل المعتقد واما الى المتشككين . لان من ظن بامكان بقائه على الحياد فهو بحكم حياده متشكك .

فما عسى الانسان ان يصنع في هذه الحالة ؟ هل يشك في كل شيء ؟ هل يشك في يقظته ؟ هل يشك في انه غُمز او أُحرق ؟ هل يشك في أنه يشك ؟ هل يشك في انه كائن ؟ لا يمكن ان ينتهي الى هذا الحد . واني واثق بانه ليس من متشكك حقيقي تام ، لان الطبيعة تساند العقل الحاجز وتحول دون تيهانه الى هذا الدرك .

ايقول ، بالعكس ، انه يملك الحقيقة حتماً ، وهو الذي ، إنْ زحمتَه قليلاً ، يعجز عن الاحتجاج باية حجة فيرجع عن زعمه صاغراً ؟

واذن ، اي وهم هو الانسان ؟ واية بدعة ، بل اي مسخ واي خليط هو ، اي اداة للتناقض واي معجزة ! انه القاضي في الأشياء كلها ، حشرة الارض البلهاء ، مستودع الحق ، بؤرة التردد والضلال ؛ مجد العالم ونفايته .

من يلقي الضياء على هذه البلبلة ؟ ان الطبيعة تخزي البيرونيين والعقل

يخزي العقائديين . فاي مآل مآلكم ايها الناس الذين تبحثون في حقيقة حالكم عن طريق عقلكم الطبيعي ؟ انكم لا تستطيعون ان تهربوا من احد هذين المذهبين ولا ان تستقروا في آيٍّ منهما .

فاعرف اذن ، ايها المتشامخ ، اي غرابة انت تجاه نفسك ، واتضع ، ايها العقل العاجز واصمتي ، ايتها الطبيعة البلهاء ؛ تعلم ان الانسان يفوق الانسان بما لا نهاية له ، واستعلم مولاك حقيقة حالك التي انت تجهل . اصغ الى الله .

فلو لم يكن الفساد قد تطرق الى الانسان قط ، لكان استمتع في براءته ، ولا شك ، بالحقيقة وبالنعيم . ولو ان الانسان لم يكن قط الا فاسداً لما كان له اي المام بالحقيقة ولا الغبطة . على ان من اسباب تعاستنا ان لنا المامة بالسعادة ونحن لا نستطيع ادراكها . نستشعر صورة عن الحقيقة ولا نملك الا الكذب . نحن عاجزون عن الجهل المطلق وعن المعرفة الاكيدة بسبب ما هو بيّن واضح من اننا كنا في مرتبة من الكمال سقطنا ، وأسفاه ، منها .

ولكن الغرابة في ان يكون السر الذي هو اكثر بعداً عن ادراكنا ، عنيت سر انتقال الخطيئة ، امراً لا نستطيع بدونه ان تكون لنا اية معرفة بذواتنا ! لانه ما من شك ان لا شيء يصدم العقل كالقول ان خطيئة الرجل الاول قد أثّمت الذين يبدو انهم عاجزون عن الاشتراك فيها لشدة ما قد ابتعدوا عن ينبوعها . ان هذا الانسياب يبدو لنا مستحيلاً ، بل يلوح انه امر بالغ الجور ، اذ اي شيء اكثر مناقضة لقواعد عدالتنا الحقيرة من ان يُفرَض العقاب الابدي على طفل عاجز عن الارادة من اجل خطيئة ما اقل ما يبدو انه اشترك فيها ، وقد اجتُرِحت قبل ميلاده بسته آلاف سنة ؟ لا ريب انه ما من شيء يصدمنا بخشونة كهذا المذهب . بيد انه لولا هذا السر ، وهو ابعد الاسرار عن الفهم ، لاكتنفنا الغموض عن فهم ذواتنا . ان عقدة انسانيتنا تأخذ تلافيفها وطياتها في هذه الهاوية حتى ان

الانسان ، لولا هذا السر ، ابعد عن ادراك نفسه منه عن ادراك هذا السر . ويظهر من هنا ان الله ، اذ شاء ان يجعل معضلة كياننا مستبهمة علينا ، قد اخفى عقدتها في مكان هو من العلو ، بل من الانخفاض ، بحيث كان يتعذر علينا بلوغه ، حتى اننا ، لا باهتزازات عقلنا المتشامخة ، بل بمجرد خضوع العقل ، نستطيع ان نتعرف الى ذواتنا حقيقة .

هذه الأسس ، القائمة برسوخ على سلطان الديانة المصون ، تعلمنا ان ثمة حقيقتي ايمان ثابتتين بالتساوي : الاولى ، ان الانسان ، في بدء الخليقة او في حالة النعمة ، قد رُفع فوق الطبيعة كلها وجُعل شبيهاً بالله ، مشتركاً بالوهيته . والثانية انه ، في حالة الفساد والخطيئة ، قد انحط عن حاله الاولى وجُعِل شبيهاً بالبهائم .

ان هاتين القضيتين ثابتتان اكيدتان معاً ، وهذا ما يؤيده الكتاب المقدس بوضوح اذ يقول : « ونعيمي مع بني البشر » (سفر الامثال) . « افيض روحي على كل بشر » (نبوءة ايوئيل) . « انكم آلهة » (سفر المزامير) . « كان الانسان في كرامة فلم يفهم . فماثل البهائم وتشبه بها » (سفر المزامير) . « وقلت في قلبي انما ذلك لاجل بني البشر ليمتحنهم الله ويريهم انهم في حق انفسهم كالبهائم » (الجامعة) .

(وهذا مما يدل بجلاء على ان الانسان، بالنعمة، قد جعل شبيهاً بالله، مشتركاً في الوهيته ، وانه ، بمعزل عن النعمة ، شبيه بالبهائم) .

٤٣٥ — ماذا استطاع الناس ، لولا هذه المعارف الالهية ، الا ان يرتفعوا بالحس الباطني الذي بقي لهم من عظمتهم السالفة او ان ينطرحوا لمرأى ضعفهم الراهن ؟ لانهم اذ لم يبصروا الحقيقة كلها ، لم يستطيعوا الوصول الى تمام فضيلة . ولما اعتبر البعض ان الطبيعة غير فاسدة واعتبرها البعض الآخر ان لا وجه لاصلاحها ، لم يستطيعوا التنصل من الكبرياء او من الكسل ، وهما ينبوعا الرذائل كلّها ، لانهم لا يستطيعون الا احد امرين ، فاما الاستسلام بجبن او التخلص بكبرياء ، وهم ، وإن كانوا

عرفوا تفوّق الانسان ، فقد جهلوا فساده ، حتى كانوا يتحاشون الكسل فيتيهون في التشامخ . ولئن كانوا قد اعترفوا بوهن الطبيعة ، لقد جهلوا كرامتها ، حتى انه كان باستطاعتهم ان يتحاشوا الازدهاء ولكن بارتمائهم في اليأس . ومن هنا نشأت مختلف بدع زينون والابيقوريين والعقائديين الخ .

ان الديانة المسيحية وحدها قد استطاعت شفاء هاتين الرذيلتين ، ليس بطرد الواحدة بالاخرى وفقاً لحكمة الارض ، بل بطرد كلتيهما ببساطة الانجيل . فهي تعلم الابرار ، اذ ترفعهم حتى درجة الاشتراك بالالوهية نفسها ، انهم في هذه الحالة السامية لا يزالون منطوين على منبع الفساد كله ، الذي يجعلهم طوال الحياة عرضة للضلال ، والشقاء والموت والخطيئة ، وهي تنادي اشد البشر الحاداً انهم خليقون بنعمة فاديهم . وهكذا فهي اذ تنزل الرعدة في مَن تبررهم وتعزّي الذين تُخطّئهم ، تُعدّل الخوف بالرجاء ، بتلك القدرة المزدوجة المشتركة ، بين جميع الناس ، قدرة النعمة والخطيئة ، وباحكام هو من الدقة بحيث انها تَخفض الى حيث لا يستطيع العقل المجرد ، ولكن دون ان تُيئس ، وتَرفع الى حيث لا تبلغ كبرياء الطبيعة ولكن دون ان تنفخ . ذلك لتظهر انها وحدها البريئة من الضلال والرذيلة ، وان لها وحدها ان ترشد الناس وتقوم الاعوجاج .

واذن ، من يستطيع ان يتنكر لهذه الانوار السماوية فلا يؤمن بهـا ويعبدها ؟ اليس اسطع من النهار ما نشعر به في ذواتنا من سمات التفوق الراسخة ؟ اما يضاهي ذلك في حقيقته ما نحسه في كل ساعة من آثار حالنا الحقيرة ؟ بمَ تهتف هذه الغمغمة وهذا الاختلاط الهائل ؟ اما تهتف بحقيقة هاتين الحالتين ، بصوت هو اعظم من ان يقاوَم ؟

٤٣٦ — **ضعف** . شواغل الناس تهدف الى نوال الخير ؛ ولا سبيل لهم الى مستند ليمتلكوه عن حق ، لانهم مرتهنون بهوى الناس ، ولا قوة لهم لامتلاكه بامان . وهذا هو شأن العلم لان المرض يزيله . اننا عاجزون عن الحقيقة وعن الخير .

٤٣٧ — نتمنى الحقيقة ولا نجد في ذواتنا الا ارتياباً.
نبحث عن السعادة فلا نجد غير الشقاء والموت.
نحن أعجز من الآن نتمنى الحقيقة والسعادة. ونحن عاجزون عن اليقين والسعادة. لقد أُبقي لنا هذا الشوق ليكون لنا عقاباً ولكي يشعرنا من اين انحدرنا.

٤٣٨ — اذا لم يكن الانسان قد برئ لله، فما له لا يسعد الا بالله[1]؟ واذا كان قد برئ لله، فلمَ هو مضاد لله بهذا المقدار؟

٤٣٩ — **طبيعة فاسدة**. لا يعمل الانسان على وفق العقل الذي هو كينونته.

٤٤٠ — يظهر فساد العقل بالعديد من الخصال المختلفة المستغربة، وقد وجب ان تأتي الحقيقة ليخرج الانسان من ذاته.

٤٤١ — اما انا، فاعترف ان الديانة المسيحية حالما تكشف هذا المبدأ وهو ان طبيعة البشر فاسدة وساقطة من لدن الله، تتفتح الاعين على سمة هذه الحقيقة في كل مكان، لان الطبيعة هي من الجلاء بحيث انها تدل في كل مكان على اله مفقود، سواء اكان في الانسان ام خارجاً عنه، وتدل على طبيعة فاسدة.

٤٤٢ — حقيقة طبيعة الانسان، وخيره الحقيقي، والفضيلة الحقيقية، والدين الحقيقي، إنها أمور معرفتها متلازمة.

٤٤٣ — **عظمة وشقاء**. كلما ازداد النور فينا نكتشف المزيد من العظمة والمزيد من الضعة في الانسان. عامة الناس — الذين هم اكثر رفعة: الفلاسفة يُدهشون عامة الناس، المسيحيون يدهشون الفلاسفة.

---

١) يتذكر پسكال القديس اغوسطينوس: «برأتنا لك، فنحن في قلق الى ان نرتاح بك». (الاعترافات).

واذن ، من ذا الذي يدهش اذ يرى ان الديانة ليس دأبها الا ان تعرف معرفة تامة ما نتعرف اليه كلما ازددنا نوراً .

٤٤٤ — ان ما استطاع الناس معرفته بفضل انوارهم القصوى ، كانت هذه الديانة تعلمه ابناءها .

٤٤٥ — الخطيئة الأصلية جهالة في اعين الناس ، ولكنها بهذا وُصفتْ . فليس لك اذن ان تأخذ عليّ بُعْدَ هذا المعتقد عن العقل ، لاني وافقتك على ذلك . بيد ان هذه الجهالة احكم من حكمة الناس[1] ، ولولا هذا ما عسى ان يقال عن الانسان انه هو ؟ ان مجمل حاله منوط بهذه النقطة التي تفوق البصيرة . فأنّى له ان يتبينها بعقله فيما هي مضادة للعقل ، وهل لعقله ان يبتدعها بطرقه وهو الذي يبتعد عنها اذا عَرَضتْ له ؟

٤٤٦ — في الخطيئة الأصلية . التقاليد الوافية عن الخطيئة الاصلية بحسب اليهود[2]. جاء في سفر التكوين — الفصل الثامن : قلب الانسان شرير منذ حداثته .

« موسى حدرتشان » : ان هذه الخميرة الرديئة جُعلت في الانسان منذ تكوينه .

---

١) كورنتس ١—٢٥ « لان مستجهل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس » .

٢) اقتبس پسكال هذه المقارنات من كتاب ظهر في القرون الوسطى عنوانه « خنجر المسيحيين لذبح مكر الملحدين واخصهم اليهود » . وقد وصفه مولينيه في « مقدمته » والمع الى ان مقصد پسكال من الاستشهاد به انما هو مقابلة شرح الكتاب المقدس بحسب المعتقد الكاثوليكي بتأويلات اليهود في شأنه .

ان الكتاب المشار اليه اعلاه ينطوي على ثلاثة اقسام اليك موجزاً خاطفاً عنها : القسم الاول يدحض الاضاليل ، واولها الأضاليل الثلاثة عند الذين لا شريعة لهم (الابيقوريون الذين لا يعرفون الله ، واتباع زينون وهم ماديون ويقولون بالوهية الكون ، والفلاسفة الخلص امثال ارسطو) . وتلك الاضاليل هي الاعتقاد بازلية الكون ، والزعم بان الله لا يُعنى بالفرد ، وانكار البعث . وتأتي بعد ذلك اضاليل اصحاب الشريعة (اليهود والهراطقة) ؛ اما القسمان التاليان فيعنيان اليهود مباشرة . ففي القسم الثاني يقوم الدليل على اليهود من اسفارهم وشهاداتهم نفسها على ان المسيح قد اتى بشخص المصلوب . ويتعلق القسم الثالث بسرّي الثالوث والفداء وبالخطيئة الاصلية .

« ماسيشيت سوكا » : لهذه الخميرة الرديئة سبعة اسماء في الكتاب : فهي تدعى الشر والقلفة ، والنجاسة ، والعدو ، والعار ، وقلب الحجر ، والإعصار ؛ كل ذلك يعني الخبث المخبأ المطبوع في قلب الانسان .

« مزدراح تلليم » يقول القول نفسه ، وان الله سيخلص طبيعة الانسان الصالحة من طبيعته الرديئة .

هذا الخبث يتجدد كل يوم في وجه الانسان ، كما قد كتب في المزمور السابع والثلاثين « المنافق يرصد الصديق ويلتمس قتله . لكن الرب لا يتركه » . ان هذا الخبث يجرب قلب الانسان في هذه الحياة ويتهمه في الآخرة . كل ذلك وارد في التلمود .

« مزدراح تلليم » عن المزمور الرابع : « ارتجفوا فلا تخطئون » ، « ارتجفوا وأفزعوا شهوتكم فلا تسقطون في الخطيئة » .

وعن المزمور السادس والثلاثين : « قال المنافق في قلبه : لا تكن مخافة الله امام عيني » اي ان الخبث الطبيعي في الانسان قال ذلك للمنافق .

« مزدراح وكوحليت » : « ولدٌ مسكين وحكيم خير من ملك شيخ وجاهل لا يحسن التبصير فيما سيجيء » (سفر الجامعة ٤–١٣) . الولد هو الفضيلة والملك هو خبث الانسان . وقد سمي ملكاً لان جميع الاعضاء تطيعه ، وشيخاً لانه في قلب الانسان منذ الحداثة إلى الشيخوخة ، وجاهلاً لانه يقود الانسان في طريق الهلاك التي لا يتبصر في عواقبها .

الشيء نفسه في « مزدراح تلليم » .

« برشيت ربا » — عن المزمور الخامس والثلاثين : « جميع عظامي تباركك لانك تنقذ البائس من الباغي » ، وهل من باغٍ اظلم من الخميرة الرديئة ؟ وعن سفر الامثال ، الفصل الخامس والعشرين : « ان جاع مبغضك فاطعمه خبزاً » . مفاده ان الخميرة الرديئة اذا جاعت فاطعمها من خبز الحكمة الذي يعنيه سفر الامثال ، الفصل الرابع ، وان عطشتْ فاسقها الماء الذي يعنيه سفر اشعيا في الفصل الخامس والخمسين .

« مزدراح تلليم » يقول القول نفسه ، ويضيف ان المبغض الذي يشير اليه الكتاب انما هو الخميرة الرديئة ، باعطائه هذا الخبز وهذا الماء فانما انت تجمع جمرات على رأسه .

« مزدراح وكولحيت » — عن سفر الجامعة ، الفصل التاسع : « مدينة صغيرة اقبل عليها ملك عظيم وحاصرها » . هذا الملك العظيم انما هو الخميرة الرديئة . والحصون التي بناها حول المدينة انما هي التجارب ، وقام رجل بائس حكيم فانقذها ، وهذا الرجل هو الفضيلة .

وعن المزمور الواحد والاربعين : « طوبى لمن يراعي المسكين » .

وعن المزمور الثامن والسبعين : « الروح يذهب ولا يعود » ؛ وقد ضل قوم فاتخذوا هذا حجة ضد خلود النفس . في حين ان الروح تعني الخميرة الرديئة التي تذهب مع الانسان حتى الموت ولا تعود في القيامة أبداً .

٤٤٧ — ايقولون ان الناس قد عرفوا الخطيئة الاصلية لانهم قالوا ان العدالة ارتحلت عن الارض ؟ اي انهم عرفوا ان الغبطة الابدية الجوهرية تبتدئ عند الموت ؟ (ما من احد سعيد قبل الموت)[١] .

٤٤٨ — ان « ميتُن » يرى ان الطبيعة فاسدة وان الناس مناقضون للصلاح ، ولكنه لا يعرف لماذا هم عاجزون عن التحليق الى اعلى .

٤٤٩ — **ترتيب** . بعد « الفساد » ، فليُقَل : « جميع من هم على هذه الحال فمن العدل ان يعرفوها ، الذين ارتضوها والذين لا يرتضونها . ولكن ليس من العدل ان يرى جميعهم الفداء » .

---

١) الماع الى بيت من الشعر لاوفيد . ويبدو ان پسكال قد اطلع من جهة اخرى في « اغوسطينيات جانسينيوس » على فقرة من كتاب « هودرطانسيوس » لشيشرون ورد نقلاً عن القديس اغوسطينوس ، وكأنه استشعار بالخطيئة الأصلية : « كانوا ينزلون بالناس ، تكفيراً عن جرائم اقترفوها في حياة سابقة ، نوعاً من العذاب ، شبيهاً بالذي ابتدعه لصوص « اتروسكيا » فيشدون الاحياء الى الاموات . ان نفوسنا مشدودة الى اجسادنا على الصورة نفسها » .

٤٥٠ — من لم يعرف نفسه مفعماً بالكبرياء والطموح والشهوة والضعف والشقاء والظلم فهو شديد العمى . وان عرف ذلك ولم يرغب في ان يتخلص منه ، فماذا باستطاعتك ان تقول في رجل ... ؟

واذن ، هل بامكانك ان تضمر سوى التقدير لديانة بعيدة المعرفة في عيوب الانسان ، وسوى الرغبة في حقيقة دين يعدك بعلاجات ما اجدرنا بان نتمناها ؟

٤٥١ — طبيعة الناس ان يتباغضوا . ولقد استخدموا الشهوة ما استطاعوا ليستخدموها للخير العام . وما كان ذلك الا افتعالاً وصورة عن المحبة كاذبة . وما هي في الجوهر الا بغضاء .

٤٥٢ — أنْ ترثي لحال التعساء لا يناقض الشهوة . انك بالعكس لترتاح الى ان تعطي هذا الدليل على الصداقة وان تجلب سمعة الاشفاق ، دون ان تعطي شيئاً [١] .

٤٥٣ — لقد اسندوا الى الشهوة واستخلصوا منها قواعد رائعة للنظام وللادبيات وللعدالة . ولكن في دخيلة الانسان الكريهة جبلة شريرة ما هي الا مغطاة ، لم تُنتزع .

٤٥٤ — ظلم . لم يجدوا وسيلة لارضاء الشهوة بغير الاساءة الى الآخرين .

٤٥٥ — الـ« انا »[٢] بغيضة : انك يا « ميتن » تغطيها . ولست بذلك

١) لقد عبر « لاروشفوكو » عن فكرة مماثلة على اوجه ثلاثة . قال : « نجد في شدائد اقرب اصدقائنا شيئاً من الأشياء لا يغمنا (اثبتها في الطبعة الاولى وحذفها في الثانية والثالثة) .
— نتعزى عن مصائب اصدقائنا اذا كان من شأنها ان تلفت النظر الى اشفاقنا عليهم (الطبعة الاولى وما يليها) . — كثيراً ما يكون اشفاقنا على مصائب الأعداء صادراً عن الكبرياء اكثر منه عن الرفق بهم : اننا نبدي لهم دلائل الرأفة لنظهر لهم اننا نعلوهم شأناً » . (الطبعة الخامسة) .

٢) يضيف « پور رويال » هذه الحاشية : « ان « انا » التي يستخدمها المؤلف في هذه الخاطرة مفادها حب الذات فحسب . وهذا الرجل الذي ملك البلاغة كما لم يملكها احد غيره قد سما بهذه القاعدة (بان لا يتكلم المرء عن نفسه) حتى زعم انه لا يليق بالرجل الأديب ان يسمي نفسه او ان يقول « اني » و « انا » . وكان من عادته الجزم بان التقوى المسيحية تلاشي الـ«أنا» البشرية وان الأدب البشري يسترها بل يزيلها » .

تنفيها . فانت اذن بغيض ابداً . — كلا ، لاننا اذا كان دأبنا مراعاة جانب الناس فلا يبقى ما يحملهم على مقتنا . — هذا صحيح لو كنا لا نكره في « انا » الا ما تثير بنا من كرب . ولكنني اذا كنت ابغضها لانها جائرة ولانها تجعل من ذاتها مركز كل شيء ، فلن ابرح ابغضها .

وموجز القول ان في « انا » ميزتين : فهي جائرة بحد ذاتها لكونها تجعل من هذه الذات مركز كل شيء . وهي مزعجة للغير اذ انها تريد لو تستعبدهم . لان كل « انا » عدوة الغير وتود لو تكون طاغيته . انك لتنزع ما فيها من ازعاج لا من جور . وانك لا تجعلها هكذا محببة للذين يبغضون جورها : ولا تجعلها محببة الا للجائرين الذين لا يرون فيها عدوة لهم ، وهكذا تظل انت جائراً ولا تستطيع ان ترضي الا الجائرين[١] .

٤٥٦ — يا لزيغ هذا الحكم ، في الا يضع احد نفسه الا فوق سائر الناس ، والا يؤثر الا خير نفسه واستمرار سعادته وحياته على استمرارها عند سائر الناس .

٤٥٧ — كلُ فردٍ كلٌ تجاه نفسه ، لانه اذ يموت ، يموت كل شيء تجاهه . وهذا ما يجعل أن كل فرد يعتقد انه كل لكل[٢] . يجب الا نحكم في الطبيعة على وفق ما نحن فيه بل على وفق ما هي عليه[٣] .

---

١) « الانسان بطبيعته ينظر الى نفسه بخيلاء واستعلاء . والتواضع يرمي الى ان لا يتأذى منه احد . انها فضيلة خارجية تجعل ضابطاً في العين والمشية والكلام ونبرة الصوت وتجعل الانسان يتصرف ظاهراً مع الناس كما لو لم يكن صحيحاً انه لا يحسب لهم حساباً (لابروييار — « في الانسان ») .

٢) ان عبارة « كل لكل » في المعنى الذي يريده پسكال تفيد تماماً عكس ما تعنيه في قول القديس بولس : « وصرت كلاً لكل لاخلص الكل » (الرسالة الأولى الى اهل كورنتس ٩–٢٢) . فالرسول يعتبر نفسه وسيلة كلية لخلاص الغير . في حين ان الانسان ، بحسب پسكال ، يضع نفسه وكأنه الغاية الوحيدة لسائر الأفراد .

٣) وبعبارة اخرى ، يجب ان نخطو في التقدم ، ضمن النظام الأدبي ، الخطوة نفسها التي اصبحت تفرضها العلوم في زمن پسكال في نظام العلم النظري . اي يجب ان نحكم في الطبيعة لا بحسب حواسنا ومن حيث وجهة نظر الانسان او الأرض ، بل يجب ان نعتبر انفسنا جزءاً من كل حتى ننتهي الى الشرائع الصالحة لهذا الكل .

٤٥٨ — «كل ما في العالم فهو اما شهوة الجسد، او شهوة العين او فخر الحياة». ويل لارض اللعنة التي تضرمها انهر النار الثلاثة هذه، عوضاً عن ان ترويها. وطوبى للذين — اذ هم على هذه الانهر، لا غائصين، ولا مجتذَبين، بل مستقرين راسخين، لا وقوفاً، بل مستوين على قاعدة واطئة امينة، من حيث لا ينهضون قبل النور، ولكن بعد ان يستقروا فيه بسلام — يبسطون اليد الى الذي يجب ان ينهض بهم ويحلهم وقوفاً ثابتين في اروقة اورشليم المقدسة، حيث لا تقوى الكبرياء ان تحاربهم ولا ان تصرعهم؛ الذين، مع ذلك، يبكون ليس لانهم يعاينون زوال هذه الاشياء الفانية التي تجرها السيول، بل في تذكر وطنهم الحبيب، اورشليم السماوية، التي يتذكرونها ابداً في منفاهم الطويل[1].

٤٥٩ — تجري انهار بابل وتهوي وتندفع. يا لصهيون المقدسة حيث كل شيء مستقر ولا شيء يهوي!

يجب ان تستوي على الانهر، لا تحتها ولا فيها بل فوق، لا واقفاً بل جالساً، لكي تكون وديعاً اذ انت جالس، وفي امان اذ انت فوق. ولكننا سنكون وقوفاً في اروقة اورشليم.

ولنرَ أمستقرَّة هذه اللذة ام جارية: لئن عبرتْ فهي احد انهر بابل.

٤٦٠ — **شهوة الجسد، شهوة الأعين، الكبرياء، الخ.** ثمة ثلاث مراتب: الجسد والروح والارادة. الجسديون هم الأغنياء والملوك: وغرضهم الجسد. اهل الاستطلاع والعلماء: وغرضهم الروح. والحكماء: وغرضهم العدل.

يجب ان يملك الله على كل شيء وان يكون مرجع كل شيء. في امور الجسد تملك الشهوة، في الامور الروحية يملك الاستطلاع، وفي الحكمة تملك الكبرياء. ليس انه لا يجوز التباهي بالخيرات او بالمعرفة، ولكن

---

[1]) يقابل «فوجير» هذا المقطع بالشرح المستفيض الذي علق به القديس اغوسطينوس على المزمور السادس والثمانين: «على انهار بابل، هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون».

الكبرياء ليس هنا محلها. لأنك، باعترافك لرجل انه عالم، لن يفوتك ان تقنعه بانه يخطئ في كونه متشامخاً. ان الصلف محله الحكمة: اذ لا تستطيع ان تعترف لرجل انه قد اصبح حكيماً وانه يخطئ اذ يفتخر. ان ذلك عدل. والحال ان الله وحده يهب الحكمة، ومن اجل ذلك «من افتخر فليفتخر بالرب» (كورنتس ١ - ٣١)[١].

٤٦١ - الشهوات الثلاث كوّنت ثلاثة مذاهب، وما كان دأب الفلاسفة الا اتباع احدى الشهوات الثلاث[٢].

٤٦٢ - **البحث عن الخير الحقيقي**. الرجل العادي يجعل الخير في الثروة وفي الخيرات الخارجية او على الأقل في التلهي. ولقد برهن الفلاسفة على بطلان كل هذا، وجعلوا الخير حيثما استطاعوا.

٤٦٣ - **(ضد الفلاسفة الذين ينشدون الله بمعزل عن المسيح).**

الفلاسفة. - يؤمنون ان الله وحده جدير بان يكون موضوع الحب والاعجاب، ويرغبون في ان يكونوا موضوع حب الناس واعجابهم، ولا يعرفون ما بهم من فساد. لئن شعروا انهم مفعمون بالشعور لكي يحبوه ويعبدوه ووجدوا في ذلك فرحهم الرئيسي، فنعم الصلاح صلاحهم. ولكن اذا وجدوا انهم ادعى الى الكراهية وان ميلهم يقتصر على ان يتربعوا في تقدير الناس لهم وان كمالهم الاوحد عبارة عن استدراج الناس - دون ما اغتصاب - الى ان يجدوا السعادة في حبهم لهم، فاني اقول انه لكمال بشع.

١) الفخر معناه الغبطة في الله على ما تذهب اليه اللغة اللاهوتية.
- سنرى في القسم الثاني عشر باي اسهاب رائع تبسط پسكال في شرح تلك المراتب الثلاث (الفقرة ٧٩٣).

٢) يبدو من المعنى الذي شاءه پسكال لكلمة «فيلسوف» في العديد من خواطره، ان الشهوة الخاصة بالفلاسفة انما هي الكبرياء.
يقول «لاروشفوكو» في فكرة مماثلة «ان الفلاسفة لم ينزعوا الجرائم بتعاليمهم، بل استعملوها لتشييد الكبرياء.

ماذا ! انهم اذ عرفوا الله لم تقتصر رغباتهم على ان يحبه الناس بل ان يقف الناس عندهم وحسب ! لقد شاؤوا ان يكونوا للناس غرض السعادة الاختيارية .

٤٦٤ — **فلاسفة** . نحن مفعمون باشياء تطرحنا خارجاً .

تحملنا الغريزة على ان نلتمس السعادة خارجاً عنا . وترفعنا اهواؤنا الى الخارج وان لم تبدُ الاغراض التي تثير تلك الاهواء . ان اغراض الخارج تجربنا وتدعونا وان لم نفكر فيها . وهكذا مهما قال الفلاسفة « انطوِ على نفسك تجد خيرك » ، فما من احد يصدقهم ، ومن صدقهم فهو اكثر الناس عقماً وحمقاً .

٤٦٥ — يقول الرواقيون : « انطوِ على نفسك . فهناك الطمأنينة » . وما كان ذلك صدقاً .

ويقول الآخرون : « انطلق خارجاً ، وابحث عن السعادة بالتلهي » . وما كان ذلك صدقاً . فثمة الامراض .

ليست السعادة خارجاً عنا ولا فينا . انها في الله وهي خارجاً عنا وفينا .

٤٦٦ — لئن كان ابيكتاتوس قد رأى الطريق وقال للناس « انكم لتسلكون طريق الضلال » ، فهو يدلهم الى ان الطريق هو غير هذا ، ولكنه لا يفضي الى الهدف . انما الطريق هو ان تريد ما يريد الله ، والمسيح وحده يقود اليه : « انا الطريق والحق »[1] .

٤٦٧ — **علّة المعلولات**[2] . ابيكتاتوس . قولهم : « انك موجع الرأس » هو خلاف ما نبحث فيه . يتأكد الانسان من العافية لا من العدالة ؛ وفي الواقع ان عدالة ابكتاتوس بلاهة .

---

١) قال يسوع لتوما : « انا الطريق والحق والحياة . لا يأتي احد الى الآب الا بي » . ان ابكتاتوس قد استمتع بالنور على ما قال پسكال . ولكن مرأى الطريق لا يبلغ بنا الى الهدف ، بل تلزمنا القوة لاجتيازه ولا يكفي ان ندل عليه : وانما الارادة ضرورية ومصدرها الله .
٢) ان ابكتاتوس لاحظ امرأً وفاته سببه .

بيد انه يعتقد ان فيها تبياناً اذ يقول: « اما ان يكون الامر في مقدورنا واما لا يكون »[1] . ولكنه لم يلاحظ انه ليس في استطاعتنا ان نجعل للقلب نظاماً ، وقد اخطأ اذ استنتج هذه الامكانية من وجود مسيحيين .

٤٦٨ — ما من ديانة اخرى عرضت على الانسان ان يبغض نفسه . واذن ، فما من ديانة اخرى يمكن ان تروق الذين يتباغضون ويبحثون عن كائن جدير بالحب حقاً . فهؤلاء ، وان لم يسمعوا قط من يحدثهم عن ديانة اله مهان ، فانهم يعتنقونها فوراً[2] .

٤٦٩ — اشعر انه كان بالامكان الا أوجَد . لان الـ« انا » عبارة عن فكري ؛ واذن، انا الذي افكر ، ما كنتُ كائناً لو ان امي قُتلتْ قبل ان تدب فيّ الحياة . واذن فما انا بكائنٍ لازم الوجود . وما انا كذلك ابدي ولا لانهائي . ولكني ارى ان في الطبيعة كائناً لازم الوجود ، ابدياً ولانهائياً[3] .

٤٧٠ — يقولون : لو رأيت اعجوبة لاهتديت: «كيف يؤكدون انهم سيفعلون ما هم جاهلون ؟ يتوهمون ان هذه الهداية عبارة عن عبادة يتصلون معها بالله في مخالطة او حديث على النحو الذي يتصورون . ان الاهتداء الحقيقي عبارة عن تلاشٍ امام هذا الكائن الكلي الذي كثيراً ما اسخطوه والذي باستطاعته ان يزيلك ، عن حق ، ساعة يشاء . » وهي عبارة عن اعترافك بانك لا تستطيع شيئاً بمعزل عنه ، وانك لا تستحق منه الا فقدانك

---

١) ان هذا التمييز الاساسي يهيمن على مجمل رواقية ابكتاتوس .

٢) ليس الدين قائماً في المعتقد بقدر ما هو قائم في استعداد القلب الذي تنشأ فيه الارادة لاعتناق المسيحية . فهي منفتحة لكل النفوس الحسنة الارادة .

٣) قال لابرويار في « العقول الكبيرة » : « مرت اربعون سنة على الآن الذي لم اكن فيه موجوداً ، ولم يكن قط باستطاعتي ان اكون كما اني لم اكن املك ، بعد ان كنت ، ألا اكون . واذن لقد ابتدأت كينونتي وتستمر بفعل شيء خارج عني . وسيبقى بعدي ، وهو افضل مني واعظم قدراً . فاذا لم يكن هذا الشيء هو الله ، فليقولوا لي ما هو » .

الحظوة لديه . وهي عبارة عن معرفتك ان بين الله وبيننا تضادًا مانعاً ، وان لا سبيل اليه بدون وسيط .

٤٧١ — من الظلم ان يتعلق احد بي ، ولو فعل ذلك عن لذة واختيار . اني لأخدع من وَلّدتُ فيهم هذه الرغبة لاني لست غاية احد وليس عندي ما يرضيهم . الست على اهبة الموت ؟ وهكذا سيزول الغرض الذي علّقوه . وبما اني آثم اذا جعلتهم يصدقون ما هو كذب ، كذلك سأكون مذنباً لو جعلت نفسي محبوباً . ولئن جذبت الناس الى التعلق بي ، لوجب ان احذر الذين يرتضون الكذب انّ عليهم الا يصدقوه مهما نالني منه من فائدة ، وانّ عليهم كذلك الا يتعلقوا بي لان عليهم ان يصرفوا الحياة والعناية في رضى الله او في السعي اليه .

٤٧٢ — الارادة الذاتية[1] لا ترتضي ابدًا ولو كانت لها القدرة على كل ما تريد . ولكننا نرتضي حالما نتخلى عن هذه الارادة . فبمعزل عنها لا يمكن ان نكون مستائين . ولا يمكن ان نكون مسرورين .

٤٧٣ — فلنتصور جسدًا ملوءه اعضاء مفكرة[2] .

٤٧٤ — **اعضاء . ابتدئ من هنا** . لكي ننظم الحب الواجب نحو ذواتنا ، علينا ان نتصور جسدًا كله اعضاء مفكرة ، لاننا اعضاء من كل ، وان نرى كيف يجب ان يحب كل عضو ذاته ، الخ .

٤٧٥ — لو كان للارجل وللايدي ارادة خاصة لما بقيت قط في مرتبتها ما لم تخضع هذه الارادة الخاصة للارادة الاولى التي تسوس الجسم

---

١) الارادة الذاتية هي ، في مذهب ناكري وجوب النعمة ، الارادة الصادرة عنا في مقابل النعمة الصادرة عن الله . وهي في نظر پسكال الذي يقارن بينها وبين حب الذات ، الارادة اللاصقة بنا . ان كلا المفادين مترابطان في المذهب الينسيني الذي يرى ان ارادتنا قد فسدت بفعل الخطيئة الأصلية وان تطورها التلقائي وصمها بالانانية والظلم .

٢) ان هذه المقارنة مقتبسة من القديس بولس — الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ، الفصل الثاني عشر — : «لانه كما ان الجسد واحد وله اعضاء كثيرة وجميع اعضاء الجسد مع كونها كثيرة انما هي جسد واحد كذلك المسيح ايضاً ... فانتم جسد المسيح واعضاء من عضو » .

كله . وبمعزل عن هذا فهي في بلبلة وفي شقاء . ولكنها اذ لا تريد الا خير الجسد فهي تصنع خيرها نفسه .

٤٧٦ — يجب الاّ نحب الا الله وألا نبغض الا ذواتنا .

لو كانت الرِجل قد جهلت ابدًا انها من الجسد ، وان ثمة جسدًا هي منه ، ولو لم يكن لها الا ان تعرف وتحبَّ ذاتها ، ثم تسنى لها ان تعرف انها من جسد تخضع له ، فبأي أسف وبأي خجل تنظر الى حياتها السابقة التي لم تكن فيها ذات منفعة للجسد الذي نفحها بالحياة ، والذي لو نبذها وفصلها عنه لكان افناها كما هي انفصلت عنه ! ولشد ما كانت توسّلت اليه ان يحتفظ بها ! وباي خضوع كانت قد استكانت الى حكم الارادة التي تتحكم في الجسد ، بحيث انها كانت قد ارتضت ان تُقتطَع لو قضت الحال ، والا فقدت صفتها كعضو ، اذ يتحتم على العضو ان يرتضي الفناء في سبيل الجسد الذي له كل شيء وحده[1] .

٤٧٧ — انه من الكذب ان نكون جديرين بحب الآخرين لنا ، ومن الظلم ان نريد ذلك . ولو ولدنا منصفين محايدين وعرفنا انفسنا والآخرين ، لما سمحنا لارادتنا ان تجنح الى هذا الميل . بيد اننا نولد بهذا الميل ، ونولد اذن ظالمين . فكل شيء وجهته نحن . ان ذلك يناقض كل نظام . يجب ان نتجه نحو الشيء العام . والميل نحو الذات انما هو بداية كل بلبلة ، في الحرب ، وفي شرائع الامن ، وفي الاقتصاد وفي جسد الانسان نفسه . لقد فسدت الارادة اذن .

لئن كان اعضاء الجماعات الطبيعية والمدنية يتوخون خير الجسد فقد

---

١) كورنتس — الفصل ١٢ : « فان قالت الرجل : لاني لست يداً لست من الجسد ، افلذلك ليست من الجسد ؟ »

يلاحظ « هاڤيه » ان هذه الفكرة سبق ان عالجها اپكتاتوس اذ قال : « اذا تفحصت الرْجل وجدت ان طبيعتها هي ان تكون طبيعة خاصة ، ولكني لو تمثلتها كرجل غير مقتطعة من كل ، لرأيت ان واجبها يمكن ان يكون في الغوص في الوحل او في المشي فوق الاشواك او في ان تقطع في سبيل مصلحة الكل . والا لما كانت رْجلاً » .

وجب ان تتوخى الجماعات نفسها خير جسد اعم هي من اعضائه . واذن يجب ان نتجه نحو الشيء العام . واذن اننا نولد على ظلم وفساد .

٤٧٨ — اذا شئنا ان نفكر في الله ، اليس ثمة امر ما يصرفنا عنه الى التفكير في غيره ؟ كل هذا رديء وقد ولد معنا .

٤٧٩ — اذا كان ثمة اله فقد وجب الا نحب إلاّ إيّاه ، لا المخلوقات العابرة . ان برهان الكفرة قائم ، في سفر الحكمة ، على انه ليس من اله . يقولون بالاستناد الى هذا : « تعالوا نتمتع بالمخلوقات »[1] . وانه لشر مصير . ولو كان لهم اله يحبون لما قالوا بهذا بل بعكسه . وهو قول الحكماء : « ان لنا الهاً فلا نستمتعن بالمخلوقات » .

واذن ، كل ما يحملنا على التعلق بالمخلوقات فهو شر ، لانه يحول دون ان نخدم الله اذا كنا نعرفه ، او دون ان نلتمسه اذا كنا نجهله . والحال اننا مفعمون بالشهوة ، واذن نحن مفعمون بالشر ؛ واذن يجب ان نكره انفسنا ، وان نكره كل ما يحملنا على الارتباط بغير رباط الله وحده .

٤٨٠ — الأعضاء تجب لهم إرادةٌ موٴاتية للجسم ، حتى يكونوا سعداء .

٤٨١ — ان امثلة البطولة في موت « اللقديمونيين » لا توٴثر فينا كثيراً . اذ اي شأن لنا بها ؟ ولكن امثلة موت الشهداء توٴثر فينا ، لأنهم «اعضاوٴنا »[2] ولنا بهم رابطة مشتركة : فقد يكون لنا من عزيمتهم عزيمة ، ليس بالقدوة فحسب ، بل لأن عزيمتهم ربما استوجبت منا عزيمة مثلها . ما من شيء كهذا في ما نراه من امثلة الوثنيين : فليس لنا بهم رابطة : اذ لا يصبح

١) سفر الحكمة ٢—٦ : « فتعالوا نتمتع بالطيبات الحاضرة ونبتدر منافع الوجود ما دمنا في الشبيبة » .

٢) (رومية ١٢—٥) : « كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وكل واحد منا عضو للآخرين » .

المرء غنياً في ان يرى غريباً عنه غنياً . بل في ان يكون ابوه أو زوجه على هذه الحال .

٤٨٢ — **ادبيات** . ان الله ، اذ برأ السماء والارض اللتين لا تستشعران غبطة كينونتهما ، شاء ان يبدع كائنات تعرفه وتؤلف اعضاء مفكرة ؛ لان اعضاءنا لا تشعر البتة بسعادة اتحادها وبذكائها العجيب وبعناية الطبيعة في ان تنفحها بالارواح وفي ان تجعلها تنمو وتبقى . وما كان اسعدها لو شعرتْ بها وشاهدتْها ! ولكن ذلك يقتضيها ذكاء لتعرفها وارادة حسنة لتذعنَ لارادة النفس الشاملة . ولئن وهب للاعضاء الذكاء فاستعملته لكي تستبقي الغذاء لنفسها دون ان تعطيه الاعضاء الاخرى ، فما هي عندئذ ظالمة وحسب ، بل شقية ايضاً ، فتتباغض عوضاً عن ان تتحاب . لان غبطتها ، فضلاً عن واجبها ، هي في ان تذعن لقيادة النفس التي هي منها ، والتي تحب الأعضاء اكثر مما تحب الاعضاء بعضها بعضاً[١] .

٤٨٣ — مزية العضو ان لا تكون له حياة ولا كينونة ولا حركة إلا بروح الجسد وفي سبيل الجسد . — العضو المنفصل ، وقد اصبح لا يرى الجسد الذي هو منه ، ان هو الا كائن يتلف ويحتضر . على انه يحسب انه كُلٌّ ، واذ لا يرى جسداً يتعلق به ، يحسب انه لا يتعلق الا بذاته ويود لو جعل نفسه مركزاً وجسداً . ولكنه ، اذ لا يملك مبدأ الحياة في ذاته ، يضل ضلالاً ويدهش تجاه قلق كيانه ، شاعراً بانه ليس جسداً ، على كونه لا يرى البتة انه عضو من جسد . واخيراً ، عندما يؤول به الامر الى ان يعرف ذاته ، تراه وكأنه قد عاد الى مقره . فلا يحب نفسه الا في سبيل الجسد . ويشكو من اضاليله الماضية .

---

١) اي ان النفس تحب الاعضاء لان هذه تشارك في حياة الكائن الكلية ، قائمة بوظيفتها الحقيقية . ومن اجل ذلك تحب النفس الاعضاء حباً هو ، بالنسبة الى الاعضاء ذاتها ، احق واعمق من الكلف الاناني بحفظ الاعضاء او نمائها منفصلاً عن حفظ او نماء الكل مجتمعاً .

انه لا يستطيع بحسب طبيعته ان يحب شيئاً آخر الا من اجل ذاته ومن اجل ان يستعبده لذاته ، لان اي شيء يحب ذاته اكثر من كل شيء. ولكنه ، اذ يحب الجسد ، يحب نفسه لان لا كينونة له الا به ومنه ومن اجله . « اما الذي يقترن بالرب فيكون معه روحاً واحداً »[١] .

الجسم يحب اليد ؛ ولو كان لليد ارادة لوجب ان تحب نفسها كما تحبها النفس . وكل حب جاوز هذا الحد فهو ظالم .

نحب انفسنا لاننا اعضاء المسيح . ونحب المسيح لانه الجسم الذي نحن اعضاؤه . الكل واحد ، والواحد في الآخر ، كالاقانيم الثلاثة .

٤٨٤ — شريعتان كافيتان لتنظيم الجمهورية المسيحية كلها ، افضل مما تنظمها الشرائع السياسية[٢] .

٤٨٥ — الفضيلة الحقيقية الوحيدة هي اذن في بغض الذات (لان الانسان بغيض بسبب شهوته) وفي البحث عن كائن جدير بالحب حقاً لكي نحبه . ولكن ، بما اننا لا نستطيع ان نحب ما هو خارج عنا ، فقد وجب ان نحب كائناً هو فينا ولا يكون إيّانا ، وهذا يصح في كل فرد من الناس . والحال ، ليس من احد يتّصف بهذا الا الكائن الكلي . ان ملكوت السماء فينا : الخير الكلي فينا ، انه نحن وما هو نحن .

٤٨٦ — كانت كرامة الانسان ، وهو على حال البراءة ، في ان يسخّر المخلوقات ويتسلط عليها ؛ أمّا الآن فإنّ كرامته في ان يفترق عن المخلوقات ويخضع لها[٣] .

---

١) كورنتس ١—٦ و ١٧ .
٢) فدنا احد الكتبة من يسوع وسأله أية الوصايا هي اول الكل . اجابه يسوع « احبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك ، هذه هي الوصية الأولى . والثانية التي تشبهها : احبب قريبك كنفسك ، ولا وصية اخرى اعظم من هاتين» (انجيل مرقس ١٢—٢٨) .
٣) يفترق عنها ليتحد بالله ويخضع لها ليتضع .

٤٨٧ — الديانة التي بايمانها لا تعبد الهاً على انه مبدأ كل شيء ، والتي بأدبياتها لا تحب الهاً واحداً على انه غرض كل شيء ، انما هي ديانة كاذبة .

٤٨٨ — ... ولكنه من المحال ان يكون الله هو الغاية ما لم يكن هو المبدأ . يتجه النظر الى عل ولكننا نستند الى الرمل : وقد تموع الأرض وتهوي بينما ننظر الى السماء .

٤٨٩ — لئن كان مبدأ كل شيء واحداً وغايته واحدة ، لقد وجب ان يكون كل شيء به وكل شيء له . ينبغي اذن ان تعلمنا الديانة الحقيقية الا نعبد سواه والا نحب سواه . ولكن بما اننا عاجزون عن ان نعبد ما نجهل وان نحب اي شيء سوانا ، فعلى الديانة التي تفرض هذه التعاليم ان تشعرنا بعجزنا وان ترشدنا الى الدواء . انها تعلمنا اننا فقدنا كل شيء على يد انسان وانقطعت الصلة بين الله وبيننا ، وان الصلة قد عادت على يد انسان .

اننا نولد جد مناقضين لحب الله ، وهذا الحب هو من الضرورة بحيث يجب ان نلد بالاثم او يكونَ الله ظالماً[١] .

٤٩٠ — ان الناس ، ولم يألفوا ان يكوّنوا الجدارة ، بل ان يثيبوها حيثما وجدت كائنة ، يحكمون في عمل الله بانفسهم[٢] .

٤٩١ — يجب ان تكون علامة الدين الحقيقي في ان تفرض حب الله . ان هذا لعدل . ومع ذلك فما من دين فرضه . ولكن ديننا فرضه . ويجب

---

١) ان پسكال ، بعد ان حدد العقيدة الدينية القائمة على الخطيئة الاصلية والفداء ، يطرح بوضوح مبدأ لزومية الاختيار ، وهو اعمق ما تثيره المسيحية : بما ان الانسان قد انفصل عن الله الذي هو مبدأه وغايته بحسب الطبيعة والعقل ، فمعنى ذلك ان جريمة قد اقترفت . واما المجرم فهو اما الله او الانسان . وبما انه من المناقض للجوهر الالهي ان يكون الله ، فهو اذن الانسان ، والخطيئة الاصلية ضرورية لتبرئ الله .

٢) ذلك يعني ، ولا ريب ، ان البشر ينظرون الى العدل الالهي وكأنه يجب ان يثيب الاعمال البشرية على قدر استحقاق الفرد . بيد ان عدالة الله هي التي تكون الاستحقاق اي انها تمنح النعمة المفضية الى الخلاص .

ان يكون قد عرف الشهوة والضعف . وديننا فعل . ويجب ان يصف العلاجات ومنها الصلاة . وما من دين طلب الى الله ان يهب القدرة على حبه والاهتداء بهديه .

٤٩٢ — من لا يبغض في نفسه انانيتها وتلك الغريزة التي تحمله على ان يجعل من نفسه الهاً ، فهو شديد العماوة . من ذا الذي لا يرى انه ما من شيء كهذا مناقض للعدل والحقيقة ؟ والحال انه لكذب ان نستحق هذا وانه لمن الظلم والمحال ان نصل اليه لان الجميع يطلبون الشيء نفسه . وانه اذن لظلم ظاهر وُلدَ معنا ولا نستطيع ان ننعتق منه وانما يجب ان ننعتق[1] .

على انه ما من دين لاحظ ان الانانية خطيئة ، واننا ولدنا بهذه الانانية ، ولا اننا ملزمون بمقاومتها ، ولا بدا له ان يصف لنا الدواء إلا هذا الدين .

٤٩٣ — الدين الحقيقي يعلمنا واجباتنا ، ويدلنا على وجوه ضعفنا (الكبرياء والشهوة) ؛ وعلى الادواء (التواضع والتقشف) .

٤٩٤ — يجب ان يعلمنا الدين الحقيقي ما هي العظمة وما هو الشقاء ، وان يحملنا على تقدير الذات ، واحتقارها ، وعلى الحب والبغض .

٤٩٥ — لئن كانت عماوة الانسان فائقة الطبيعة اذ يحيا دون ان يبحث عما هو ، فعماوته مريرة اذ يحيا حياة رديئة فيما هو يصدق الله .

٤٩٦ — يرينا الاختبار ان بين التقوى والطيبة بوناً شاسعاً .

٤٩٧ — **ضد الذين ، بالاعتماد على رحمة الله ، يستمرون في التراخي ولا يأتون الاعمال الصالحة** — بما ان الكبرياء والكسل مصدرا الخطايا فقد تكشف الله لنا عن مزيتين في ذاته من اجل شفائها : رحمته وعدله . ان خاصة العدل ان يصرع الكبرياء مهما تقدست الاعمال « ولا تُنفـــذ عبدك الى القضاء

---

١) ان الدين فرض على الانسان ما يستحيل ان يتقيد به لولا عون الله .

فانه لا يبرّ امامك أحد من الاحياء »[١] . أما خاصة الرحمة فمناوأة الكسل بالحث على الصالحات ، وفقَ ما قيل « انما لطف الله يقتادك الى التوبة »[٢]. وما ورد بشأن اهل نينوى « فلنتبْ لعل الله يرفق بنا »[٣] . وهكذا عوضاً عن ان تكون الرحمة حافزًا على التراخي فهي تناوئه ، وعوضاً عن ان نقول « لو لم يكن في الله رحمة لوجب ان نبذل جميع الجهود في سبيل الفضيلة » ، فقد وجب ان نقول ، بالعكس ، « بما ان في الله رحمة فعلينا ان نبذل منتهى الجهد »[٤] .

٤٩٨ — من الراهن ان في سلوك التقوى مشقة . ولكنها مشقة لا تنشأ عن بزوغ التقوى ، عندنا ، بل عن الكفر الذي ما برح فينا . فلو لم تكن حواسنا تعارض التوبة ولو لم يكن فسادنا يعارض نقاوة الله ، لما كان في ذلك ايه مشقة لنا . اننا لا نتألم الا بمقدار ما تقاوم رذائلُنا الطبيعيةُ النعمةَ الفائقةَ الطبيعة ، فنستشعر تمزقاً في القلب بفعل جهود متعاكسة . على انه من الظلم ان ننسب هذا العنف الى الله الذي يجذبنا ، عوضاً عن ان نعزوه الى العالم الذي يمسك بنا . ان ولداً تنتزعه امه من سواعد اللصوص ، يجب ان يحب ، في المشقة التي يكابدها ، العنف العاطفي المشروع يصدر عن تلك التي تهبه الحرية ، ولا يكره الا العنف القاهر الجائر يصدر عن هؤلاء الذين يمسكون به ظلماً . ان اقسى حرب يمكن ان يعلنها الله على البشر في هذه الحياة هي ان يعفيهم من تلك الحرب التي جاء ليعلنها . لقد

---

١) المزمور ١٤٢–٢ .

٢) بولس الرسول الى اهل رومية ٢–٤ .

٣) نبوءة يونان .

٤) من المفيد ان يتبصر المرء هذه الخاطرة التي تزيل ما في المذهب الينسيني من تناقض ظاهري . كيف نوفق بين رحمة الله وما يفرض على المسيحي الحقيقي من توبة وتقشف مستمرين ؟ اجل ان رحمة الله لا ترمي الى معاملة طبيعتنا الفاسدة بحلم ، بل الى شفاء ما فينا من فساد ومدنا بالارادة والقوة «لنعرّي الانسان القديم» ، ومن ثم فليس ما يناقض ثقة الينسيني برحمة الله كأمل الرجل الذي لا يتورع عن الخطإ لان الله سيرأف به ويغفر خطاياه .

قال : « لم آت لالقي سلاماً لكن سيفاً »[١] . وقال : « جئت لالقي ناراً على الارض وما اريد الاّ اضطرامها »[٢] . وكان العالم قبله يعيش في سلام كاذب .

٤٩٩ — **اعمال خارجية** — ما من شيء اخطر مما يرضي الله والناس ، لان في الحالات التي ترضي الله والناس ناحية ترضي الله وناحية ترضي الناس ، مثال ذلك عظمة القديسة تريزيا : ان ما يرضي الله انما هو وداعتها العميقة في تجلياتها ، وما يرضي الناس انوارها . وهكذا يجهدون انفسهم في تقليد احاديثها حاسبين انهم يتمثلون بحالتها ، ولا يبذلون مثل هذا الجهد ليحبوا ما يحبه الله وليصبحوا في الحالة التي يحبها الله .

الافضل الا تصوم وتُسام خسفاً بذلك من ان تصوم مسايرة . الفريسي والعشّار[٣] .

ماذا يفيدني ان اتذكر هذا اذا كان يؤذيني وينفعني على السواء ، واذا كان كل شيء منوطاً بنعمة الله التي لا يهبها الا في سبيل الاشياء التي صنعت لاجله وبحسب احكامه ووفقاً لطرقه ، ذلك ان الطريقة هي باهمية الشيء نفسه ، وقد تكون اكثر اهمية ، اذ ان الله باستطاعته ان يستخرج من الشر خيراً ، واننا ، بمعزل عنه ، نستخرج من الخير شراً ؟

٥٠٠ — مفاد كلمتَي الخيرِ والشر .

٥٠١ — الدرجة الاولى : ان تلام على عمل الشر ، وتمدح على عمل الخير . الدرجة الثانية : ان لا تمدح ولا تلام .

٥٠٢ — ان ابراهيم لم يأخذ شيئاً لنفسه بل لعبيده[٤] ، هكذا لا يأخذ الرجل البار شيئاً لنفسه لا من العالم ولا من مدائحه ، ولكنه يأخذ لامياله

---

١) متى ١٠-٣٤ .
٢) لوقا ١٢-٤٩ .
٣) الماع الى ما ورد بشأنهما في انجيل لوقا الفصل السابع عشر .
٤) سفر التكوين ١٤-٢٤ .

فحسب ويستخدمها استخدام السيد ، اذ يقول لاحدهـا : اذهب او اقترب . « واليك انقياد اشواقها » [١] . ان امياله التي تسلط عليها هكذا انما هي فضائل : البخل ، والحسد والغضب . ان الله نفسه يختصها بذاته على ان لها مزيّة الفضائل ، بمثابة الحلم والرحمة والثبات التي هي اميال ايضاً . يجب ان نستخدمها كما نستخدم العبيد ، ونحول ، اذ نترك لها طعامها ، دون ان تتناول النفس منه ، لان الاميال اذ تكون سيدة تصبح رذائل وتعطي النفس من طعامها ، فتقتات النفس منه ويسمّها .

٥٠٣ — كرس الفلاسفة العيوب فجعلوها في الله نفسه ؛ وكرس المسيحيون الفضائل .

٥٠٤ — يسعى البار عن ايمان في ايسر الامور : فاذا ما استخرج عبيده ، يتمنى لو اهتدوا بروح الله ويطلب الى الله ان يصلح حالهم ، ويرتقب ذلك من الله ومن عقابه على حد سواء ، ويطلب اليه ان يبارك ما اصلح . وهكذا سائر الاعمال ...

(السبب انعدام المحبة ... والحرمان من روح الله . واعماله الشريرة سببها انقطاع روح الله عنه ... يندم عنها مغتماً) .

٥٠٥ — ما من شيء الا ويمكن ان يكون مميتاً ، حتى الذي صنع لخدمة الانسان . كذلك في الطبيعة ، باستطاعة الجدران ان تقتلنا ، والادراج ان تقتلنا اذا لم نسر بإحكام .

أيسر حركة تهم الطبيعة جمعاء . والبحر باجمعه يتغير من رمية حجر . هكذا في النعمة ، فان أيسر الاعمال يهم بعواقبه الأعمال جميعاً . واذن فكل شيء مهم .

يجب ان نرى في كل عمل ، فضلاً عن العمل نفسه ، حالنا الحاضرة

---

١) سفر التكوين ٤–٧ – قال الله لقايين قبل الجريمة : « عند الباب خطيئة رابضة ، واليك انقياد اشواقها وانت تسود عليها » .

والسالفة والمقبلة ، وحال الآخرين الذين يعنيهم هذا العمل ، وان ننظر الى روابط هذه الأشياء جميعاً . ولشد ما نتحفظ عندئذ ![١]

٥٠٦ — سألتُ الله الا يعزو الينا آثامنا ، اي نتائجها وعقباها المخيفة ، ونتائجَ ايسر اخطائنا وعقباها ، اذا شئنا ان ننقاد اليها بمعزل عن الرحمة .

٥٠٧ — اهتزازات النعمة ، وقسوة القلب ، والاحوال الخارجية[٢] .

٥٠٨ — بالنعمة يصبح الانسان قديساً ، ومن شك في ذلك فهو لا يعرف ما الانسان وما القديس[٣] .

٥٠٩ — **الفلسفة** . ما اسخف ان يقال لرجل لا يعرف نفسه ليسعَ بذاته الى الله ، وما اسخف ان تقول القول نفسه لرجل يعرف نفسه .

٥١٠ — الانسان غير جدير بالله ، ولكنه غير عاجز عن ان يعود جديراً به .

لا يخلق بالله ان ينضم الى الانسان الشقي ، ولكن يخلق به ان ينتزعه من شقائه .

٥١١ — اذا قيل ان الانسان هو من الحقارة بحيث لا يستحق الاتصال بالله ، فقد وجب على مَن قال بهذا ان يكون جد عظيم .

٥١٢ — يقول : انها كلها جسد المسيح ، ولكنه لا يستطيع القول انها جسد المسيح كله . ان اتحاد شيئين دون ما تبدل يجيز القول ان احدهما

---

١) يعني پسكال ان ما يجب اخذه بعين الاعتبار في كل امر غايته ، وان الانسان لا يستطيع ادراك هذه الغاية او النهاية ما لم يربطها باللانهاية .

٢) كل نفس مسيحية موزعة بين اهتزازات النعمة التي تتقبلها من الله ، واستحقاقات الفادي وقسوة القلب الملازمة لطبيعتنا الفاسدة ، ثم تبرز الأحوال الخارجية وهي الدلالة على العناية الالهية ، وكثيراً ما تكون حاسمة (ان ارتداد اسرة پسكال على اثر الحادث الذي تعرض له والده قد اعتبر من فعل العناية الالهية) .

٣) على هذا التعارض بين الانسانية والنعمة يقوم مذهب الينسينيين الاساسي . يقول ينسينيوس : « اليس من البين الى اي حد تسقط الطبيعة في الرذيلة لما في هذه الطبيعة من ثقل وتحدر ؟ ولشد ما يعوزها العون للتخلص منها » .

اصبح الآخرَ : وهكذا تتحد النفس بالجسد والنار بالحطب ، دون ما تبدل . ولكن يجب ان يكون ثمة تبدل حتى يصبح شكل احدهما شكل الآخر . كذلك هو اتحاد الكلمة بالانسان .

بما ان جسدي بمعزل عن نفسي لا يكوّن جسد انسان ... فنفسي ، اذن ، باتحادها باية مادة كانت تكوّن جسدي . انه لا يميّز بين الشرط الضروري والشرط الكافي : ان الاتحاد ضروري ولكنه غير كاف . ان الساعد اليسرى ليست اليمنى ، وعدم التداخل احدى خصائص الاجسام .

ان التطابق العددي بالنسبة الى الزمن الواحد يفرض التطابق المادي . وهكذا ، اذا ضم الله نفسي الى جسد في الصين ، اصبح الجسد نفسه للصين ، من حيث التطابق العددي . والنهر المنساب هناك ، هو من حيث التطابق العددي هو نفسه الذي ينساب في الوقت نفسه في الصين[١] .

٥١٣ — لمَ انشأ الله الصلاة ؟

١ — ليشرك مخلوقاته في شرف السببية .

٢ — ليعلمنا من اي مصدر قد اقتبسنا الفضيلة .

٣ — ليجعلنا مستحقين سائر الفضائل بالعمل .

ولكنه لكي يحتفظ بالتفوق ، يهب الصلاة من يشاء .

اعتراض : قد يحسب ان الصلاة مقتبسة من الذات .

انه لامر محال ، لاننا ، مع الايمان ، لا نستطيع ان تكون لنا فضائل ، فكيف يكون لنا ايمان ؟ اليس بين الايمان وعدمه مسافة اطول مما بين الايمان والفضيلة[٢] ؟

---

١) مناقشة حول الافخارستيا يلمع فيها پسكال الى مذهب ديكارت .

٢) ان مذهب الصلاة رئيسي في نظر الينسينية ، فالصلاة هي في وقت معاً الدليل القاطع للارادة الحسنة عند المخلوق وهي نتيجة نعمة المخلص ، واقرار المخلوق بضرورة النعم الجديدة لتخرج الارادة الحسنة الى حيز العمل ، ويصبح الايمان فضيلة .

الجدارة كلمة غامضة[١] .

لا يلتزم الله الا ما وعد . فقد وعد ان يستجيب الصلوات[٢] ، ولكنه لم يعد قط بالصلوات غير ابناء الموعد[٣] .

لقد قال القديس اغوسطينوس جازماً ان القوى ستُنتزع من الرجل البار[٤] . ولكنه قالها اتفاقاً ، لانه كان من الممكن الا تعرض له مناسبة لهذا القول . ولكن مبادئه تدل على انه ، وقد عرضت له المناسبة ، كان من المستحيل الا يقوله او ان يقول ما يناقضه . واذن ، انه لأفضل ان يكون قد اضطر الى قوله ، وقد عرضت له المناسبة ، من ان يكون قد قاله لان المناسبة قد عرضت ، فاحدى الحالين ضرورة ، والاخرى مصادفة .

٥١٤ — « اعمل خلاصك بخوف » .

البراهين على الصلاة : اسألوا فتعطوا .

فباستطاعتنا اذن ان نسأل بعكس الـ... فهو ليس باستطاعتنا لان النوال الذي يلتمسه ليس باستطاعتنا[٥] . لانه بما ان الخلاص ليس في استطاعتنا ، وكان النوال في استطاعتنا فما كانت الصلاة في استطاعتنا .

ليس للبار اذن ان يضع رجاءه بالله ، اذ ليس له ان يرجو ، بل ان يجتهد في نيل ما يطلب .

فلنخلص اذن الى القول ، انه بما ان الانسان منذ الخطيئة الأصلية عاجز عن ممارسة هذه الاستطاعة المباشرة ، وبما ان الله لا يشاء ان يكون، لم يبتعد عنه ، من اجل هذا السبب ، فهو بسبب استطاعة فعالة فقط لم يبتعد .

---

١) ان الانسان استحق من الفادي ، ولكن هنا التباساً ، فقد يبدو له ان يعزو هذا الاستحقاق لنفسه ، في حين ان المقصود استحقاقات المسيح .

٢) « اسألوا فتعطوا ، اطلبوا فتجدوا ، اقرعوا فيفتح لكم » (انجيل متى ٧–٧) .

٣) بولس الرسول الى اهل رومية (٩–٨) : « ليس ابناء الجسد هم ابناء الله بل ابناء الموعد هم يحسبون نسلاً » .

٤) مما يدل على ان الرجل البار لا يقتبس الاستحقاق من ذاته .

٥) كذا في الاصل الفرنسي .

واذن ، فالذين يبتعدون لا يملكون هذه الاستطاعة التي لا نبتعد معها عن الله ، والذين لا يبتعدون يملكون هذه الاستطاعة الفعالة . والذين ثابروا بعض الوقت على الصلاة بسبب هذه الاستطاعة الفعالة ، ثم كفوا عن الصلاة ، فهؤلاء تعوزهم الاستطاعة الفعالة .

٥١٥ — سيجهل المختارون فضائلهم والهالكون جسامة آثامهم : « يا رب متى رأيناك جائعاً فاطعمناك او عطشاناً فسقيناك الخ ؟ » ![١]

٥١٦ — بولس الرسول الى اهل روميه (٣—٢٧) : لقد انتفى الفخر . باي ناموس ؟ ابناموس الاعمال ؟ لا بل بناموس الايمان . فالايمان ليس في استطاعتنا كأعمال الناموس ، وهو يُعطى لنا بطريقة اخرى .

٥١٧ — تعزوا : فما من ذاتكم يجب ان تنتظروها ، بل يجب ان تنتظروها بعدم انتظاركم شيئاً منكم[٢] .

٥١٨ — حتى الشهداء يجب ان يكونوا في خشية ، بحسب الكتاب . عقاب المطهر الاعظم انما هو الريبة من الدينونة . الإله المتحجب .

٥١٩ — انجيل يوحنا ، ٧ : « وفيما كان يتكلم بهذا آمن به كثيرون ، فقال يسوع لاولئك اليهود الذين آمنوا به : « ان انتم ثبتم على كلمتي فبالحقيقة تكونون تلاميذي ، وتعرفون الحق والحق يحرركم » . قالوا : « نحن ذرية ابراهيم ولم يستعبدنا احد قط ، فكيف تقول انكم تصيرون احراراً ؟ » فاجابهم يسوع : « الحق الحق اقول لكم ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ... فان حرركم الابن صرتم احراراً » .

ثمة فرق ظاهر بين التلاميذ والتلاميذ الحقيقيين . وتمكن معرفتهم اذ يقال لهم ان الحق يحررهم ، فاذا اجابوا ان باستطاعتهم ان ينعتقوا من عبودية الشيطان ، فهم حقاً تلاميذ ، ولكنهم ليسوا تلاميذ حقيقيين .

---

١) متّى ٢٥–٣٧ .
٢) انتظار النعمة : الحصول عليها من لدن الله لا بالاعتماد على الذات .

٥٢٠ – الناموس لا يهدم الطبيعة ، بل يعلّمها . والنعمة لا تهدم الناموس بل تعمل على ان يُمارَس . النعمة الناشئة عن المعمودية هي مصدر حياة للمسيحيين والمرتدين .

٥٢١ – ستكون النعمة في العالم ابدًا – كذلك الطبيعة – حتى انها طبيعية من احدى النواحي . وسيكون ثمة اشياع لناكري وجوب النعمة ، وكاثوليكيون ايضاً ، وستظل الحرب قائمة ، لان الولادة الاولى تنشئ البعض ، ونعمة الولادة الثانية تنشئ البعض الآخر .

٥٢٢ – كان الناموس يفرض ما لا يعطي . اما النعمة فانها تعطي ما تفرض[1] .

٥٢٣ – الايمان كله يقوم على المسيح وآدم ، والخلقيات كلها على الشهوة والنعمة .

٥٢٤ – ليس من مذهب اخص بالانسان من هذا الذي يعرفه بقدرته المزدوجة على قبول النعمة وفقدها ، بسبب الخطر المزدوج الذي يتعرض له ابدًا من القنوط والكبرياء .

٥٢٥ – لم يكن الفلاسفة يتعرفون المشاعر التي تناسب الحالين .
كانوا يوحون باهتزازات عظمة محض ، وما كانت هذه حال الانسان .
وكانوا يوحون باهتزازات مذلة محض ، وما كانت هذه حال الانسان .
ما يجب ، انما هو اهتزازات مذلة ، صادرة لا عن الطبيعة بل عن التوبة ، لا ليستمر الانسان فيها بل لكي يتخطاها الى العظمة . وما يجب ايضاً انما هو اهتزازات عظمة صادرة ، لا عن الاستحقاق بل عن النعمة ، مرورًا بالمذلة اولاً .

٥٢٦ – الشقاء يقنع القنوط والكبرياء تقنع الازدهاء . سر التجسد يظهر للانسان عظمة شقائه ، بعظمة الدواء الذي اقتضاه .

---

١) اي ان النعمة تعطي ، فضلاً عن الارادة ، قدرة على حسن الصنيع .

٥٢٧ — لأنْ تعرف الله ولا تعرف شقاءك كبرياء . وأنْ تعرف شقاءك ولا تعرف الله قنوط . ان معرفة المسيح هي الوسط ، فبها نجد الله وشقاءنا .

٥٢٨ — المسيح اله تدنو منه دون ما كبرياء وتنخفض امامه دون ما قنوط .

٥٢٩ — ... وما كان هذا انخفاضاً يجعلنا عاجزين عن الخير ، ولا قداسة مبرأة من الشر .

٥٣٠ — قال لي احدهم ، انه يستشعر فرحاً عظيماً وثقة عند انصرافه من الاعتراف . وقال آخر انه ما برح يستشعر خوفاً . قلت ما كان اولى لو ان الاثنين واحد ، اذ ان ما يعوز احدهما هو ما شعر به الآخر . وكثيراً ما يحدث هذا في امور أُخَر .

٥٣١ — الذي يعرف إرادةَ سيده يُضرب ضرباً اشد ، بسبب الاستطاعة الناشئة عن معرفته . « من هو بار فليتبرر بعد »[1] بسبب الاستطاعة التي له عن طريق العدل . الذي يأخذ اكثر يحاسب حساباً اعسر بسبب ما له من استطاعة عن طريق العون .

٥٣٢ — في الكتاب نصوص لتعزية جميع الطبقات ولترويع جميع الطبقات .

ويبدو ان الطبيعة صنعت الصنيع نفسه في لانهايتيها ، الطبيعية والادبية : لانه سيكون لنا ابداً فوق وتحت ، قوم احذق وقوم اقل حذقاً ، قوم ارفع وقوم اشقى ، ذلك لتخفض من كبريائنا وترفع من ضعتنا .

٥٣٣ — « **لقد اسماك البيوس فلست اعرفك** » (كورناي) . هذا هو الخلق الفظ . ان الخلق الانساني هو العكس[2] .

---

١) رؤيا القديس يوحنا ٢٢–١١ .

٢) الماع الى المشهد الثاني من مسرحية هوراس حيث يمثل هوراس الخلق الفظ ويمثل كورياس الروح الانساني والصلاح . وثمة مرتبة ثالثة اسمى ، وهي الوداعة المسيحية .

٥٣٤ — ما الناس الا فئتين : الصلاّح الذين يعتبرون انفسهم خطأة ، والخطأة الذين يعتبرون انهم صلاّح .

٥٣٥ — عليك بواجب الجميل نحو الذين ينبئونك بعيوبك ، لانهم يميتون نفسك . هم يعلمونك انك قد احتُقِرتَ ولكنهم لا يمنعون ان تكون محتقرًا في الآتي ، لان فيك عيوباً اخرى . انهم يهيئون لك التمرس بالاصلاح والتبرؤ من العيب .

٥٣٦ — من طبع الانسان انه لكثرة ما تقول له انه احمق ، يصدق انه كذلك . وهو لكثرة ما يقول ذلك لنفسه عن نفسه ينتهي به الامر الى ان يقتنع به ، لان الانسان يشرع في حديث باطني يجدر ان يحسن توجيهه : « الاحاديث الرديئة تفسد الخلق » . يجب ان نلزم الصمت ما استطعنا ، وألاّ نتحدث الا عن الله الذي نعرف انه الحق ، وهكذا نقنع بالحق انفسنا .

٥٣٧ — النصرانية امر عجب . فهي تأمر الانسان بان يعترف انه رذل بل ممقوت . وتأمره بان يريد ان يكون شبيهاً بالله . ولولا هذا التوازن لجعله الارتفاع على افظع ما يكون الغرور ، او جعله الانخفاض على ارهب ما تكون الحقارة .

٥٣٨ — ما اقل ما يجب من الكبرياء ليحسب المسيحي انه متحد بالله ! وما اقل ما يجب من الحقارة ليشابه حشرات الارض !

٥٣٩ — اي فرق بين جندي وراهب « شارتري »[1] من حيث الطاعة ؟ ان كليهما تابع ومرؤوس ، وكليهما في ممارسة التمارين الشاقة . على ان الجندي يأمل ابدا أن يصبح سيداً . ولكنه لا يصبح سيداً البتة ، لان القادة والامراء هم انفسهم عبيد ومرؤوسون . ولكنه يأمل دائماً ويسعى دائماً الى هذه المرتبة . شأنه بهذا عكس شأن الراهب الذي ينذر الا يكون الا مرؤوساً .

---

١) Chartreux .

وهكذا فلا فرق بينهما من حيث العبودية الدائمة التي هما فيها ، بل من حيث الامل الذي يملكه احدهما ابداً ولا يملكه الآخر البتة .

٥٤٠ — ان امل المسيحيين في ان يستولوا على خير لانهائي ، لتمازجه متعة حقيقية مشوبة بالخشية . ذلك ان شأنهم ليس شأن الذين يرتجون مملكة لا ينالون منها شيئاً لكونهم رعايا ، بل انهم يرتجون القداسة والتبرؤ من الظلم ، وان لهم من كلا الحالين بعض الشيء .

٥٤١ — ما من احد اسعد من المسيحي الحقيقي ولا اعقل ولا اتقى ولا آنس .

٥٤٢ — الدين المسيحي وحده يجعل الانسان سعيداً وانيساً في آن معاً . ولا يجعل منه الادبُ سعيداً وانيساً في آن معاً .

٥٤٣ — **المقدمة** — ان البراهين الميتافيزية على وجود الله هي من البعد عن استدلالات البشر وهي من التعقيد بحيث انها قلما تؤثّر . وهبها افادت البعض ، فهي لا تفيده الا في اللحظة التي يعاين فيها ذلك البرهان . ولكنه لا يلبث — وقد مرت ساعة — ان يخشى بان يكون قد أخطأ .

« ان ما يجدونه بالاستطلاع يفقدونه بالكبرياء »[1] .

هذا ما تفضي اليه معرفة الله بمعزل عن المسيح ، تلك المعرفة التي هي عبارة عن اتصال ، دون واسطة ، بإله عرفناه دون وسيط ، اما الذين عرفوا الله عن طريق وسيط فهم يعرفون شقاءهم .

٥٤٤ — إله المسيحيين اله يُشعر النفس بانه خيرها الاوحد ، وان كل راحتها به ، وان لا فرح لها الا بحبه . ويميل بها الى مقت العقبات التي تستوقفها وتحول دون ان تحب الله بكل قواها . انه يتكره الانانية والشهوة اللتين تمسكان بها . وهو يشعرها بانها تنطوي على هذه الانانية التي تُضلّها وان باستطاعته دون سواه ان يشفيها منها .

---

١) القديس اغوسطينوس .

٥٤٥ — حصر المسيح عمله في انه علم الناس انهم كانوا يحبون نفوسهم، وانهم كانوا عبيداً وعمياناً ومرضى واشقياء وخطأة، وانه كان عليه ان ينقذهم، وينير سبيلهم، ويقدسهم ويشفيهم. وان ذلك يتأتى لهم اذا هم ابغضوا انفسهم واتبعوه عن طريق الشقاء والموت على الصليب.

٥٤٦ — يجب ان يكون الانسان، بدون المسيح، في الرذيلة والشقاء. ان الانسان مع المسيح مبرّأ من الرذيلة والشقاء. فيه كل فضيلتنا وكل نعيمنا. وما في البعد عنه، الا رذيلة وشقاء وضلالات ودياجير وموت وقنوط.

٥٤٧ — لا نعرف الله الا بالمسيح. ولولا هذا الوسيط، لانتفى اي اتصال بالله. بالمسيح نعرف الله. جميع الذين زعموا انهم عرفوا الله واقاموا الدليل عليه، بمعزل عن المسيح، لم يكن لديهم الا ادلة واهية. اما نحن فاننا نقيم الدليل على المسيح بالنبوءات، وهي البراهين الراسخة التي تلمس. ان هذه النبوءات وقد تمت، وقام عليها الدليل بمجيء المسيح، تجلو يقين هذه الحقائق، وبالتالي، الدليل على الوهية المسيح. واذن، فنحن به وبواسطته نعرف الله. ولولا هذا، ولولا عن الكتاب، والخطيئة الاصلية، ولولا الوسيط اللازم الموعود به الذي اتى، لتعذّر الدليل المطلق على وجود الله وتعذر بثّ التعاليم والخلقيات الصحيحة. على ان ذلك يتم بواسطة المسيح وبه. فالمسيح اذن هو اله البشر الحق.

ولكننا في الوقت ذاته نعرف شقاءنا، لان هذا الاله ان هو الا المعوِّض عن هذا الشقاء. وهكذا فما كان باستطاعتنا ان نعرف الله معرفة تامة ما لم نتعرف اوزارنا، والذين عرفوا الله دون ان يعرفوا شقاءهم لم يمجدوه بل تمجدوا.

« فانه اذا كان العالم وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، حسن لدى الله ان يخلّص بجهالة الكرازة الذين يؤمنون »[١].

---

١) (كورنتس ١–٢١).

٥٤٨ — اننا لا نعرف الله الا بالمسيح ، ليس هذا وحسب ، بل اننا لا نعرف انفسنا الا بالمسيح . لا نعرف الحياة والموت الا بالمسيح . فبمعزل عنه لا نعرف ما حياتنا وما موتنا وما الله وما نحن .

كذلك بمعزل عن الكتاب الذي لا غرض له الا المسيح ، لا نعرف شيئاً ولا نرى الا ظلمات في طبيعة الله وفي الطبيعة نفسها .

٥٤٩ — انه ليس من المستحيل فقط بل من غير المفيد ان نعرف الله بدون المسيح . انهم لم يبتعدوا عنه[١] بل اقتربوا ، ولم ينخفضوا بل ...

« مهما تكن افضل ، فانك تصبح اسوأ ، اذا عزوت الى نفسك ما انت صالح بسببه »[٢] .

٥٥٠ — اني احب الفقر لانه — سبحانه — قد احبه . احب الخيرات لانها الوسيلة لاغاثة البائسين . اني امين للناس جميعاً . ولا أبادل بالشر من بادرني به ، بل اتمنى له حالا افضل من حالي ، لا يؤتى معها من الناس خيرًا ولا شرًا . احاول ان اكون عادلاً ، صادقاً ، مخلصاً وفياً للناس جميعاً . وبي حنان قلب نحو الذين جمعني الله بهم باواصر اشد . وسواء أكنت وحيدًا ام على مرأى من الناس فانني في جميع اعمالي اتوخى الله الذي يجب ان يجري حكمه فيها ، وقد نذرتها له جميعاً .

تلك هي مشاعري ، واني لابارك طوال ايام حياتي فاديَّ الذي استودعنيها ، وحوّلني من انسان مفعم بالضعف والشقاء والشهوة والكبرياء والطمع الى انسان منزه عن تلك الشرور بقوة نعمته التي يجب لها المجد كله ، اذ لم استمد من ذاتي الا الشقاء والضلال .

٥٥١ — « اني وقد استحققت الضربات عوضاً عن القبل فما انا خائف لاني احب . »[٣]

---

١) بتوسطهم المسيح الى الله .
٢) القديس برناردوس .
٣) القديس برناردوس .

٥٥٢ – قبر المسيح – كان المسيح ميتاً ، ولكنه مرئيٌّ ، على الصليب . مات وخبّئ في القبر .

لم يُلحِد المسيح إلاّ قدّيسون .

لم يأتِ المسيح اي عجيبة في القبر .

لا يدخله الا قديسون .

هنا ، لا على الصليب ، اتخذ المسيح حياة جديدة .

انه آخر سر من اسرار الآلام والفداء .

ما تسنى للمسيح مكان يرتاح فيه على الارض ، الا القبر .

ما كف اعداؤه عن مناوأته الا في القبر .

٥٥٣ – سر يسوع .

يسوع في آلامه يكابد الاوجاع التي أُعطيها من البشر ، ولكنه في الاحتضار ، يكابد الأوجاع التي اضفاها على ذاته من ذاته : يعذب نفسه[١] . انه عذاب يد غير بشرية ولكنها كلية الاقتدار . فعلى من يعانيه ان يكون كلي الاقتدار .

•

يسوع يلتمس بعض التعزية ، على الاقل ، من صحبه الثلاثة الاعزّ ، ولكنهم نيام . يطلب اليهم أن يشاركوه ولو باليسير مما يكابد ، وينصرفون عنه غير آبهين ، لان رأفتهم هي من الضآلة بحيث انها لم تحل دون ان يناموا بعض الحين ، وهكذا تُرك وشأنه يواجه نقمة الله .

يسوع هو الوحيد على الارض الذي ، فوق انه يستشعر كربه ويشترك فيه ، فهو يعرفه ايضاً : السماء وهو فقط يعرفانه .

ليس يسوع في بستان نعيم ، حيث هلك آدم الاول والجنس البشري باجمعه ، بل في بستان عذاب حيث انقذ نفسه والجنس البشري باجمعه .

•

١) يوحنا ١١–٣٣ (تألم يسوع لموت لعازر) .

انه يكابد هذا العذاب وهذا التخلي في رهبة الليل . وما احسب ان يسوع شكا الا هذه المرة الوحيدة . ولكنه شكا وكأنه لم يستطع سبيلاً الى ضبط ألمه المتناهي : « ان نفسي حزينة حتى الموت »[١] .

•

يسوع يبحث عن الرفقة والتعزية لدى البشر . انه ، على ما يبدو لي ، حادث فريد في حياته كلها . ولكنه لم يحظَ بهذه ولا بتلك ، لان تلاميذه ينامون .

•

يسوع يبقى في الاحتضار حتى نهاية العالم : يجب الا ننام سحابة هذا الزمن .

•

يسوع في وسط هذا التخلي الشامل وبين اصدقائه الذين اختيروا ليساهروه ، يجدهم نياماً ، فيغضب من اجل الخطر الذي تعرضوا له هم لا هو . وينبههم الى خلاصهم وخيرهم بحنان مقابل جحودهم ، وينبههم الى « ان الروح مستعد والجسد ضعيف »[٢] .

ثم اذ يجدهم نياماً ايضاً ، دون ان يمسكهم اي اعتبار له ولا لأنفسهم ، يرفق بهم ولا يوقظهم ويتركهم يستريحون[٣] .

•

يسوع يصلي وهو في ريبة من ارادة الاب ويخشى الموت . ولكنه اذ عرفها تقدم واستسلم لها : « فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي وقال لهم من تطلبون ؟ »[٤] .

يسوع تضرع الى الناس فلم يستجيبوا له .

•

---

١) انجيل مرقس ١٤–٣٤ .
٢) انجيل متى ٢٦–٤١ .
٣) انجيل متى ٢٦ – ٤٣ .
٤) يوحنا ١٨–٤ .

يسوع صنع خلاص تلاميذه فيما هم نائمون . وصنع ذلك لكل من الابرار اذ هم نائمون ، واذ هم في العدم قبل ان يولدوا ، واذ هم في الخطيئة مذ ولدوا .

لم يُصلِّ الا مرة لكي تعبر عنه الكأس ، وباي خضوع . وصلى مرتين كي لا تعبر عنه اذا قضت بها المشيئة[١] .

يسوع في ضجر .

يسوع اذ يجد اصحابه نياماً واعداءه يقظين يستسلم بكليته لابيه .

يسوع لا يرى في يهوذا عداوته بل امر الله الذي يحب ويكاد لا يلحظها حتى انه يدعوه يا صاحب[٢] .

يسوع ينسلخ عن تلاميذه ليدخل في الاحتضار . يجب ان ننسلخ عن اقرب الناس الينا لنقتدي به .

بما ان يسوع يحتضر وهو في اعظم المشقات[٣] فلنصلِّ اكثر فاكثر .

نطلب رحمة الله لا ليتركنا في رذائلنا براحة ، بل لينقذنا منها .

لو ان الله اعطانا معلمين من يده ، آه لكم وجب ان نطيعهم عن طيبة قلب ! ان الفاقة والاحداث هي حتماً من يد الله[٤] .

---

١) متى ٢٦–٣٩ و ٤٢ .
٢) متى ٢٦–٥٠ .
٣) لوقا ٢٢–٤٣ .
٤) لا يبدو ان هاتين الفكرتين ، وقد وردتا في المخطوطة في صلب « سر يسوع » هما جزء منه . وقد تكونان خاطرتين عرضتا لپسكال في معرض تأمله هذا السر ، فدونهما ليطبقهما على نفسه .

— « تعزّ ، فلو لم تكن قد وجدتني لما سعيت اليّ » .

•

« كنت افتكر فيك في نزاعي ، وقد سكبت من اجلك كذا قطرات من دمي » .

•

« انك تجربني اكثر مما تبلو نفسك اذ تفكر هل تحسن صنع هذا او ذاك الامر الذي يفوتك : اني لاصنعه فيك اذا حدث » .

•

« دع نفسك منقاداً الى احكامي . وانظر كم احسنت قيادة العذراء والقديسين الذين تركوني اعمل فيهم » .

•

« ان الاب يحب كل ما اصنع » .

•

« اتشاء ان ابذل ابداً من دم انسانيتي دون ان تهب دموعاً ؟ »

•

« ان هدايتك لَمن شأني ، فلا تخف ، وَصَلِّ بثقة كأنك تصلي من اجلي » .

•

« اني حاضر من اجلك ، بكلمتي في الكتاب ، وبروحي في الكنيسة وبالايحاءات ، وبسلطاني في الكهنة ، وبالصلاة في المؤمنين . »

•

« ان الاطباء لا يشفونك ، فانك مائت في النهاية . انني الذي يشفي ويجعل الجسد مخلداً . »

•

« كابد السلاسل والعبودية الجسدية . فما انا منقذك الآن الا من العبودية الروحية . »

•

« اني امتن صداقة لك من هذا وذاك ، لاني صنعت من اجلك اكثر ما صنعوا ، وهم لا يتحملون ما تحملت منك ولا يموتون من اجلك في زمن معاصيك وشرورك ، كما فعلت وكما انا مزمع ان افعل ، وافعل الآن في مختاريّ وفي القربان المقدس . »

—

— « لو عرفتَ آثامك لفقدت شجاعتك » .

— واذن سأفقدك يا سيد ، لاني اعرف اذاها مما تؤكده .

— « كلا ، لاني انا الذي انبأتك بها ، سأشفيك منها ، وما اقوله لك عنها دليل على رغبتي في شفائك . انك ستتعرفها كلما كفّرت عنها ، وسيقال لك « انظر الى الخطايا التي غفرت لك » . عليك بالتوبة اذن ، من اجل آثامك الخفية ، ومن اجل الاذى الخفي في آثامك التي تعرفها . »

—

— « يا سيد ، اني أهب لك كل شيء » .

—

— « اني احبك فوق ما انت احببت ارجاسك » .

« فليكن لي المجد من اجل هذا ، ليس لك يا حشرة الارض » .

—

« استعلم مرشدك عندما تكون كلماتي سبباً لك الى الشر او الازدهاء او الفضول » .

—

— اني ارى هاوية كبريائي وفضولي وشهوتي . ما من شيء يقيسني بالله وبالمسيح العادل . ولكن آثامي لصقت به ، وحلّت جميع ضرباتك عليه ، انه رُذل اكثر مما رذلت ، وعوضاً عن ان يبغضني فهو يتكرم اذا سعيت اليه واسعفته .

ولكنه شفى نفسه وسيشفيني بالاولى .

يجب ان اضيف جراحي الى جراحه وان اتحد به وسيخلصني اذ يخلص نفسه . ولكن يجب الا تزداد تلك الجراح في الآتي .

« وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر »[١] . كلٌّ يدعي الالوهية اذ يحكم بقوله : «هذا صالح او رديء » ، واذ يفرط في الحزن او الفرح تجاه الحوادث.

زاول الامور الصغيرة على انها عظيمة ، بسبب جلال المسيح الذي يزاولها فينا ويحيا حياتنا . وزاول العظيمة على انها صغيرة وميسورة بسبب قدرته الكلية .

٥٥٤ — يلوح لي ان المسيح لا يُمكّن الا من لمس جراحه بعد قيامته . « لا تلمسيني »[٢] . يجب الا نتحد الا بآلامه .

اعطى ذاته قرباناً في العشاء السري على انه قابل للموت ، ولتلاميذ عماوس على انه قد بعث من الموت ، وللكنيسة جميعها على انه قد صعد الى السماء .

٥٥٥ — « لا تشبه نفسك بالغير بل بي . فاذا لم تجدني فيمن تشبهتَ بهم فقد تشبهتَ بمرذول . فاذا وجدتني فيهم تَشبه بهم . ولكن من تُشبه بهم ؟ اتشبه نفسك أو أنا فيك ؟ لئن يكن إياك ، لقد تشبهت بمرذول. وان يكن إياي فانك تشبه ذاتي بذاتي ، والحال اني اله في كل شيء .

« اني أكلمك واسدي اليك النصح مراراً ، لانّ هاديك لا يستطيع ان يكلمك ، لاني لا اريد ان يعوزك الهادي .

« وقد افعل هذا نزولاً على التماسه . وهكذا فهو يهديك دون ان تراه . لو لم تكن ملكتني لما بحثت عني .

« فلا تقلق اذن . »

---

١) سفر التكوين ٣-٥ .
٢) انجيل يوحنا ٢٠-١٧ .

القسم الثامن

أسس الديانة المسيحيّة

٥٥٦ — ... يجدفون على ما يجهلون . ان الديانة المسيحية تقوم على نقطتين ؛ ومن الجدير بالناس ان يعرفوهما ؛ كما انه من الخطر ان يجهلوهما ؛ وانها لرحمة من الله ان يكون قد اعطى الدلائل على كلتيهما .

ويرون مع ذلك ان احدى النقطتين لا وجود لها لمجرد انهم لا يستنتجونها من النقطة الاخرى. ان الحكماء الذين قالوا بوجود اله واحد قد اضطُهدوا ، واليهود قد مُقتوا ، والمسيحيين اكثر واكثر . لقد رأوا بانوارهم الطبيعية ، انه اذا كان على الارض من ديانة حقيقية ، فقد وجب ان ينزع اليها مسلك جميع الاشياء كما تنزع الى مركزها . يجب ان يكون مجرى الأشياء جميعاً نحو غرض تشييد الدين وعظمة الدين . ويجب ان يكون في الناس شعور يتوافق وما تعلمنا[1] . ويجب اخيراً ان تكون الديانة الغرض والمركز اللذين تنزع اليهما جميع الأشياء بحيث يكون باستطاعة من ادرك مبادئها ان يبسط الاسباب عن طبيعة الانسان بصورة خاصة وسيرة العالم بصورة عامة .

وعلى هذا الأساس ، يجدون وسيلة للتجديف على الدين المسيحي لأنهم يعرفونه معرفة ناقصة . يتوهمون انه عبارة عن عبادة اله ينظر اليه على انه عظيم وقدير وازلي . انه مذهب القائلين بوجوب الوجود والمنكرين للوحي (déisme) وهو يكاد يبعد عن الدين المسيحي بعد الالحاد عنه ، وهو نقيضه . ويستنتجون من هنا ان هذا الدين ما كان حقيقياً ، لانهم لا يرون

---

١) اي الشعور بالشقاء والعظمة في وقت معاً .

ان جميع الاشياء تتبارى في اثبات هذه النقطة : وهي ان الله لا يتكشف للبشر بكل ما يستطيع من جلاء .

ولكن ، ليستنتجوا ما شاءوا مما يضاد هذا التأليه الطبيعي ، فلن يستنتجوا شيئاً يضاد الدين المسيحي القائم على سر الفداء الذي استجمعت فيه الطبيعتان البشرية والالهية ، وانتزع البشر من فساد الخطيئة ليصالحهم مع الله في شخصه الالهي .

ان هذا الدين يعلّم البشر هاتين الحقيقتين معاً : ان ثمة الهاً بامكان الناس ان يكونوا جديرين به ، وان ثمة فساداً في الطبيعة يجعلهم غير خليقين به . فيجدر بالناس ان يعرفوا بالتساوي هذه النقطة وتلك . وانه لمن الخطر على الانسان ان يعرف الله دون ان يعرف شقاءه ، وان يعرف شقاءه دون ان يعرف الفادي الذي يشفيه منه . ان معرفة واحدة من هاتين المعرفتين هي السبب اما في كبرياء الفلاسفة الذين عرفوا الله دون ان يعرفوا شقاءهم او في يأس الملحدين الذين يعرفون شقاءهم بمعزل عن الفادي .

وكما انه من الضرورة للانسان ان يعرف هاتين النقطتين ، كذلك انها لرحمة من الله ان يكون قد عرّفنا بكلتيهما . ان الديانة المسيحية هذا دأبها وعليه تقوم .

فليتبصروا نظام العالم في هذا ، ولينظروا في هل ترمي جميع الأشياء الى اثبات هذين الجوهرين في الدين : ان المسيح غرض كل شيء ، وهو المركز الذي اليه ينزع كل شيء ، ومن عرفه فقد عرف سبب جميع الاشياء .

الذين يضلّون لا يضلّون الا لانهم لم يروا احد هذين الواقعين. فبالاستطاعة اذن ان يعرف الانسان الله دون شقائه وشقاءه دون الله . ولكنه لا يستطيع ان يعرف المسيح دون ان يعرف الاثنين معاً : الله وشقاءه .

ومن اجل ذلك ، لن اشرع هنا في اقامة الدليل بالبراهين الطبيعية على وجود الله ، او الثالوث ، او خلود النفس ، او اي شيء من هذا القبيل ، ليس فقط لاني لا اشعر بالقدرة الكافية على ان اجد في الطبيعة

ما اقنع به الملحدين المتصلبين ، بل ايضاً ، لان هذه المعرفة ، بمعزل عن المسيح ، انما هي معرفة عقيمة لا طائل تحتها . هب انساناً اقتنع بان النِسَب العددية انما هي حقائق لامادية ازلية مرتبطة بحقيقة اولى تقوم عليها واسمها الله ، فلا اجد انه قد افاد في سبيل خلاصه كثيراً .

ليس اله المسيحيين عبارة عن اله هو مبدع الحقائق الجبرية ونظام العناصر وحسب ، وهذه نظرية الوثنيين والابيقوريين ، وما هو فقط اله يمارس عنايته على حياة الناس وارزاقهم ، ليمنح الذين يعبدونه اياماً سعيدة متلاحقة ، وهي نظرية اليهود . على ان اله ابراهيم ، واله اسحق ، واله يعقوب ، واله المسيحيين انما هو اله حب وتعزية ؛ وهو اله يملأ نفس وقلب من هم في حوزته ؛ انه اله يشعرهم باطنياً بشقائهم وبرحمته غير المتناهية ، ويتحد باعماق النفس ويملأها اتضاعاً وحبوراً وثقة وحباً ، ويجعلهم عاجزين عن كل غاية سواه .

جميع الذين يبحثون عن الله خارجاً عن المسيح ويتوقفون عند الطبيعة ، فهم اما لا يجدون النور الذي يرضيهم ، واما ينتهون الى اصطناع وسيلة ليعرفوا معها الله ويخدموه دون ما وسيط ، وبهذا هم يسقطون اما في التأليه الطبيعي او في الالحاد ، وكلاهما متساويان ، او يكادان ، في تكره الدين المسيحي لهما .

لولا المسيح لما بقي العالم ، لانه وجب عندئذ ان يهدم ، او ان يكون جحيماً .

لو كان العالم قائماً ليعرّف الانسان بالله ، لسطعت الوهيته من كل صوب بما لا يقبل الجدل . ولكن ، بما انه لا يقوم الا بالمسيح وللمسيح ولكي يعرّف الناس بفسادهم ، وبافتدائهم ، فكل ما فيه يسطع بالبراهين على تينك الحقيقتين .

ان ما يبدو فيه لا يحمل على نفي الالوهية نفياً كلياً ولا على وجودها وجوداً بيّناً ، بل على وجود اله يتحجب . كل شيء يحمل هذه السمة .

الوحيد الذي يعرف الطبيعة أمّا يعرفها الاّ ليكون شقياً ؟ والوحيد الذي يعرفها ايكون شقياً وحده ؟

لا ينبغي الا يرى شيئاً البتة . ولا ينبغي ايضاً ان يرى منه ما يستطيع معه ان يعتقد انه امتلكه . ولكن فلير َ منه ما يستطيع معه ان يعرف انه اضاعه . لانه ، لكي تعرف انك اضعت ، يجب ان ترى والا ترى . وهذه هي حالك من الطبيعة .

مهما يكن اختياره ، فلن ادعه في راحة أبداً ...

٥٥٧ — انه لصحيح اذن ان كل شيء ينبئ الانسان عن حاله ؛ ولكن علينا ان نعي حقيقة هذا : لانه ليس صحيحاً ان كل شيء يكشف الله ، وليس صحيحاً ان كل شيء يحجبه . ولكن الصحيح ، في وقت معاً ، انه يتحجب عن الذين يجربونه ، وانه يتكشف للذين يبحثون عنه[1] ، لان الناس هم في وقت معاً غير جديرين بالله وخليقون بالله : غير جديرين بسبب فسادهم ، وخليقون بسبب طبيعتهم الاولى .

٥٥٨ — ما الذي نستخلص من جميع ظلماتنا الا ما نحن فيه من قلة الجدارة ؟

٥٥٩ — لو حدث ان الله لم يبد منه شيء قط ، لكان هذا الحرمان الابدي مستبهماً ، ولكان مرده الى انعدام الالوهية والى عدم جدارة الناس بمعرفتها . على ان في كونه يبدو احياناً لا ابداً ، ما يزيل الابهام . فاذا بدا مرة فهو كائن ابداً . وهكذا لا نستطيع الا ان نستنتج ان ثمة الهاً وان الناس غير جديرين به .

---

١) من السهل ان نستخرج من هذه الفكرة ما يرمي اليه پسكال من دقيق المعنى في تمييزه بين « جرب » الله و « بحث » عنه . اننا نجرب الله اذ نريد ان يتجلى لنا بحسب جدارتنا كأن المعرفة حق من حقوقنا . ونبحث عنه اذ نطلب معرفته عن طريق الصلاة لا العقل ، فنرجع الى الصغر ونؤمن بتواضع . والتجربة هي ان نلتمس من العدل الالهي ما تستطيع النعمة وحدها ان تهبه من يبحثون .

٥٦٠ — لا ندرك حالة آدم المجيدة ولا طبيعة خطيئته ولا انتقالها الينا . انها امور حدثت في حال طبيعةٍ كلية الاختلاف عن طبيعتنا ، وهي تجاوز حال طاقتنا الراهنة .

ان معرفة كل هذا لا طائل تحتها ؛ وكل ما يعنينا ان نعرف ، هو اننا اشقياء ، فاسدون ، ومنفصلون عن الله ، ولكن مفتدون بالمسيح . ان لدينا على هذا دلائل رائعة على الارض .

وهكذا فان دليلَي الفساد والفداء يستخرجان من حال الكفرة الذين يعيشون في عدم اكتراث للدين ، ومن اليهود وهم اعداؤه الالداء .

٥٦١ — هناك طريقتان للاقتناع بحقائق ديانتنا : احداهما طريق قوة العقل والثانية طريق الاسناد الى من صدر عنه القول . انهم لا يعتمدون الثانية بل الاولى . فهم لا يقولون : يجب ان تؤمن بهذا لان الكتاب الذي اورده الهي ، بل يقولون انه يجب ان تؤمن به بسبب هذه الحجة او تلك ، وكلتاهما واهيتان ، لان العقل يلتوي مع كل شيء .

٥٦٢ — ما من شيء على الارض الا ويُظهر إما شقاء الانسان او رحمة الله ، واما عجزَ الانسان بمعزل عن الله او قدرتَه مع الله .

٥٦٣ — سوف تكون احدى مخازي الهالكين ان يروا انهم ادينوا عن طريق عقلهم الذي ادعوا انهم دانوا به الدين المسيحي .

٥٦٤ — النبوءات ، والمعجزات ذاتها ، وبراهين ديانتنا ، ليست ذات طبيعة يصح معها القول انها تقنع اقناعاً مطلقاً ، ولكنها مقنعة ايضاً بحيث لا يصح القول ان من صدّقها لا يستند الى دليل . فثمة وضوح وغموض لانارة البعض وتعمية الآخرين . ولكنه وضوح يفوق وضوح عكسه او يساويه على الاقل ، حتى انه لا يمكن ان يكون العقل هو الذي يحمل على عدم الاهتداء ، بل الشهوة وخبث القلب . فثمة اذن كفاية من الوضوح للادانة وعدم كفاية منه للاقناع . ذلك ليتبين ان من اهتدى به فبالنعمة

لا بالعقل قد اهتدى ، وان من هرب منه فبسبب الشهوة لا العقل قد هرب .

٥٦٥ — اعترفوا اذن بحقيقة الدين في غموضه ذاته ، وفي اليسير ما لدينا من نوره ، وفي عدم اكتراثنا لمعرفته .

٥٦٦ — لا ندرك شيئاً من صنائع الله ما لم يقم مبدأنا على انه شاء تعمية البعض وانارة الآخرين .

٥٦٧ — تضاد الحجتين . يجب الشروع في هذا : فبدونه لا نعي شيئاً ، وكل شيء هرطقة . حتى لَيَجبُ ان يضاف ، بعد كل حقيقة ، اننا نتذكر الحقيقة المعاكسة لها .

٥٦٨ — **اعتراض** : الكتاب مليء باشياء يمليهـا الروح القدس . **الجواب** : انها لا تؤذي الايمان . **اعتراض** : ولكن الكنيسة رسمت ان كل شيء يأتي من الروح القدس . **الجواب** : اجاوب بامرين : ان الكنيسة لم ترسم ذلك قط ، وهبها رسمت ذلك فبالامكان الدفاع عن القضية .

اتعتقدون ان النبوءات التي اوردها الانجيل قد وردت لتحملكم على الايمان ؟ كلا ، بل لتصرفكم عن الايمان[1] .

٥٦٩ — الفائدة من الهراطقة ، في بدء الكنيسة ، انهم يثبتون الكتاب[2] .

٥٧٠ — يجب ان يُثبت في فصل « الاسس » ما هو في فصل « الرمزيات » مما له علاقة بعلة الرموز : لماذا تُنُبِّئ بالمسيح في مجيئه الاول ولِمَ تُنُبِّئ به بغموض من حيث طريقة المجيء .

٥٧١ — **سبب لماذا — رموز** . (كان عليهم ان يرعوا شعباً جسدياً وان يجعلوه مؤتمناً على العهد الروحي) . كان يجب لاعطاء الدليل على المسيح ان تكون ثمة نبوءات سالفة ، وأن ينقلها قوم لا تطالهم الريب ، وان يكون لهم

---

١) انه البرهان الأقصى الذي يجبه به پسكال اعتراضات الملحدين المتصلبين : ان الله يريد ان يعمي ابصاركم ، فالكتاب يجب ان يكون نيراً للمختارين وان يرذل المنبوذين بغموضه .

٢) ذلك لأنهم بتأويلهم له تأويلاً خاطئاً قد استندوا اليه وبالتالي اعترفوا به مستنداً .

من النشاط والامانة والغيرة ما يفوق الطبيعة ، وان تعرفهم الارض كلها .

ولقد اختار الله هذا الشعب الجسدي ، لكي يتم كل ذلك عن يده ، واستودعه النبوءات التي تتنبأ بالمسيح ، على انه المحرر والموزع لخيرات الجسد التي كان هذا الشعب يحبها . فتحمس الشعب لانبيائه حماسة لا حد لها ، وطرح امام ابصار العالم كله تلك الكتب التي تتنبأ بمسيحه ، مؤكداً للامم جميعها انه سيأتي ، وانه سيأتي على الصورة التي تنبأت بها تلك الكتب ، وقد تركها مفتوحة امام اعين الناس جميعاً . فلما خاب بما رافق مجيء المسيح من مهانة وحقارة اصبح اشرس اعدائه ، بحيث ان هذا الشعب ، وهو اقل ما يكون شبهة بمحاباتنا واشد ما يكون غيرة على صحة شريعته وانبيائه ، قد نقل النبوءات سليمة لم يعتورها فساد ، وبحيث ان الذين انكروا وصلبوا المسيح الذي كان لهم حجر عثرة ، هم الذين يحملون الكتب التي تشهد به وتقول انه سيكون منبوذاً وحجر عثرة ، وبحيث انهم بانكارهم له قد اثبتوا انه هو ، وان الدليل قام عليه سواء أكان من اليهود الصالحين الذين قبلوا به ، ام من غير الصالحين الذين نبذوه ، اذ ان هذا وذاك قد تُنبئ به .

وهذا ما يجعل ان للنبوءات معنى خفياً ، وهو معناها الروحي الذي يتكرهه هذا الشعب ، منطوياً تحت معناها الجسدي الذي يحبه . فلو ان المعنى الروحي قد تكشف لهم لما كان باستطاعتهم ان يحبوه ، ولا عوزتهم الغيرة على حفظ كتبهم وطقوسهم . ولو انهم احبوا تلك الوعود الروحية وحفظوها سليمة حتى مجيء المسيح لما كان لشهادتهم قوة ، لكونهم احبوا تلك الوعود .

انه ليحسن اذن ان يكون المعنى الروحي مستتراً . على انه ، لو كان هذا المعنى من الخفاء بحيث لم يظهر منه شيء قط ، لما صح ان يكون دليلاً على المسيح . فما هو واقع الامر اذن ؟ لقد استتر تحت المعنى الزمني في فقرات جمة وانكشف في فقرات أخر بانصع ما يكون الجلاء . اضف الى هذا ، ان الزمن وحالة العالم قد تُنُبِّئ بهما بوضوح يماثل وضوح الشمس . وقد فُسِّرَ هذا المعنى الروحي في بعض المقاطع بطريقة هي من

الوضوح بحيث لا يجحده الا من عميت بصيرته بمثل العمى الذي يلقيه الجسد في الروح متى استُعبِدت له .

هذا ما كان من مسلك الله . لقد استتر هذا المعنى في غيره في مواضع لا تعداد لها ، وانكشف نادرًا في مواضع اخرى . على ان المواضع التي استتر فيها تنطوي على لبس وتحتمل المعنيين ، في حين ان الموضع التي انكشف فيها لا تنصرف الى غير المعنى الروحي .

وما كان بالامكان ان يفضي ذلك الى الضلال ، ولا ان يفوت غير هذا الشعب الشغوف بالجسديات .

ولما كانت الخيرات الموعود بها فياضة ، فاي شيء يحول دون ادراكه انها الخيرات الحقيقية الا جشعه الذي صرف هذا المعنى الى خيرات الارض ؟ على ان الذين لم يكن لهم خير الا بالله فقد عزوه اليه وحده . فان ثمة مبدأين يتوزعان ارادات الناس : الجشع والمحبة . ولا يعني ذلك ان الجشع لا يتفق والايمان بالله او ان المحبة لا تتفق وخيرات الارض . بيد ان الجشع يستعمل الله ويستمتع بالعالم ، اما المحبة فهي على النقيض .

والحال ، ان الغاية الاخيرة انما هي التي تسمّي الاشياء باسمائها . فكل ما يحول دون ان نصير اليها يسمى عدوًا . وعلى هذا ، فالمخلوقات ، وان صالحة ، انما هي عدوة الصديقين ، متى صرفتهم عن الله . والله نفسه عدو الذين ينغّص عليهم اطماعهم .

ولما كانت كلمة « عدوّ » مرتبطة بالغاية الاخيرة ، فقد فهمها الصديقون على انها اهواؤهم ، وفهمها الجسديون على انها البابليون : وما استبهمت هذه الكلمات الا على الظالمين . فقد قال اشعيا : «اطبع الشريعة في تلامذتي»[١] ؛ وقال «ان المسيح سيكون صخر عثار»[٢] ، ولكن «طوبى لمن لا يكون لهم حجر

---

١) اشعيا ٨ : ١٦ .
٢) اشعيا ٨ : ١٤ .

عثرة ». واضاف هوشع[1] « من هو حكيمٌ فيفهم هذه ، وفَهِـمٌ فيعلمها . فان طرق الرب مستقيمة والصديقون يسلكونها . واما العصاة فيعثرون فيها » .

٥٧٢ — افتراض الرسل الكذبة . الزمن واضح ، الطريقة غامضة . خمسة براهين على الرمزيات .

٢٠٠٠ { ١٦٠٠ نبيّ
٤٠٠ شتى[2]

٥٧٣ — **تعمية الكتاب** . قال اليهود : « ان الكتاب قال ان المسيح اذا جاء فلا يعلم احد من اين هو » (يوحنا ٧:٢٧ و ١٢:٣٤) . وقال الكتاب ان المسيح يبقى الى الابد ، فيما يقول هو انه سيموت .

وقال القديس يوحنا[3] : « ومع انه صنع مثل تلك الآيات لم يؤمنوا به ليتم قول اشعيا : اعمى عيونهم الخ » (اشعيا ٦ : ٩) .

٥٧٤ — **عظمة** . الدين هو من العظمة بحيث انه من العدل ان يُحرَمَه الذين لا يكلفون انفسهم عناء البحث عنه ، في حال غموضه ؛ فلم يشكون اذن ، اذا كان بالامكان ان يجدوه بينما هم يبحثون عنه ؟

٥٧٥ — كل شيء مآله الى الخير للمختارين ، حتى غوامض الكتاب ، لانهم يُجلّونها بسبب الاضواء الالهية ؛ وكل شيء مآله الى الشر للآخرين ، حتى الاضواء ، لانهم يجدفون عليها من اجل الغوامض التي لا يدركونها .

٥٧٦ — **المسلك العام للعالم تجاه الكنيسة بسبب ان الله اراد ان يعمي وان ينير** . بما ان الحدث ، قد اثبت الوهية هذه النبوءات ، فقد وجب ان تُصدّق نتائجها الاخرى . وهكذا نرى ان نظام العالم يقوم على الوجه الآتي : لمّا نسي العالم معجزات الخليقة والطوفان ، ارسل الله شريعة موسى ومعجزاتـــه

---

١) هوشع ١٤ : ١٠ .
٢) يشرح پسكال هذه العبارات ويتبسط فيها في المقاطع التالية .
٣) يوحنا ١٢ : ٣٩ .

والانبياء الذين تنبأوا بامور خاصة . ولكي يهيئ معجزة ثابتة هيأ النبوءات والتتمة . ولكن بما ان النبوءات قد تكون موضوع ريبة، فقد شاء ان يجعلها بعيدة عن الرِيَب الخ .

٥٧٧ — ان الله شاء ان يستعمل عماية هذا الشعب لخير المختارين .

٥٧٨ — ثمة كفاية من النور لانارة المختارين وكفاية من الظلمة لخفضهم. وثمة كفاية من الظلمة لتعمية المرذولين وكفاية من النور لتخطئتهم وعدم تبرئتهم (القديس اغوسطينوس ، مونتين ، سيبوند) .

ان سلسلة نسب المسيح في العهد العتيق هي من الاختلاط بغيرها التي لا تجدي ، بحيث لا يمكن تمييزها . ولو ان موسى لم يسجل غير اسلاف المسيح لكان ذلك مفرطاً في وضوحه . ولو انه لم يبين سلسلة المسيح لما كان ذلك وافي الوضوح . ولكن من تبصر في الامر عن كثب رأى سلسة المسيح متميزة تماماً في تامار[1] وراعوت[2] ، الخ .

إنّ الذين فرضوا تلك الاضاحي عرفوا عدم جدواها . والذين قالوا بعدم جدواها قد مارسوها .

لو ان الله لم يسمح بغير ديانة واحدة ، لكان السبيل الى معرفتها مفرطاً في السهولة . ولكن لننظر عن كثب ، نتميز تمام الحقيقة في هذا الاختلاط .

قاعدة : لقد كان موسى رجلاً ماهراً . فلو صح انه استرشد عقله في ما صنع ، لما صح ان يدون ما يناقض العقل مباشرة .

وهكذا فان كل وجوه الضعف الظاهرة ان هي الا متانة وقوة . مثل ذلك : سلسلتا القديس متى[3] والقديس لوقا[4]، فاي شيء اوضح من كونهما غير متواطئَين ؟

---

١) سفر التكوين ٣٨ : ٢٩ .
٢) سفر راعوت ٤ : ١٧—٢٢ .
٣) متى : ١ : ٢ وما يلي .
٤) لوقا ٣ : ٢٣—٢٨ .

٥٧٩ — ان الله (والرسل) اذ ادرك ان بذور الكبرياء ستولد الهرطقات ، واذ لم يشأ ان يفسح لها عن مجال لتولد في الفاظ معينة ، جعل في الكتاب وفي صلوات الكنيسة كلمات واحكاماً متعاكسة لتثمر ثمارها في الزمن[١] . كما انه يضع المحبة في الخلقيات لتثمر ثمارها ضد الشهوة .

٥٨٠ — في الطبيعة كمالات تدل على ان الطبيعة صورة الله ومعايب تدل على انها ليست الا صورته وحسب .

٥٨١ — يريد الله ان يهيئ الارادة اكثر مما يهيئ العقل . الوضوح التام يفيد العقل ويؤذي الارادة . خفضُ الكبرياء .

٥٨٢ — يجعلون من الحقيقة نفسها لهم صنماً ؛ لان الحقيقة ، بمعزل عن المحبة ، ليست الله ، وهي صورته ، وهي صنم لا تنفي محبته ولا عبادته ، وما اقل ما تجب محبة وعبادة نقيضه الذي هو الكذب[٢] .

بامكاني ان احب الغموض الشامل[٣] ولكن ، لو جعلني الله في حال نصف غامضة لاستكرهت هذا اليسير من الغموض الذي هو فيها ، وبما انني لا ارى فيها فضل الغموض التام فهي لا تروقني . انها لنقيصة ودلالة على اني اجعل صنماً من الغموض المنفصل عن امر الله . والحال يجب الا نعبد الا امره .

٥٨٣ — الاشرار قوم يعرفون الحقيقة ، ولكنهم لا يسندونها الا بمقدار ما توائم مصالحهم ، وما عدا ذلك فانهم يهملونها .

٥٨٤ — العالم قائم لتجري فيه الرحمة والاحكام على الناس، لا كأنهم بعد خارجون من يد الله ، بل كأنهم اعداء الله الذي حباهم ، عن طريق

١) اذا شئنا ان نتفهم هذه الخاطرة، يجب ان نذكر ان پسكال يعتبر هرطقةً اعتماد حقيقة واحدة بمعزل عن الحقيقة المضادة لها .

٢) الحقيقة رضى للذهن الذي يشاهدها وسبب كبرياء للعقل الذي وجدها . فمن جعل منها غاية فقد استسلم للشهوة وناقض الله .

٣) لان الغموض الشامل يفرض انكار الذات والانصياع التام لارادة الله .

النعمة ، كفاية من النور ليرجعوا اليه اذا ارادوا ان يبحثوا عنه ويتبعوه ، وليعاقبهم اذا رفضوا ان يبحثوا عنه او ان يتبعوه .

٥٨٥ — **في ان الله شاء ان يتحجب** — لو لم يكن ثمة الا دين واحد ، لكان الله فيه بادي الظهور . كذلك لو لم يكن ثمة شهداء الا في الدين المسيحي .

وبما ان الله متحجب ، فما من دين حقيقي لا يقول بتحجبه . وكل دين لا يُعلّل سببَ التحجب لا يُعلّم تعليماً . ان ديانتنا تصنع كل هذا : « انك لاله متحجب »[١] .

٥٨٦ — لو لم يكن ثمة غموض لما استشعر الانسان فساده . ولو لم يكن ثمة نور لما ارتجى الانسان علاجاً . وهكذا فانه ليس من العدل فقط بل من المفيد ايضاً ان يكون الله مخفياً جزئياً ومنكشفاً جزئياً ، لانه من الخطر على الانسان ان يعرف الله دون ان يعرف شقاءه وان يعرف شقاءه دون ان يعرف الله .

٥٨٧ — هذه الديانة العظيمة بالمعجزات — (قديسون ، اطهار ، منزهون عن العيب ، علماء وعظماء ، شهود ، شهداء ، ملوك (داود) ، اشعيا ، امراء بالوراثة) — ، والعظيمة بالمعرفة ، والتي بعد ان تبسط كل معجزاتها وكل حكمتها ، تجحد كل ذلك لتقول انه لا حكمة لها ولا آيات ، بل ان لها الصليب والجهالة[٢] .

ذلك ان الذين ، بهذه الآيات وهذه الحكمة قد استحقوا تصديقكم ، يصرحون لكم ان لا شيء من كل هذا يستطيع ان يبدلنا او ان يجعلنا جديرين بمعرفة الله وحبّه الا فضيلة جهالة الصليب ، بمعزل عن الحكمة او الآيات ، لا الآيات بمعزل عن هذه الفضيلة . وعلى هذا فان ديانتنا جهالة

١) اشعيا ٤٥ : ١٥ .
٢) غلاطية ٥ : ١١ .

بالنظر الى العلة الفاعلة وحكمة بالنظر الى الحكمة المهيئة لها[١] .

٥٨٨ — ديانتنا حكمة وجهالة . فهي حكمة لانها أعرق الديانات في المعرفة وارسخها على المعجزات والنبوءات الخ . وهي جهالة لان المنضوين اليها لم ينضووا من اجل هذا كله الذي من شأنه ان يدين الذين لم ينضووا ، لا ان يجعل الايمان في المنضوين . ان ما يجعلهم يؤمنون انما هو الصليب « لئلا يبطل صليب المسيح »[٢] . ان القديس بولس الذي جاء بالحكمة والآيات يقول انه لم يأت بالحكمة وبالآيات : لانه جاء ليبشر . ولكن الذين لم يأتوا الا للاقناع ، باستطاعتهم ان يقولوا انهم جاؤوا بالحكمة والآيات[٣] .

---

١) ذلك انه ليس من فعالية الا في الصليب ، ولكن الحكمة تفضي اليه .

٢) كورنتس ١ : ١٧ .

٣) كورنتس ١ : ٢٢ : « لأن اليهود يسألون الآيات واليونانيين يبتغون الحكمة . اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالة للامم . اما للمدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله » .

كورنتس ٢ : ١ : « وانا لما اتيتكم ، لم آت ببراعة الكلام او الحكمة مبشراً لكم بشهادة الله » .

القسم التاسع

الديمومة

٥٨٩ — **في ان الديانة المسيحية ليست وحيدة** . ان هذا الواقع ابعد من ان يكون سبباً للاعتقاد انها غير حقيقية ، بل بالعكس انه السبب الذي يظهر انها حقيقية[١] .

٥٩٠ — الديانات تقتضي الصدق : وثني حقيقي ، يهودي حقيقي ، مسيحي حقيقي .

٥٩٢ — **كذب الديانات الاخرى** . ليس لديها شهود . اما هؤلاء[٢] فلهم شهودهم . الرب يتحدى سائر الأديان ان تكون لها علامات كتلك . اشعيا ٤٣ : ٩ : « قد اجتمعت كل الامم جميعاً وحشدت الشعوب . من فيهم ينبئ بذلك ويسمعنا بالاوائل . فليبرزوا شهودهم حتى يعدّوا من الصادقين او فليسمعوا ويقولوا هذا حق » .

اشعيا ٤٤ : ٨ : « انتم شهودي . هل من اله غيري او من صخر لا علم لي به » .

٥٩٣ — **تاريخ الصين**[٣] . لا أُصدّق الا التواريخ التي يتذابح شهودها .

---

١) والواقع ان الدين المسيحي ، بما انه يقول ان الله يعمي المنبوذين ، فقد وجب ان تبدو حقيقة الدين غامضة للذين لم يدعُهم الله ، ووجب من اجل ذلك ان تكون الأديان متعددة . انظر ايضاً الفقرتين ٨١٧ و ٨١٨ .

٢) اي اليهود بعكس الوثنيين .

٣) انه في السنة ١٦٥٨ اصدر الأب مرتيني تاريخ الصين باللغة اللاتينية . وقد جاء فيه ، بالاستناد الى التقاليد المحلية التي سلم بها المؤلف ، ان السلالة الملكية الصينية الاولى ترجع الى ما يزيد على ستماية سنة قبل عهد تبلبل الالسن وعودة العمران بعد الطوفان . ومن هنا نشأت المعضلات التي حسمها پسكال بالمبدإ الانتقادي الذي اورده في رأس هذه الفقرة .

(ايهما احرى بالتصديق ، موسى ام الصين ؟) .

لا يجدر ان نرى الامر اجمالاً . فثمة ما يعمي وثمة ما ينير .

انني بهذه الكلمة الوحيدة اهدم براهينكم جميعها . قد تقولون : « ولكن الصين تعمّي » ؛ فاجيب : « اجل انها تعمّي ، ولكن ثمة ضياء يجدر ان نجده ، فابحثوا عنه » .

وهكذا فان كل ما تقولونه يفيد احد المقاصد ولا يسيء الى الآخر . فهو ينفع ولا يؤذي .

يجب اذن ان نرى الامر تفصيلاً ، يجب ان نضع الاوراق على المنضدة .

٥٩٤ — ضد تاريخ الصين[١] . مؤرخو مكسيكو ، والشموس الخمس ، التي يرجع آخرها الى ثمانماية سنة[٢] .

الفرق بين كتاب سائر عن شعب ، وكتاب ينشئ شعباً .

(ملاحظة : ان الفقرات ٥٩١ و ٥٩٥ الى ٦٠١ تعالج بعض المقاييس بين الاديان فلم نرَ فائدة من ترجمتها هنا) .

٦٠٢ — **ترتيب** . يُنظر ما هو واضح ولا جدل فيه من جميع شؤون اليهود . الديانة اليهودية إلهية في اسانيدها وبقائها وديمومتها وادبياتها ومعتقدها ونتائجها[٣] .

---

١) لا ندري الطريقة التي كان ينتوي پسكال ان يتبسط فيها بهذه المفكرات الوجيزة ، وهي في حالتها الراهنة إلماعات جد يسيرة . بيد انها تقوم دليلاً على رغبة هذا الرجل في التحري والاستقصاء وتستدرك ما طالما اخذه ڤولتير على بوسويه من ذهوله عن ذكر الصين في خطابه عن التاريخ الشامل .

٢) الماع الى مونتين حيث يقول : « كانوا يعتقدون ان العالم خمسة عصور وان الشموس خمس متعاقبة . انقضى عهد اربعة منها وما زالوا يستضيئون بخامستها الخ » .

٣) قابل الفقرة ٧٣٧ .

٦٠٤ — العلم الوحيد الذي هو ضد المعقول العام وطبيعة الناس انما هو الوحيد الذي استمر بين الناس ابداً .

٦٠٥ — الدين الوحيـــد الذي هو ضد الطبيعة ، وضد المعقول العام ، وضد لذاتنا ، هو الوحيد الذي كان ابداً .

٦٠٦ — ما من دين الا ديننا يعلم ان الانسان يولد في الخطيئة ، وما من مذهب فلسفي قال بهذا : فما من مذهب ولا دين قال الحق اذن .
ما من مذهب ولا دين كان على الارض ابداً الا الدين المسيحي .

٦٠٧ — من يحكم في ديانة اليهود عن طريق السفهاء يعرفها معرفة رديئة . انها لمنظورة في الكتب المقدسة وفي تقاليد الانبياء الذين ما انفكوا يُفهِمون انهم لا يَفهمون الناموس بحرفه . وهكذا ، ان ديانتنا إلهيّة في الانجيل وفي الرسل والتقاليد . ولكنها سخرية في الذين يعالجونها معالجة رديئة .

ان المسيح ، بحسب اليهود الجسديين ، وجب ان يكون اميراً زمنياً . ويسوع المسيح ، بحسب المسيحيين الجسديين[1] قد جاء ليعفينا من حب الله ، ويهب لنا الاسرار التي تعمل كل شيء بمعزل عنا . وما كان الدين المسيحي ولا اليهودي في هذا او ذاك .

ان اليهود الحقيقيين والمسيحيين الحقيقيين قد انتظروا ابداً مسيحاً يهيئ لهم محبة الله ، والانتصار ، بهذا الحب ، على اعدائهم .

٦٠٨ — اليهود الجسديون يتوسطون المسيحيين والوثنيين . فالوثنيون لا يعرفون الله أبداً ولا يحبون الا الارض . واليهود يعرفون الاله الحق ولا يحبون الا الارض . والمسيحيون الحقيقيون يعرفون الاله الحق ولا يحبون الارض . اليهود والوثنيون يحبون الخيرات نفسها . واليهود والمسيحيون يعرفون الاله نفسه .

كان اليهود على نوعين : بعضهم ينطوي على محض عواطف وثنية ، والآخر على عواطف مسيحية .

---

١) انهم المولينيون واليسوعيون الذين يرون ان جوهر الدين لا يقوم على التوبة والمحبة .

٦٠٩ — الناس في كل دين نوعان : فمن الوثنيين عبدةُ بُهُم ، والآخرون عبدة إله واحد في الدين الطبيعي . وبين اليهود جسديون وروحانيون هم مسيحيو الشريعة القديمة . وبين المسيحيين سفهاء هم يهود الشريعة الجديدة . كان اليهود الجسديون ينتظرون مسيحاً جسدياً . والمسيحيون السفهاء يحسبون ان المسيح اعفاهم من حب الله . واليهود الحقيقيون والمسيحيون الحقيقيون يعبدون مسيحاً يجعلهم يحبون الله .

٦١٠ — **للتدليل على ان لليهود الحقيقيين وللمسيحيين الحقيقيين ديناً واحداً .** كان يبدو ان دين اليهود يقوم ، جوهراً ، على ابوة ابراهيم ، والختان والقرابين والاحتفالات ، وتابوت العهد ، والهيكل واورشليم والناموس وميثاق موسى .

اقول :

انه لا يقوم على اي شيء من هذا ، بل على محبة الله وحسب ، وان الله كان يرذل اي شيء آخر .

وان الله ما كان ليرتضي بذرية ابراهيم .

وان اليهود سيعاقبهم الله كالغرباء اذا اخطأوا اليه . (تثنية الاشتراع ٨ : ١٩) و« ان نسيت الرب الهك واتبعت آلهة غريبة وعبدتها وسجدت لها ، فانا شاهد عليكم اليوم بانكم تهلكون هلاكاً كالامم التي ابادها الرب من امامكم » .

وان الله يتقبل الغرباء كاليهود ، اذا احبوه . اشعيا ٥٦ : ٣ : « لا يقل ابن الغريب الذي ينضم الى الرب ان الرب يفصلني عن شعبه » . ان الغرباء الذين ينضمون اليه انما ينضمون ليخدموه ويحبوه : « آتي بهم الى جبل قدسي وتكون ذبائحهم ومحرقاتهم مرضية على مذبحي ، لان بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الشعوب » .

وان اليهود الحقيقيين ما كانوا ليعترفوا بفضل ابراهيم بل الله . اشعيا ٦٣ : ١٦ « فانك انت ابونا . ان ابراهيم لم يعرفنا واسرائيل لم يعلم بنا . انت يا رب ابونا وفادينا منذ الدهر اسمك » . قال لهم موسى ان الله « لا يحابي الوجوه ولا يقبل رشوة » (تثنية الاشتراع ١٠، ١٧) .

ان السبت لم يَكُ الا علامة (سفر الخروج ٣١:١٣) وذكرى للخروج من مصر. فما هو بعد لازم البتة، لان عليهم ان ينسوا مصر. والختان لم يَكُ الا علامة (سفر التكوين ١٧:١١) وانهم من اجل ذلك لم يختتنوا في الصحراء لان اختلاطهم بالامم الاخرى لم يكن ممكناً. وان الختان بعد مجيء المسيح لم يَبقَ ضرورياً.

وانهم امروا بان يختنوا قلف القلوب: تثنية الاشتراع ١٠:١٦. وارميا ٤:٤: «اختتنوا للرب وازيلوا قلف قلوبكم».

وان الله سيصنع ذلك يوماً. تثنية الاشتراع ٣٠:٦: «ويختن الرب الهك قلبك وقلب نسلك لتحب الرب الهك بكل قلبك وبكل نفسك لكي تحيا».

وان غلف القلوب سيقاضون. ارميا ٩:٢٦: «لان الله يفتقد كل المختونين مع الغلف ... وكل آل اسرائيل غلف القلوب».

وان الظاهر لا يجدي بمعزل عن الباطن. يوئيل ٢:١٣: «ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم» واشعيا ٥٨:٣ و ٤ الخ. وان حب الله موصى به طوال سفر تثنية الاشتراع. تثنية الاشتراع ٣٠:١٩: «وقد اشهدت عليكم اليوم السماء والارض باني قد جعلت بين ايديكم الحياة والموت، فاختر الحياة لكي تحيا انت وذريتك بان تحب الرب الهك وتطيع امره لان به حياتك».

وان اليهود، وقد اعوزهم هذا الحب، سيرذلون من اجل آثامهم، ويدعى الوثنيون ليحلوا محلهم. هوشع ١:١٠ وتثنية الاشتراع ٣٢:٢٠: «فقال احجب وجهي عنهم وارى ماذا تكون آخرتهم لانهم جيل متقلب، بنون لا امانة فيهم، هم اغاروني بمن ليس الهاً واغضبوني باباطيلهم وانا اغيرهم بمن ليسوا شعباً، بقوم اغبياء اغضبهم».

وان الخيرات الزمنية باطلة، وان الخير الحقيقي في الاتحاد بالله (المزمور ١٤٣:١٥)، وان الله يبغض احتفالاتهم (عاموس ٥:٢١).

وان الله يبغض قرابين اليهود (اشعيا ٦٦:١ — ٣، ارميا ٦:٢٠،

وداود في المزمور ١٨) ، ولو كانوا من الاصفياء (المزمور ٤٩ :٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤) .

وانه لم يرسم الذبائح الا من اجل قسوة قلوبهم (روائع ميخا في الفصل السادس[1]، سفر الملوك ١٥ : ٢٢، هوشع ٦ : ٦) وان ذبائح الوثنيين يرتضيها الله ويصرف وجهه عن ذبائح اليهود (ملاخي ١ : ١١) .

وان الله سيقطع عهداً جديداً بالمسيح، وينبذ العهد العتيق (ارميا ٣١ : ٣١).

وان الاوائل والقدائم ستنسى (اشعيا ٤٣ :١٨ و ١٩) .

وانهم لن يتذكروا تابوت العهد (ارميا ٣ :١٥ و ١٦) .

وان الهيكل سينبذ (ارميا ١٢ و ١٢ و ١٤) .

وان ثمة ذبائح ستنبذ وتقدم ذبائح غيرها طاهرة (ملاخي ١ : ١١) .

وان كهنوت هارون سينبذ ليُحِلَّ المسيحُ مكانه كهنوت ملكيصادق، وان هذا الكهنوت سيكون ابدياً .

وان اورشليم ستنبذ لتقوم رومية .

وان اسم اليهود سينبذ ويعطون اسماً جديداً (اشعيا ٦٥، ١٥) .

وان هذا الاسم الاخير سيكون افضل من اسم اليهود ، وسيكون ابدياً (اشعيا ٥٦ :٥) .

وان اليهود وجب ان يكونوا بلا انبياء (عاموس) ولا مَلِك ، ولا امراء ، ولا ذبيحة ولا صنم .

وان اليهود ، أُمَّةً ، سيبقون ، مع ذلك ، ابداً (اشعيا ٣١ :٣٦) .

٦١١ — **جمهورية** . ان الجمهورية المسيحية ، وحتى اليهودية ، لم يكن لها الا الله سيداً على ما لاحظ فيلون اليهودي (في المملكة) .

---

١) هذه هي آيات ميخا التي وصفها پسكال بانها رائعة : « بماذا اتقدم الى الرب وانحني لله العلي ؟ ابمحرقات اتقدم اليه وبعجول حولية ؟ أَيرتضي الرب بالوف الكباش وربوات انهار الزيت ؟ أَأبذل بكري عن معصيتي ؟ قد بين لك ايها الانسان ما هو صالح وما يطلب منك الرب . انما هو ان تجري الحكم وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع الهك » .

فما حاربوا الا في سبيل الله ، ولم يرتجوا الاّ إيّاه ، وما اعتبروا مدنهم قط الا انها مدن الله — سفر الاخبار ١٩ : ١٣ .

٦١٢ — « واقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى اجيالهم ، عهد الدهر لاكون لك الهاً ولنسلك من بعدك » — سفر التكوين ١٧ : ٧ .

وستحفظ عهدي .

٦١٣ — **ديمومة** . ان هذا الدين الذي يقوم على ان الانسان قد سقط من حالة المجد والاتحاد بالله ، الى حالة كآبة وقصاص وابتعاد عن الله ، وعلى ان ثمة مسيحاً منتظرًا سيعيد حالنا الاولى بعد الحياة ، اجل ، ان هذا الدين كان دائماً وابدًا على الارض . وقد زالت جميع الاشياء ، فيما بقي هو الذي تفضي اليه جميع الاشياء .

وكان الناس ، في الطور الاول من العالم ، عرضة لكل بلبلة وفوضى . بيد انه قام فيهم قديسون كأخنوخ ولامك وغيرهما ينتظرون بصبر المسيح الموعود به منذ بدء العالم . وقد شهد نوح رياء البشر في اقصى درجاته واستحق ان يخلص العالم بشخصه برجاء المسيح الذي هو صورة عنه . وكان ابراهيم محوطاً بالاوثان عندما اوحى له الله بسر المسيح فحيَّاه عن بعد[1] . وكان الفحش منتشرًا في ايام اسحق ويعقوب ، ولكنهما عاشا بصلاح وايمان . واذ حضرت يعقوب الوفاة وبارك بنيه ، تهلل وصاح : « خلاصك انتظرت يا رب »[2] . وتفشت الوثنية واعمال السحرة بين المصريين ، وحذا حذوهم شعب الله نفسه ، بيد ان موسى وغيره آمنوا بالذي لم يروه[3] وعبدوه فيما هم يتطلعون الى الهبات الابدية التي اعدها لهم .

ثم جاء اليونان واللاتين فسوّدوا آلهة الوثنية . وتفنن الشعراء في معالجة

---

١) يوحنا ٨ : ٥٦ .
٢) سفر التكوين ٤٩ : ١٨ .
٣) الماع الى قول القديس يوحنا « طوبى للذين لم يروا وآمنوا » .

اللاهوت وتفرق الفلاسفة شيعاً مختلفة . وبقي في قلب اليهودية رجال مختارون يتنبأون بمجيء هذا المسيح الذي لم يعرفه غيرهم احد .

وجاء ، اخيراً ، عند حلول الزمن . ولشد ما تعددت ، منذ ذلك الحين ، الانشقاقات والهرطقات ، ثم دالت دول ، وتحولت احوال ، فيما ظلت هذه الكنيسة التي عبدت الذي ما انفك يُعبَد ، قائمة دون ما انقطاع . على ان الحدث الرائع ، االالهي الصرف ، الذي لا مثيل له ، انما هو استمرار هذه الديانة على كونها ما برحت تُناوأ وتُحارب . لقد تعرضتْ الف مرة لان تكون على شفير الانقراض ، ولكنها كانت ، كلما اشرفت على هذه الحال ، رفعها الله بدفعات من قدرته فائقة . ان مثار الدهشة هو في هذا ، وفي انها ثبتت دون ما انحناء ولا التواء امام مشيئة الطغاة . انه ليس من المستغرب ان تظل الدولة قائمة ، حينما تذعن بعض شرائعها للضرورة ولكن ...

٦١٤ — ان الدول لتنقرض اذا لم تلتو شرائعها مع الضرورة مراراً . بيد ان الديانة ما تحملت هذا قط ولا هي مارسته . فوجب ان يكون ثمة تسويات كهذه ، او ان تكون ثمة معجزات . انه ليس من المستغرب ان تبقى مصونة اذ تلتوي ، ولكنها لا تكون قد رسخت بحصر المعنى ، فمآلها في آخر الامر الانقراض ، وما من دولة بقيت الف عام . ولكن أنْ تكون هذه الديانة قد استمرت ثابتة لا تنثني ، فهو حدث الهي .

٦١٥ — مهما قيل ، يجب الاعتراف بان في الديانة المسيحية ما يدعو الى الدهشة . قد يقولون : « ان مرد عجبك الى كونك ولدت فيها » . اني لاستبعد هذا وانقضه من اجل هذا السبب نفسه مخافة ان يملك علي سبقُ التصور مشاعري . ولكنني ، على كوني ولدت فيها ، ما أنفكُّ اجدها على هذه الصورة .

٦١٦ — **ديمومة** . لقد آمنوا بالمسيح منذ البدء . ان تقاليد آدم كانت ما برحت جديدة في عهدَيْ نوح وموسى . لقد تنبأ به الانبياء مذ ذاك ،

متنبئين في الوقت نفسه بامور اخرى كانت حوادثها تقع من وقت الى آخر على مرأى الناس وابصارهم وتدل على صدق رسالتهم وبالتالي على صدق وعودهم فيما يختص بالمسيح . لقد صنع المسيح العجائب وكذلك الرسل فهدوا جميع الوثنيين . اما وقد تمت النبوءات جميعاً ، فقد قام الدليل على المسيح ابد الدهر .

٦١٧ — **ديمومة** . لنأخذ بعين الاعتبار ان انتظار المسيح او عبادته ما برحا قائمين منذ بدء العالم دون ما انقطاع ، وان ثمة بشرًا قالوا بان الله قد اوحى اليهم بميلاد مخلص ينقذ شعبه ، وان ابراهيم جاء بعدئذ يقول ان هذا المخلص سيولد من نسله على ما اوحي اليه ، وان يعقوب على كون ابنائه اثني عشر ، اعلن انه سيولد من ذرية يهوذا ، وان موسى والانبياء جاؤوا بعد ذلك يعيّنون زمن وكيفية مجيئه ، وقالوا ان شريعتهم ان هي الا انتظار شريعة المسيح ، وانها حتى ذلك الحين ستكون مستمرة ، اما الاخرى فستكون سرمدية ، وان شريعتهم او شريعة المسيح التي ما كانت الاولى الا وعدًا بها ، ستكون على الارض دائماً وابدًا ، وانها في الواقع قد استمرت ابدًا ، وان المسيح قد جاء في الاحوال التي تُنبئ بها كلها . ان هذا لعجيب.

٦١٨ — انه الواقع . بينما جميع الفلاسفة يتفرقون شيعاً متباينة ، تقوم في زاوية من العالم جماعة ، هم اقدم من في العالم ، فيصرحون ان العالم كله في ضلال ، وان الله اوحى اليهم بالحقيقة ، وانها ستكون على الارض دائماً . وفي الواقع زالت الشيع جميعاً ، وبقيت هي دون ما انقطاع ، منذ اربعة آلاف سنة .

يعلنون انهم عرفوا من الاوائل ان الانسان قد انحط عن حالة الاتحاد بالله ، وابتعد عنه بعدًا كاملاً ، بيد ان الله وعد بان يفتديهم ، وان هذه التعاليم ستكون دائماً على الارض ، وان شريعتهم تنطوي على مفادين اثنين : انه قام بينهم ، في سحابة ١٦٠٠ سنة ، انبياء تنبأوا بالزمن وبالكيفية ، وانهم بعد اربعماية سنة تشتتوا في كل مكان ، لان المسيح وجب ان يُبشّر

به في كل مكان ، وان المسيح اتى في الزمن والكيفية المتنبأ عنها ، وان اليهود منذ هذا العهد اشتات في كل مكان ، تلحقهم اللعنة ، وانهم مع ذلك باقون .

٦١٩ — ارى ان الديانة المسيحية مشيدة على ديانة سابقة ، واليك الواقع الذي اجد .

لا أتكلم ابداً هنا عن معجزات موسى والمسيح والرسل ، لانها لا تبدو مقنعة في أوّل الامر ، ولاني لا أريد الا ان اوضح هنا بجلاء جميع اسس هذه الديانة المسيحية التي تقوم على اليقين بحيث لا يسع احداً ان يضعها موضع الريبة . من الثابت اننا نرى في امكنة مختلفة من العالم شعباً فريداً ، منفصلاً عن سائر امم الدنيا ، يسمى الشعب اليهودي .

وارى اذن فيضاً من الديانات في مختلف اصقاع العالم وفي كل الازمنة ، ولكن ليس في أدبيّاتها ما ارتضيه او في براهينها ما يستوقفني . وعلى هذا لا يسعني الا ان ارفض بالتساوي (...) ديانة الصين وديانة الرومان الاقدمين وديانة المصريين والديانات الاخرى من اجل هذا السبب الوحيد الذي هو انه لما كانت احداها لا تنطوي اكثر من الأخَر على سمات الحقيقة ولا اي شيء يحمل على الجزم والقطع ، فالعقل لا يستطيع ان يميل نحو احداها دون الاخرى .

ولكنني ، اذ اتبصر من خلال الازمنة تنوع العادات من حيث التقلب والغرابة وعدم الثبات في التصديق ، اجد في زاوية من العالم شعباً فريداً ، منفصلاً عن سائر امم الارض ، وهو اعرقها في القدم ، ويسبق تواريخه بعدة عصور اي تاريخ قديم نتداوله . اجد هذا الشعب عظيماً كثيراً ، وقد انبثق من رجل واحد وعَبَدَ رباً واحداً ، واحتكم الى ناموس واحد يقول انه من يد الله اخذه . وهو يجزم انه الوحيد في العالم الذي اوحى اليه الله باسراره ، وان سائر الناس في الفساد وفي بعد عن الله ، وانهم مستسلمون لحكم الحواس والعقل فحسب ، وان هذا هو منشأ الاضاليل الغريبة والتبدلات

المستمرة التي تفرق بين الاديان والعادات ، في حين انهم شعب ما برح راسخاً في ما اختطه من مسلك ، وان الله ، مع ذلك ، لن يهمل سائر الامم في الدياجير الى الابد ، وان منقذاً سيأتي ليحرر الكل ، وانهم ، اي اليهود ، انما وجدوا في العالم ليبشروا الناس به ، وانهم إنما برئوا ليكونوا طلائع مجيئه العظيم وبُشراءه ، وليكونوا الداعين جميع الامم الى الاتحاد بهم في انتظار ذلك المنقذ .

ان قيام هذا الشعب ليدهشني ويبدو لي جديراً بالنظر . واني اتبصر هذه الشريعة التي يتباهون انهم تناولوها من الله فاجدها تبعث على الروعة . انها اولى جميع الشرائع ، حتى انه قبل ان تجري لفظة الشريعة مجرى الاستعمال بين اليونان ، كان اولئك قد تسلموها وحفظوها دون ما انقطاع منذ ما يقرب من الف سنة . وهكذا ارى من الغرابة ان تكون الشريعة الاولى في العالم اكمل الشرائع ، حتى ان اعظم المشترعين قبسوا منها شرائعهم ، كما تدل على ذلك شريعة لوحات اثينا الاثنتي عشرة[١] التي اخذها عنها الرومان بعدئذ ، وهو امر يسهل عليّ ايضاحه هنا ، لو لم يكن يوسفوس[٢] وغيره قد عالجوا الموضوع بما فيه الكفاية .

٦٢٠ — **خصائص الشعب اليهودي** . ان الشعب اليهودي يستوقف نظري ، في هذا البحث ، بعدة امور عجيبةٍ وخاصةٍ تظهر فيه .

ارى في أول الامر انه شعب مؤلف من إخوة . وفيما سائر الشعوب مكونة من مجموعة عيال لا حد لها ، فانه على كثرته العجيبة قد خرج من

---

١) ليس من شريعة تسمى شريعة لوحات اثينا الاثنتي عشرة . من الراجح ان يكون پسكال قد اسند هذا القول ، عن ظهر قلب ، الى المؤرخ غروسيوس ، وفي الواقع ، يورد « هاڤيه » هذا النص منقولاً عن المؤرخ المذكور : « تلك الشرائع اليونانية العريقة في القدم التي انبثقت منها الشرائع الرومانية ، يرجع مصدرها الى شرائع موسى » .

٢) يوسفوس مؤرخ يهودي كان ذا حظوة عند الامبراطور « تيتوس » رافقه الى حصار القدس ثم نال امتياز المواطن في مدينة روما ودافع عن اليهود في وجه ابيون الذي هجاهم هجاء مراً .

رجل واحد. واذ هم جميعاً جسد واحد وكل واحد منهم عضو للآخر[١]، فهم يؤلفون دولة عظيمة من اسرة واحدة، ان ذلك لفريد في بابه.

ان هذه الاسرة بل هذه الامة، هي اقدم ما وعى البشر، مما يجعل لها حرمة خاصة ولا سيما فيما نحن فيه من بحث، لانه اذا كان الله قد اتصل بالناس في كل الازمنة، فالى هؤلاء القوم وجب ان نرجع لنعرف ذلك التقليد.

ان هذا الشعب ليس ضخماً بقدمه فحسب، بل انه متميز في ديمومته التي استمرت منذ اصوله الى اليوم. وبينما نرى ان امم اليونان وايطاليا ولقدمونيا واثينا ورومة وغيرها التي ظهرت بعدهم بزمن طويل، قد انقرضت وبادت من زمن بعيد، فهم باقون ابداً. وعلى رغم ما حاوله العديد من الملوك العظام في سبيل ابادتهم مراراً وتكراراً، كما شهد به مؤرخوهم وكما يتيسر الحكم فيه بالاستناد الى نظام الاشياء الطبيعي في خلال المديد من الازمنة، فانهم قد احتفظوا بالبقاء ابداً (وهذا البقاء متنبأ به) وان تاريخهم الذي امتد منذ الدهور الاولى حتى اواخرها لَينطوي في ديمومته على جميع تواريخنا (التي يسبقها بزمن طويل).

ان الشريعة التي تسوده هي في وقت معاً اقدم شرائع العالم وأكملها، وهي الوحيدة التي حفظت ابداً ودون ما انقطاع في دولة. وهذا ما يبينه يوسفوس بصورة رائعة في رده على «ابيون» وكذلك «فيلون»[٢] اليهودي، وهما يبرهنان على انها من القدم بحيث ان لفظة الشريعة نفسها لم يتعرفها اقدم الأقدمين الا بعد الف سنة من ذلك العهد، حتى ان هوميروس الذي دوّن تاريخ عدد كثير من الامم لم يستعملها قط. وانه لمن السهل الحكم في كمالها، بمجرد القراءة حيث يظهر انها تحوطت لكل الاشياء

---

١) الماع الى قول القديس بولس. راجع حاشية الفقرة ٤٨١.

٢) فيلون اليهودي، فيلسوف من متقدمي مدرسة الأسكندرية، حاول ان يوفق بين التقاليد اليهودية والجاهلية اليونانية، باعتبار ان هذه متفرعة من تلك. وقد وجد في موسى اصل الافلاطونية.

بمقدار عظيم من الحكمة والانصاف والتبصر ، حتى ان اقدم مشترعي اليونان والرومان الذين استضاؤوا بها ، قبسوا منها اهم شرائعهم : يدل على ذلك الشريعة التي اسموها اللوحات الاثنتي عشرة ، فضلاً عن الشواهد التي اوردها يوسفوس .

بيد ان هذه الشريعة هي ، في الوقت نفسه ، اشد الشرائع قسوة وصرامة بما له علاقة بشعائر الديانة . فهي تفرض على هذا الشعب ، لتستبقيه ضمن التزاماته ، مراسيم متعددة خاصة وشاقة . حتى ليأخذك العجب ان تكون قد حُفظتْ بديمومة واستمرار في خلال الاعصر ، تجاه شعب متمرد ملول كهذا ، في حين ان سائر الامم قد تبدلت شرائعها ، من زمن الى زمن ، على كونها اكثر سماحاً وليناً .

ان السِفْر الذي يحتوي على هذه الشريعة هو اقدم سفر في العالم ، ولم تظهر مصنفات هوميروس وغيره الا بعده بستماية سنة او سبعماية[1] .

٦٢١ — اما وقد مضى عهد التكوين والطوفان ، وحتم الله الا يبيد الكون بعد، ولا ان يخلقه خلقاً جديداً ، ولا ان يعطي عن ذاته من امثال تلك الدلائل العظيمة ، فقد شرع في انشاء شعب على الارض ، جعله خصيصاً ليستمر حتى نشوء الشعب الذي يكوّنه المسيح بروحه .

٦٢٢ — ولمَّا بَعُدَ عَهْدُ تكوين العالم ، هيأ الله مؤرخاً فريداً معاصراً[2] وندب شعباً بكامله لحفظ الكتاب ، فيكون هذا التاريخ اصدق ما في العالم ، ويستطيع جميع الناس ان يعرفوا منه امرًا ما اجدرهم ان يعرفوه ، ولن يتسنى لهم ان يعرفوه الا منه .

٦٢٣ — (تبتدئ السلسلة بيافث) .

---

١) ذكر بلزاك في رده على ميناندر : «عندما كان اليونان ما برحوا اطفالاً وبلاغتهم تعتعة ، كانت حكمة العبرانيين قد بلغت الكمال » .

٢) لقد عاصر موسى الحوادث التي رواها ، لانه وان يكن بعيداً عنها من حيث الزمن فهو قريب منها من حيث الأجيال القليلة التي تفصله عنها .

خالف يوسف بين يديه وفضّل الاصغر[١] .

٦٢٤ — ما بال موسى يجعل حياة البشر طويلة الامد والاجيال قليلة العدد[٢]؟ ان ما يجعل الامور غامضة انما هو تعدد الاجيال لا طول السنين ، والحقيقة لا يفسدها الا تغير الناس . وهو مع ذلك[٣] يجعل الخليقة والطوفان ، وهما اجدر الاحداث بالذكر في تصوُّر البشر ، متقاربين بحيث يكادان يتماسان .

٦٢٥ — سام الذي عاين لامك ، والذي عاين آدم ، قد عـاين يعقوب[٤] ايضاً الذي رأى من رأوا موسى ؛ واذن فالطوفان والخليقة حقيقتان . انها لحجة قاطعة لقوم يتبصّرون .

٦٢٦ — ان فسحة اجل الآباء ، عوضاً عن ان تكون سبباً في ضياع تاريخ الأحداث الغابرة ، هي بالعكس تعمل على حفظه . لان ما يجعل المرء قليل الالمام بتاريخ اسلافه هو انه لم يعايشهم قط وانهم قضوا قبل ان يبلغ الرشد . والحال ، ان الناس عندما كانوا يعيشون السنين الطوال ، كان يعايشهم ابناؤهم طويلاً ، ويحدثونهم طويلاً . واية احاديث كانت احاديثهم الا ما يتناول منها تاريخ اسلافهم، وهي التاريخ كله ، هم الذين لم تكن لهم علوم وابحاث وفنون ، وهي التي تستغرق عادة معظم المباحث في الحياة ؟ ونرى ، هكذا ، ان الناس، في ذلك الزمن ، كان اكثر ما يعنون به حفظ انسابهم .

٦٢٧ — اظن ان يشوع هو اول من سمي بهذا الاسم[٥] بين شعب الله ، كما ان يسوع المسيح هو آخرهم .

---

١) قابل الفقرة ٧١١ .
٢) بين آدم ويعقوب اثنان وعشرون جيلاً تصرمت في ٢٣١٥ سنة . فاذا اخذنا عمراً كاملاً من اعمار الآباء الأقدمين نرى ان خمسة اعمار متصلة تملأ هذا المدى كله (هافيه) .
٣) اي بكونه يحصي اجيال الآباء لا عدد السنين .
٤) هذا لا ينطبق على نص سفر التكوين . لقد جاء في طبعة « بور روايال » : قد رأى على الاقل ابرهيم ، وابرهيم رأى يعقوب .
٥) يشوع او يسوع معناه المخلص (هافيه) .

٦٢٨ — **قدم اليهود** . ما ابعد الفرق بين كتاب وكتاب ! لست ادهش لكون اليونان وضعوا الالياذة ، ولا لكون المصريين والصينيين وضعوا تواريخهم . فلنبحثن في المنشإ . ان اولئك المؤرخين الاسطوريين لم يعاصروا الاشياء التي دونوها . فقد صنف هوميروس رواية ودفعها الى الناس على انها رواية وهكذا تقبلوها ، لانه ما من احد كان يحسب ان طروادة واغاممنون لم يكونا قط الا تفاحة الذهب . ولم يفكر احد ان يجعل منها تاريخاً ، بل أُلهية. وهو الوحيد في زمانه الذي كتب[1] فكان جمال الكتاب كفيلاً ببقائه . فالجميع يتعلمونه ويتحدثون به . وقد فرضت معرفته فرضاً ، بحيث انهم حفظوه عن ظهر قلب . وبعد انقضاء اربعماية سنة لم يبق من شهود الحوادث حيّ ، ولم يبق من يعلم أأسطورة هي ام تاريخ : لقد تلقنه الخلف عن السلف، وقد يحسبونه صدقاً .

كل تاريخ لا يعاصر الاحداث فهو كاذب ويستمر كاذباً في ممر العصور . وكاذبة هي كتب العرافات ، و « المثلث العظائم »[2] (Trismégiste) وغيرها مما يعتمده الناس ، وليس هذا شأن المؤلفين المعاصرين .

---

١) ان پسكال ، اذ يقول هذا ، لم يفكر ولا شك في مسألة شديدة الغموض اثارت حولها الجدل العنيف ، عنيت بها مسألة اصل الكتابة . من الراجح ان تكون مصنفات هوميروس سابقة لنشوء الخط .

٢) العرافات نسوة اوتين روح النبوءة على ما زعموا . واشهرهن عرافة «كوموس» التي خلدها فرجيلوس . وكان قدماء الرومان يحفظون آياتهن في مجموعات يحسبون انها تنطوي على مقدرات السلطنة ومصايرها . وقيل ان عرافة اريترّيا هي التي باعت تلك المجموعات من ملك رومة « تاركان » المتشامخ . فخبأها في احد اقبية هيكل جوبيتر الكابيتوليني وعهد في حراستها بادئ بدء الى ثلاثة من الاشراف ثم الى عشرة من الكهان . وكانوا يرجعون اليها ويستطلعونها في ايام البلايا والمحن العامة بناء على امر يستقل به مجلس الشيوخ . وكانت الآيات عبارة عن اشعار باللغة اليونانية شديدة اللبس والابهام وتحتمل شتّى المعاني والتأويلات . وقد تلفت في حريق رومة في السنة ٦٧٠ . ولكن مجلس الشيوخ امر باعداد مجموعة جديدة تُستجمع من الآيات المبعثرة في ايطاليا واليونان وافريقيا . ونقل اغوسطوس كتب العرافة تلك الى الجبل البلاتيني واستودعها هيكل ابولون حيث بقيت الى السنة ٣٨٩ للمسيح فامر تيودوسيوس باحراقها .

واجتازت شهرة العرافات الاعصر الوسطى كلها ، حتى ان الكنيسة أجازت تمثيلهن في التصاوير ، مسلمة بانهن شاهدات عن النبوات المتعلقة بمجيء المسيح .

وثمة فرق بين كتاب يؤلفه فرد ويبثه في الشعب وكتاب ينشئ بذاته شعباً . فما من شك عندئذ في ان الكتاب قديم قدم الشعب .

٦٢٩ — يوسفوس يخفي خجل امته .
موسى لا يخفي خجله ولا ...
« من يهب لجميع امة الرب ان يكونوا انبياء » . (سفر العدد ١١ : ٢٩) .
وكان قد ملَّ الشعب .

٦٣٠ — **صدق اليهود** . من يوم لم يبق فيهم انبياء : المكابيون . ومنذ المسيح : « ماصور » .
هذا السفر سيكون لكم شهادة الى الابد[١] .
الاحرف المشوهة في اواخر الكلم[٢] .
صادقون ، فيما ينافي كرامتهم ، ومستشهدون من اجل ذلك : ليس لهذا مثيل في العالم ولا جذر له في الطبيعة .

٦٣١ — **صدق اليهود** . يحملون بمحبة وامانة هذا الكتاب الذي يقول فيه موسى انهم جحدوا نعمة الله طوال حياتهم ، وانه يعرف انهم سيزدادون جحوداً بعد موته ، وانه يُشهد عليهم السماء والارض ، وانه علمهم تعليماً كافياً .

ويقول اخيراً ان الله في سخطه عليهم سيجعلهم شتاتاً بين امم الارض جميعاً . وانهم ، وقد اضرموا غضبه باتخاذهم آلهة غير الاله ، فهو سيدعو شعباً غير شعبه ، وانه شاء ان تحفظ كلماته الى الابد وان يوضع كتابه في تابوت العهد ليكون ابداً شاهداً عليهم[٣] .
ويقول اشعيا القول نفسه (٣٠) .

---

١) اشعيا ٣٠ : ٨ .
٢) انظر الفقرة ٦٨٨ .
٣) سفر الخروج .

٦٣٢ — **اسطورة عزرا** : أُحرِقت الكتب باحتراق الهيكل . في سفر المكابيين ما ينقض هذا[١] : « ان ارميا اعطاهم الشريعة » .

اسطورة : انه روى كل شيء عن ظهر قلب . يشير يوسفوس وعزرا الى انه **قرأ الكتاب** .

اسطورة : انه غيـّر الاحرف .

يقول يوسفوس ان الشريعة كانت في اصلها مكتوبة بالعبرانية لدى الشروع في الترجمة السبعينية .

لم يستطيعوا سبيلاً الى اتلاف الكتب ، في حكم انطيوخس وڤسبازيانوس حين لم يكن نبي قط ، افيستطيعون ذلك في حكم البابليين ، حين كثر الانبياء وما تعرضوا لاضطهاد قط ؟

يهزأ يوسفوس من اليهود الذين ما كان ليتحملوا ...

يقول انه من الممكن ان يكون نوح قد جدد عن ظهر قلب كتاب اخنوخ الذي فقد في الطوفان اذا صح ان عزرا قد استطاع تجديد الاسفار التي فقدت ابان الجلاء .

يذكر هذا ليدلل على انه ليس من المستغرب ان تكون الترجمة السبعينية قد فسرت الاسفار المقدسة بهذا التناسق الذي يروق فيها . وقد اخذ هذا عن القديس ايرونيموس .

يقول سانت هيلار في مقدمته عن المزامير ان عزرا هو الذي تولى امر تبويبها .

٦٣٣ — **ضد اسطورة عزرا** . ذكر يوسفوس ان كورش عتق الشعب بعد ان سمع نبوءة اشعيا . كانت لليهود في بابل في حكم كورش مقتنيات يتصرفون بها بسلام . واذنْ فقد كان باستطاعتهم ان تكون لهم شريعة .

لم يذكر يوسفوس ، طوال تاريخ عزرا ، شيئاً عن هذا التجديد .

---

١) المكابيون ٢ : ٢ .

– سفر الملوك الرابع ١٧ : ٢٧ .

٦٣٤ – لئن كانت اسطورة عزرا [1] قابلة للتصديق ، لقد وجب اذن ان نصدق ان الكتاب كتاب مقدس ، لان هذه الاسطورة لا تقوم الا على اسانيد القائلين باسانيد الترجمة السبعينية ، وهي تدل على ان الكتاب مقدس .

فاذا كانت هذه الرواية صحيحة ، قام الدليل بها على ما نقول ، والا فهو يقوم من ناحية اخرى . وهكذا نرى ان الذين يحاولون هدم حقيقة ديانتنا المسندة الى موسى يدعمونها بالاسانيد نفسها التي يطعنون بها . وهي بفضل تلك العناية قائمة ابداً .

٦٣٥ – **تاريخ التقاليد اليهودية** . (الصفحات المشار اليهـــا فيما يلي هي من كتاب « بوجيو ») الصفحة ٢٧ حاكادوش (السنة ٢٠٠) مؤلف « الميشنا » او الشريعة الصوتية او الشريعة الثانية .

شروح « ميشنا » .

بريشيت راباح ، تأليف قزحيا راباح في شرحه على « الميشنا » .

بريشيت راباح . بار ناشوني : خطب رشيقة ، معجبة ، تاريخية ولاهوتية . صنف المولف نفسُه كتباً ادرجها تحت اسم « رابوت » .

وبعد مائة عام (٤٤٠) من تلمود هيروسول ، ألّفَ « حاز » التلمودَ البابلي برضى اليهود جميعهم المجبرين حكماً على التقيد بمحتواه .

والملحق الذي كتبه ر. حاز اسمه « جمارا » اي شرح « الميشنا » .

والتلمود يشتمل على كليهما .

٦٣٦ – « لو » لا تدل على اللامبالاة : ملاخيا ، اشعيا .

---

١) زعموا ان عزرا جدد التوراة التي احرقت ابان الجلاء ، بناء على امر من الله ووفق ما املاه عليه . ان هذه الرواية تزعزع الثقة في صحة التوراة . والمذهب الكاثوليكي ينبذ تآليف عزرا الأخيرة ، وپسكال يستند في هذه النظرية الى مقررات مجمع « ترانت » .

٦٣٧ — نبوءات . لم يَزُل الصولجان في ابان الجلاء الى بابل ، لان الرجوع كان موعودًا ومتنبأ به .

٦٣٨ — **البراهين على يسوع المسيح** . ما كانوا بالاسرى اذ أُسروا على امل الخلاص بعد سبعين سنة . اما الآن فانهم اسرى ولا رجاء لهم .

وعدهم الله بانه ، وان شتتهم في اقاصي المعمور ، فلسوف يجمع شملهم اذا حفظوا الوصايا . لقد حفظوها واستمروا مضطهدين .

٦٣٩ — لما ساق نبوكدنصر الشعب ، كان قد قيل لهم انهم سيبقون في الاسر قليلاً، ثم يُعتَقون ، ذلك كيلا يحسبوا ان الصولجان نزع من يهوذا . وكانت لهم تعزية من الانبياء واستمر ملوكهم يتعاقبون . اما الدمار الثاني فلا وعد معه بالانعتاق ، ولا انبياء ولا ملوك ، ولا تعزية ، ولا رجاء لان الصولجان قد نُزع الى الابد .

٦٤٠ — انه لامر عجب وجدير بانتباه عجيب ان نرى هذا الشعب اليهودي قائماً منذ القدم وان نراه ابدًا شقياً ، وانه ، اذ هو ضروري لاقامة الدليل على المسيح ، قد بقي ليقيم هذا الدليل ، مع كونه شقياً لانه صلبه ، وانه ، على ما بين الشقاء والبقاء من تضاد ، قد بقي على رغم شقائه .

٦٤١ — من البيّن انه شعب وجد خصيصاً ليكون شاهدًا على المسيح (اشعيا ٤٣ : ٩ و ٤٤ : ٨) . انه يحمل الاسفار ويحبها ولا يعيها . كل هذا قالت به النبوءات : انهم يؤتمنون على احكام الله ولكنها كاقوال كتاب مختوم (اشعيا ٢٩ : ١١) .

القسم العاشر
الرموز

٦٤٢ — **البرهان على العهدين معاً** — حسبُنا ، لاجل اقامة الدليل على العهدين معاً ، ان نرى هل تحققت نبوءات احدهما في الآخر . ومن شاء ان يتفحص النبوءات ، عليه ان يتفهمها . لان الاعتقاد انها لا تنطوي على غير مفاد واحد يفضي الى التأكيد بان المسيح لم يأت ؛ ولكنها اذا كانت تنطوي على مفادين فمن الثابت انه اتى بشخص يسوع . وتنحصر المسألة اذن في معرفة هل كانت تنطوي على مدلولين .

أنْ يكون للكتاب مفادان دل عليهما المسيح والرسل ، ذلك امر قامت عليه الأدلة الآتية :

١ — دليل الكتاب نفسه .

٢ — دليل الربابنة : يقول موسى ميمون ان الكتاب ذو وجهين : وان الانبياء لم يتنبأوا الا بالمسيح .

٣ — دليل التقاليد اليهودية .

٤ — الدليل الناشئ عن تأويل الربابنة الروحاني للكتاب .

٥ — الدليل الناشئ عن قول الربابنة بالمدلولَين . وبان ثمة مجيئين اثنين للمسيح ، مجيئاً مجيداً او مجيئاً حقيراً ، على وفق ما هم جديرون به ، وبان الانبياء لم يتنبأوا الا بالمسيح — الشريعة ليست ازلية ، بل يجب ان تتغير بالمسيح — ، وانهم عندئذ لن يتذكروا البحر الاحمر ، وان اليهود سيختلطون بالامم .

٦ — (الدليل الناشئ عن مفتاح السر في اقوال المسيح والرسل)[١] .

٦٤٣ — اشعيا ٥١ . البحر الاحمر صورة الفداء . « ولكن لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على الارض ان يغفر الخطايا — ثم قال للمخلع : لك اقول قم احمل سريرك واذهب الى بيتك »[٢] . ان الله ، اذ شاء ان يظهر ان بامكانه ان ينشئ شعباً مقدساً ذا قدسية غير مرئية ويملأه مجداً ابدياً ، قد صنع اشياء مرئية . ولما كانت الطبيعة صورة للنعمة ، فقد صنع في خيرات الطبيعة ما وجب ان يصنعه في خيرات النعمة ، حتى يكون الناس على بينة من انه كان باستطاعته ان يصنع ما هو غير مرئي بما انه يصنع ما هو مرئي .

واذن ، فقد انقذ هذا الشعب من الطوفان ، واخرجه من صلب ابراهيم ، وافتداه من اعدائه واقرّه في الراحة .

وما كان غرض الله ، اذ انقذ من الطوفان شعباً برمته ونسّله من صلب ابراهيم ، ان يُقرّه في ارض خصبة وحسب — حتى ان النعمة ان هي الا رمز المجد ، لانها ليست غاية الغاية . لقد جاءت الشريعة ترمز اليها ، وهي نفسها ترمز الى المجد : ولكنها رمزه ومبدأه أو علته[٣] .

ان حياة الناس العادية تشبه حياة القديسين . يبحثون جميعهم عن الرضى ، ولا يختلفون الا في غرضه . فمن منعهم عنه سمّوه عدوًّا الخ . واذن فقد

---

١) تبسط پسكال في الدليلين الاول والثاني في سياق الفقرات التالية . ولم يشر الى الادلة الأخرى الاّ لماماً .

٢) مرقس ٢ : ١٠ و ١١ : يشرح پسكال في الفقرة ٦٧٥ العلاقة القائمة بين هذا النص وقول اشعيا (٥١ : ١٠ و ١١) .

٣) لأجل تفهم هذا المقطع يقتضي الرجوع الى استعراض العلائق القائمة بين هذه الحالات المختلفة في عرف المذهب الينسيني : ان الشريعة ترمز في النظام الجسدي الى ما ترمز اليه النعمة في النظام الروحاني ، ولكن النعمة نفسها ان هي الا حالة اعدادية للمجد فهي رمزه لانها استمتاع ظافر ، ولكنه ظفر الجهاد على الطبيعة ، الذي هو صورة الظفر الهادئ بالله . على انه ليس بين النعمة والمجد علاقة مجازية وحسب كما هي الحال بين الشريعة والنعمة ، بل علاقة علة بمعلول . ان الشريعة لا تهب النعمة ، في حين ان النعمة تهب المجد .

اظهر الله قدرته على ان يهب الخيرات غير المرئية ، بالقدرة التي اظهر انها له على الخيرات المرئية .

٦٤٤ — رموز . ان الله اذ شاء ان ينشئ لذاته شعباً مقدساً ، يفصله عن سائر الامم ، وينقذه من اعدائه ، ويقره في مقام الراحة ، قد وعد بان يصنع هذا ، وعين بلسان انبيائه زمن وكيفية مجيئه . على انه ، لكي يثبّت مختاريه في رجائهم ، اتاح لهم صورة هذا المجيء في الازمنه كلها ، دون ان يتركهم بمنجى عن دلائل قدرته وارادته في سبيل خلاصهم . والحال ان آدم ، عند خلق الكون ، كان الشاهد وكان الامين على وعد المخلص[1] الذي سيولد من امرأة ، حينما كان البشر ما برحوا قريبي العهد من بدء الخليقة بحيث لم يكن قد امكنهم بعد ان ينسوا الخلق والسقوط . وعندما زال الذين عاينوا آدم ، ارسل الله نوحاً[2] فانقذه واغرق الارض كلها بمعجزة هي الدليل الوافي على قدرته في انقاذ العالم ، وعلى ارادته في ان يصنع هذا ، وان يخرج من زرع المرأة ذلك الذي وعد به . وكانت هذه المعجزة كافيه لتثبيت البشر في الرجاء .

واذ كان ذكر الطوفان ما برح ماثلاً في الناس ، وكان نوح ما برح حياً ، اعطى الله ابراهيم مواعيده[3] ، واذ كان سام على قيد الحياة ، ارسل الله موسى[4] الخ .

٦٤٥ — رموز . ان الله اذ شاء ان يحرم مختاريه من الخيرات الفانية ، ولكي يظهر ان ذلك ما كان عجزاً منه ، قد أنشأ الامة اليهودية .

---

١) سفر التكوين ٣ : ١٥ .
٢) سفر التكوين ٤ .
٣) سفر التكوين ١٢ .
٤) سفر الخروج ٢ — ان تاريخ الشعب اليهودي ، كما بسطه پسكال في فقرات القسم السابق ، يفسره هنا بالنسبة الى هدف الله . فالشعب اليهودي هو المؤتمن على النبوءات التي تتجدد الثقة بها جيلاً بعد جيل بالشواهد المنظورة عن قدرة الله ورعايته .

٦٤٦ — ما كان للشريعة اليهودية ان تزول لانها كانت الرمز . ولكن بما انها لم تكن الا الرمز فقد سقطت في العبودية . لقد بقي الرمز حتى تجلّي الحقيقة ، لكي تكون الكنيسة منظورة ابداً إما في الصورة المنبثة عنها ، او في الاثر الناتج .

٦٤٧ — في ان الشريعة قامت على الرمزيات .

٦٤٨ — الضلالتان : الاولى ان يؤخذ الكل بحرفه ، والثانية ان يؤخذ هذا الكل بروحه[١] .

٦٤٩ — يجب مناقشة الرموز المفرطة .

٦٥٠ — ثمة رموز جلية وذات تبيان ، وثمة رموز مقتضبة لا تصلح دليلاً الا للذين حصلت قناعتهم عن طريق غيرها . فالاولى شبيهة باصحاب الرؤى[٢] (apocalyptiques) مع الفرق ان ليس لهم أبداً رموز قاطعة لا ريب فيها ، وما من شيء ابعد عن العدل من زعمهم ان رموزهم تساوي ، من حيث الاسس الصحيحة ، بعضاً من رموزنا .

والواقع ان ليس لهم رموز ذات تبيان على ما هي الحال في البعض من رموزنا . فما القسمة اذن متعادلة . اذ يجب الا نوازن هذه الاشياء او نخلط بينها لمجرد انها تتشابه من طرف في حين انها تختلف اختلافاً بيناً من طرف آخر . ان الانوار ، متى كانت الهية ، هي التي يجدر بنا معها ان نقدر الغوامض حق قدرها .

(هو شأن قوم يتخاطبون بغوامض الكلام : فمن لا يعيه لا يفهم منه الا حماقة) .

---

١) الاولى ضلالة اليهود الجسديين والثانية ضلالة القائلين بالرؤى الغامضة .
٢) الذين يسندون المعجزات الى رؤيا يوحنا ويفسرونها على هوى النفس .

٦٥١ — **هذيان اصحاب الرؤى والقبلادميين والالفيين الخ**[1] . من شاء ان يسند الى الكتاب مذاهب مستغربة ، فانه يسندها مثلاً الى هذا : قيل: « لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله »[2] ، وعلى هذا اقول انه بعد هذا الجيل سيأتي جيل آخر وهكذا على التوالي .

ورد في سفر اخبار الايام الثاني ذكر سليمان والملك على انهما اثنان مختلفان[3] . اقول انهما اثنان .

٦٥٢ — **رموز خاصة** . الشريعة المزدوجة ، لوحات الشريعة المزدوجة ، الهيكل المزدوج ، الاسر المزدوج .

٦٥٣ — **رموز** . كانت تقوم نبوءات الانبياء على رموز النُطُق واللحى والشعر المحترق الخ[4] .

٦٥٤ — الفرق بين الغداء والعشاء[5] .

في الله لا تختلف الكلمة عن القصد ، لانه حق ، ولا الكلمة عن النتيجة لانه قدير ، ولا الوسائل عن الغاية لانه حكيم .

انها لقاعدة كلية : ان الله يستطيع كل شيء ، الا الاشياء التي اذا استطاعها فلن يكون معها كلي القدرة ، كأن يموت ، او يخدع او يكذب الخ .

انجيليون متعددون لاثبات الحقيقة : ان في تبيانهم افادة — الافخارستيا بعد العشاء السري : حقيقة بعد رمز .

---

١) القبلادميون اصحاب المذهب القائل بان آدم لم يكن المخلوق الاول . والالفيون شيعة تقول بملك المسيح على الارض الف سنة بعد القيامة .
٢) متى ٢٤ : ٣١ .
٣) ١ : ١٤ : « وجمع سليمان مراكب وفرساناً فكان له الف واربعماية مركبة واثنا عشر الف فارس فاقامهم في مدن المراكب وعند الملك في اورشليم » .
٤) قابل دانيال ١ : ٩٤ : « فرأوا ان هؤلاء الرجال لم تكن للنار قوة على اجسامهم ولم تحترق شعرة من رؤوسهم ولم تتغير سراويلاتهم ولم تمر بهم رائحة النار » .
٥) لوقا ١٤ : ١٢ : « وقال للذي دعاه : اذا صنعت غداء او عشاء ... » .

خراب اورشليم : رمز عن دمار العالم بعد موت يسوع باربعين سنة .
« لا أعلم » يقولها كرجل او مرسل[١] (مرقس ١٣ : ٣٢) .
يسوع يحكم عليه اليهود والامم .
اليهود والامم يرمز اليهم الولدان .

٦٥٥ — العهود الستة ، الآباء الستة للعهود الستة ، العجائب الست في مطلع العهود الستة ، المشارق الستة في مطلع العهود الستة[٢] .

٦٥٦ — « آدم الذي هو رمز الآتي » (روميه ٥ : ١٤) . الايام الستة لخلق احدهما ، والعهود الستة لخلق الآخر . ان الايام الستة التي ذكر موسى ان آدم برئ خلالها ، ان هي الا صورة عن العهود الستة التي برئ فيها المسيح والكنيسة . لو لم يخطئ آدم ولم يأتِ المسيح ، لما كان للبشر الا حلف واحد وعهد واحد ، ولكانت الخليقة صُوِّرت على انها صنعت في زمن واحد .

٦٥٧ — رموز . الشعبان اليهودي والمصري تُنُبِّئ بهما بصورة ظاهرة عن طريق الرجلين اللذين صادفهما موسى[٣]: المصري يضرب العبراني ، فينتقم

---

١) « فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب » : ان المسيح تكلم بهذا لا كمتحد بالله بل كانسان او مُرسَل .

٢) لقد عثر « هاڤيه » على مصدر هذه الرموز في فصل من القديس اغوسطينوس اجملها كما يأتي: « ان عهود العالم الستة يقابلها ايام الخليقة الستة، بحسب سفر التكوين ، مع سحرها ومسائها . والاسحار الستة (او المشارق الستة) هي الخليقة والخروج من سفينة نوح ودعوة ابرهيم وملك داود والجلاء الى بابل والتنبوء بالمسيح . والامسيات الست هي الطوفان وتبلبل الألسن الخ . والآباء هم آدم ونوح الخ . ليس من اشارة الى العهد الخامس . والعهد الثالث الذي يوافق المراهقة ، اي الزمن الذي يكتسب فيه الرجل طاقة الانسال ، هو في الواقع العهد الذي نسل فيه شعب الله الذي لم يكن قد وجد بعد . وقد امتد هذا العهد الى اربعة عشر جيلاً ، كذلك العهدان اللذان ولياه . اما العهدان الاولان فقد امتد كلاهما الى عشرة اجيال فقط ، ذلك انهما يوافقان الطفولة الاولى والثانية ، حيث الحياة كلها محتسبة في الحواس ، واما الخمسة وهو عدد الحواس مضروباً باثنين ، وهما الجنسان ، فحصله عشرة . اما عهد العالم الاخير فلا حد له معين ، كالشيخوخة في الحياة » .

٣) سفر الخروج ٢ : ١١–١٤ : « وكان في تلك الأيام لما كبر موسى انه خرج الى اخوته ونظر اثقالهم فاذا برجل مصري يضرب رجلاً عبرانياً من اخوته . فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير احداً فقتل المصري وطمره في الرمل . ثم خرج في اليوم الثاني فاذا برجلين عبرانيين يتضاربان ،

له موسى ويقتل المصري ، فيظهر العبراني بمظهر العقوق .

٦٥٨ — ان رموز الانجيل عن حال النفس المريضة انما هي اجسام مريضة . ولكن بما ان جسداً واحداً لا يمكنه ان يتحمل من المرض ما يمكّنه من التعبير عن هذه الحال ، فقد وجب ان تكون ثمة اجساد متعددة ، فهناك الاصم والابكم والاعمى والمقعد ، ولعازر الميت ، والممسوس بالشيطان . ان هذا كله في النفس المريضة .

٦٥٩ — رموز . للدلالة على ان العهد العتيق لم يك الا رمزياً ، وان الانبياء عنوا بالخيرات الزمنية خيرات اخرى ، نستند الى اعتبارين :

اولهما ان ذلك غير خليق بالله .

وثانيهما ان كلام الانبياء ، ولئن عبّر بوضوح عن الوعد بالخيرات الزمنية ، الا انهم قالوا ان كلماتهم معمّاة وانها تدقّ على الافهام ، مما يدل على ان معناها الخفي ليس هو الذي يعبرون عنه ظاهراً ، وانهم والحالة هذه كانوا يقصدون التكلم عن محرقات اخرى وعن مخلص آخر الخ . انهم يقولون بلسان ارميا : « في آخر الايام تفهمون » .

والدليل الثالث هو ان كلامهم ينقض بعضه البعض الآخر وينفيه ، بحيث انه لو حملنا الظنُ على انهم لم يعنوا بكلمات الناموس والمحرقات الا ناموس ومحرقات موسى ، لكان ثمة تناقض بيّن فاضح . واذن فقد عنوا امراً آخر اذ تناقضوا في الفصل الواحد .

والحال ، لكي نلم بالمعنى الذي توخاه مؤلف[١] ...

فقال للمعتدي : لماذا تضرب قريبك ؟ فقال : من اقامك رئيساً وحاكماً علينا ؟ اتريد ان تقتلني كما قتلت المصري » ؟

انه مثل عن الرموز والنبوءات التي ينعتها پسكال بالخاصة ، لانها تتعلق بحوادث خاصة لا بالمسيحية ، ومن شأنها ان تثبت صدق الرموز والنبوءات العامة .

١) ان الفقرات التالية تسد هذا الفراغ . ومفاد هذه العبارة هو انه لكي نلم بالمعنى الذي توخاه المؤلف يجب التوفيق بين المقاطع المتناقضة على ضوء السبب الأسمى الذي يفسرها في وقت معاً .

٦٦٠ — الشهوة اصبحت طبيعية لنا وقد كونت طبيعتنا الثانية . وان فينا لطبيعتين : احداهما صالحة والاخرى شريرة . فاين هو الله ؟ انه حيث لا تكون انت[١] ، ومملكة الله هي فيك . الربابنة .

٦٦١ — السر الوحيد، بين جميع الاسرار ، الذي أُعلِن لليهود صراحة، انما هو التوبة .

كذلك اعلنه القديس يوحنا البشير ، ثم أُعلِنت لهم سائر الاسرار ؛ ذلك للدلالة على ان هذا الترتيب يجب ان يحفظه العالم وكل انسان[٢] .

٦٦٢ — ان اليهود الجسديين لم يعوا ما في المسيح الذي تنبأت به نبوءاتهم من عظمة ومن خفض . فقد انكروه في عظمته حيث قال انه رب داود ، على كونه ابنه[٣] ، وانه كائن قبل ان يكون ابراهيم ، وانه رآه[٤] . ولم يصدقوا انه من العظمة بحيث انه يدوم الى الابد[٥]وقد انكروه كذلك في انخفاضه وفي موته فقالوا: « ان المسيح يدوم الى الابد، وهذا يقول انه سيموت » . وما صدقوه اذاً قابلاً للموت ولا ازلياً : وما التمسوا فيه الا عظمة جسدية .

٦٦٣ — رمز . ليس كالحرص في مشابهته المحبة وفي مضادته لها[٦] .

١) انت ، اي الانسان . ليس الله في الانسان باعتبار ان الطبيعة فاسدة ، وهو فيه باعتبار ان الطبيعة ، الفاسدة الآن ، هي صالحة في جوهرها البدائي . ان هذه الفكرة تنطبق على الربابنة بالطريقة الآتية : ان الله ليس في الاسفار المقدسة في نظر اليهود الجسديين الذين يلتمسون فيها رموز الشهوة ، وانه في تلك الاسفار في نظر المحبة التي تعقل معناها الروحاني .

٢) يعني پسكال بهذا ان اليهود عرفوا ناموس التوبة . فقد أُمروا ان يسكنوا غضب الله قبل ان يعرفوا النعمة التي تلي التوبة . ثم جاء القديس يوحنا المعمدان فدعا العالم الى التوبة قبل ان يعرف العالم وحي المسيح ، ذلك الوحي الذي يجب ان تتقدمه التوبة . كذلك هو شأن كل انسان : فبالتوبة يبلغ المسيحي الايمان والمحبة والنعمة .

٣) متى ٢٢ : ٤٥ .

٤) يوحنا ٨ : ٥٦ .

٥) يوحنا ١٢ : ٣٤ .

٦) تقوم المشابهة في كون الحرص والمحبة شكلين من اشكال الحب . ولكنهما يتناقضان من حيث الغرض . اذ غرض الحرص حب الذات ، وهو مصدر كل انانية وكل خطيئة ، في حين ان غرض المحبة الله الذي هو الخير الاسمى .

وهكذا فان اليهود ، وقد أُفعموا بالخيرات التي تؤاتي ما فيهم من حرص ، كانوا متوافقين والمسيحيين جدًّا ومضادين لهم جدًّا . وكانت لهم بهذه الوسيلة المزيتان اللازمتان لكي يكونوا متوافقين والمسيح ويرمزوا اليه ، ومضادين له حتى لا يكونوا شهودًا تحوم عليهم الريب .

٦٦٤ — رمز . قد استخدم الله شهوة اليهود ليستخدمهم في سبيل المسيح (الذي يحمل دواء الشهوة) .

٦٦٥ — ليست المحبة تعليماً رمزياً . وقد ارجف من قال ان المسيح ، الذي جاء ليزيل الرموز ويضع الحقيقة ، لم يأت الا ليضع رمز المحبة ويزيل الحقيقة التي كانت .

« واذا كان النور الذي فيك ظلاماً ، فالظلام كيف يكون ؟ » [1]

٦٦٦ — سحر وفتنة : « ناموا نومهم » المزامير ١٢٥:٦ .

الافخارستيا : « ارض لا تأكل فيها خبزك بتقتير » تثنية الاشتراع ٨:٩ .

« خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم » لوقا ١١:٣ .

الخطأة يلحسون الارض ، اي يحبون الملاذ الارضية .

كان العهد العتيق ينطوي على رموز الفرح الآتي والعهد الجديد ينطوي على وسائل البلوغ اليه .

كانت الرموز رموز الفرح . اما الوسائل فهي التوبة . بيد انهم كانوا يأكلون حمل الفصح مع خس البقر .

« واكون انا على انفراد الى ان اعبر » المزامير ١٤٠:١٠ . المسيح يكاد يكون في الاستشهاد وحده قبل موته .

٦٦٧ — رموز . الترس والسيف . المزمور ٤٤:٤ .

---

١) متى ٦:٢٢ : ان المحبة غرض الانجيل ، فيجب تحقيقها في الواقع لا تأملها على انها رمز . والمحبة هي النور الباطني الذي يضيء الكتاب المقدس . والقول بعكس هذا معناه اخضاع العهد الجديد للعهد العتيق .

٦٦٨ — ليس من بُعد الا البُعد عن المحبة .

ان صلواتنا وفضائلنا مرذولة امام الله ان لم تكن فضائل المسيح وصلواته . وان خطايانا ان لم تكن خطاياه ، فلن يكون لها موضع في رحمته بل في عدله . فقد تبنى خطايانا وقَبِلَنا في شراكتـــه ، لان الفضائل من خصائصه والخطايا غريبة عنه ، في حين ان الفضائل غريبة عنا والخطايا من خصائصنا .

فلنغير القاعدة التي اعتمدناها إلى الآن للحكم فيما هو صالح. لقد كانت القاعدة ارادتنا ، فلنعتمد الآن ارادة الله : فكل ما يريده صالح لنا وعادل ، وكل ما لا يريده رديء .

كل ما لا يريده الله فهو منهي عنه ، والخطايا منهي عنها بقول الله قولا شاملاً انه لا يريدها . اما سائر الامور التي تركها دون نهي شامل ، والتي تسمّى ، من اجل هذا السبب ، جائزة ، فهي ليست ، مع ذلك ، جائزة دائماً ، لان الله اذا ابعد احدها عنا ، وحدث ما يشير الى ان ارادة الله هي في الا يكون لنا هذا الشيء ، فهو محرم علينا عندئذ بمثابة الخطيئة ، لان ارادته هي في الا يكون لنا لا هذه ولا ذاك . وثمة بين الامرين فارق وحيد هو انه من المؤكد ان الله لا يريد الخطيئة أبدًا ، في حين انه من غير المؤكد انه لا يريد الامر الآخر . على انه ما دام الله لا يرتضي امرًا ، فقد وجب ان ننظر الى هذا الامر على انه خطيئة ، ، فان غياب ارادة الله ، وهي وحدها الجودة كلها والعدالة كلها ، يجعل هذا الامر ظالماً ورديئاً .

٦٦٩ — نغيّر الرمز بسبب ما بنا من ضعف .

٦٧٠ — رموز . شاخ اليهود وما برحوا على افكارهم الارضية ، وهي ان الله احب اباهم ابراهيم واحب نسله ، وانه من اجل ذلك أنماهم وميزهم عن سائر الامم فلم يطق ان يمتزجوا بها ، وانهم عندما وهنوا في مصر انتزعهم منها وابرز لهم امارات اليُمن ، وقاتهم بالمن في الصحراء وساقهم الى ارض

الخصب ، واعطاهم ملوكاً وهيكلاً حسن البنيان ليقيموا فيه الذبائح ويَطّهُروا باراقة دمائها ، وانه وعدهم اخيراً بالمسيح ليجعلهم اسياد العالم ، وتنبأ بزمن مجيئه .

وشاخ العالم مع هذه الضلالات الجسدية ، فجاء المسيح في الزمن المتنبأ عنه ولكن بغير البهاء المنتظر ، وهم من اجل ذلك لم يحسبوا انه هو . وبعد موته ، جاء القديس بولس يعلّم الناس ان كل ذلك انما هو رمز ، وان ملكوت الله ليس بالجسد بل بالروح ، وان اعداء البشر ليسوا البابليين بل الشهوات ، وان الله لا تروقه اقداس صنعتها الايدي بل القلب النقي المنسحق ، وان لا فائدة من ختان الجسد ، بل ما يجب فهو ختان القلب ، وان موسى لم يعطهم خبزاً من السماء الخ .

ولكن الله اذ لم يشأ ان يكشف هذه الاشياء لهذا الشعب الذي لم يكن جديراً بها ، واذ شاء ، مع ذلك ، ان يتنبأ بها لكي تُصدّق ، فقد تنبأ بزمنها بوضوح ، وعبر عنها احياناً بوضوح ، ولكن بغزارة وبالرموز ، لكي يقف عندها الذين يحبون الرمزيات ، ويراها في الاشياء المرموز اليها من يحبون هذه .

كل ما لا يؤول الى المحبة فهو رمز .

غرض الكتاب الوحيد المحبة .

كل ما لا يؤول الى الهدف الوحيد فهو رمزه ، لانه بما ان الهدف واحد ، فكل ما لا يفضي اليه بالكلام الصراح ، فهو رمز عنه .

لقد نوّع الله هذه القاعدة الوحيدة للمحبة ليرضي فضولنا الباحث عن التنوع ، بهذا التنوع نفسه الذي يقودنا ابداً الى حاجتنا الواحدة .

وبما ان الحاجة واحدة[1] ، فيما نحن نحب التنويع ، فقد ارضى الله الحالتين بهذا التنويع الذي يؤول الى الحاجة الواحدة .

---

١) انجيل لوقا : « فاجاب الرب وقال لها : مرتا انك مهتمة ومضطربة بامور كثيرة وانما الحاجة الى واحد » .

لقد احب اليهود الرمزيات بمقدار ، وتوقعوا تحققها الى حد انهم تنكروا للواقع عندما وقع في الزمن والطريقة المتنبأ عنهما .

الربابنة يفسرون نهود العروس[١] على انها رموز ، فكل ما لا يعبر عن هدفهم الاوحد ، هو بمفهومهم ، خيرات زمنية . والمسيحيون يرون في الافخارستيا هي نفسها رمز المجد الذي اليه ينزعون .

٦٧١ — اليهود الذين دُعوا لقهر الامم والملوك ، كانوا عبيداً للخطيئة ، والمسيحيون الذين كانت رسالتهم ان يخدموا وان يكونوا رعية ، هم الابناء الاحرار[٢] .

٦٧٢ — **لاصحاب الشكليات** . حين تداول القديس بطرس والرسل في إبطال الختان[٣] خلافاً لشريعة الله[٤] لم يسترشدوا بالانبياء ، بل بحلول الروح القدس في الذين لم يختتنوا .

ورأوا من الاثبت ان الله يؤيد من يملأهم بروحه لا من يحفظون الناموس . وعرفوا ان غاية الشريعة ان هي الا الروح القدس ، ولما كان حلوله لا يستوجب الختان فما كان هذا ضرورياً .

٦٧٣ — « فانظر واصنع على المثال الذي انت مُراه في الجبل[٥] (اي جبل سيناء) . واذن ، لقد تكونت الديانة اليهودية على مثال حقيقة المسيح ، وحقيقة المسيح قد اعترفت بها ديانة اليهود التي هي رمزها .

لم تكن الحقيقة عند اليهود الا مرموزاً اليها . اما في السماء ، فهي منكشفة .

---

١) نشيد الانشاد .

٢ روميه ٤ : ٢٠ و ٧ : ١٤ و ١٥ : لليهود السيطرة الزمنية والعبودية الروحية ، وللمسيحيين العبودية الزمنية والسيطرة الروحية .

٣) اعمال الرسل ١٥ : ٧ و ٩ .

٤) سفر التكوين ١٧ : ١٠ .

٥) سفر الخروج ٢٥ : ٤٠ .

وهي في الكنيسة مغلقة ومعترف بها بالنسبة الى الرمز .

لقد نُسج الرمز على الحقيقة ، وعرفت الحقيقة في الرمز[١] .

يقول القديس بولس نفسه ان ثمة اناساً يدافعون عن الزواج . وحدّث بهذا اهل كورنتس باسلوب هو اقرب ما يكون الى المصيدة[٢] ؛ لانه لو حدث ان احد الانبياء قال شيئاً ثم جاء القديس بولس يقول نقيضه ، لاتهموه .

٦٧٤ — « اصنع كل شيء ، على المثال الذي انت مُراه على الجبل » : يستخلص القديس بولس من هذا ان اليهود وصفوا السماويات .

٦٧٥ — ... على ان هذا الكتاب الذي وضع لتعمية البعض وتنوير الآخرين ، قد وسم الذين اعماهم بالحقيقة التي عرفها الآخرون . فان الخيرات المرئية التي تلقوها من الله كانت عظيمة والهية بمقدار ، بحيث اظهرت انه قدير ان يعطيهم الخيرات غير المرئية ، وان يعطيهم مسيحاً .

والحال ان الطبيعة صورة عن النعمة ، والمعجزات المرئية صورة عن غير المرئية . « قال له : قم احمل سريرك وامش »[٣] .

قال اشعيا ان الفداء سيتم على نحو ما تم عبور البحر الاحمر[٤] . واذن لقد اظهر الله بالخروج من مصر ، ومن البحر ، وبهزيمة الملوك ، وبالمن ،

---

١) الحقيقة بمعناها المطلق انما هي سابقة للرمز ، ولكن الرمز بالنسبة الى الانسانية قد وجد في العالم قبل الحقيقة .

٢) « من زوج عذراءه يفعل حسناً ، ومن لم يزوجها يفعل احسن » — من الصعب ادراك ما يرمي اليه پسكال بهذه الخاطرة .

٣) قال المسيح للمخلع : « يا بني مغفورة لك خطاياك » . واذ صاح اليهود : « من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده ؟ » أجابهم يسوع : « ما الايسر ان يقال للمخلع : مغفورة لك خطاياك ام ان يقال : قم احمل سريرك وامش ؟ ولكن لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على الارض ان يغفر الخطايا » . ثم قال للمخلع : « لك اقول قم احمل سريرك واذهب الى بيتك » . (مرقس ٢ : ١٠ و ١١ — راجع الفقرة رقم ٦٤٣) .

٤) يلمع پسكال الى هذه الفقرات من نبوءة اشعيا : « يا ذراع الرب ، الست انت التي جففت البحر مياه الغمر العظيم فجعلت اعماق البحر طريقاً يعبر فيه المفتدون ؟ فالذين افتداهم الرب سيرجعون ويأتون الى صهيون بترنيم ... وتنهزم عنهم الحسرة والتأوه » .

وبسلالة ابراهيم، ان باستطاعته ان ينقذ، وان ينزل الخبز من السماء، الخ . بحيث ان الشعب العدو انما هو رمز وصورة للمسيح الذي هو يجهله، الخ .

وقد علَّمنا اخيرًا ان هذه الاشياء كلها ان هي الا رموز ، وعلَّمنا من هم « الاحرار حقاً »[1] ومن هو « اليهودي الحقيقي » وما هو « الختان الحقيقي »[2] و« خبز السماء الحقيقي » الخ ...

ويرى الانسان في تلك الوعود ما هو قائم في قرارة نفسه ، الخيرات الزمنية والخيرات الروحية ، الله او المخلوقات ، ولكن الفرق هو في ان من يبحثون في تلك الوعود عن المخلوقات ، يجدونها فيها ، ولكن على اوجه متعددة من التناقض ، اذ يحظر عليهم ان يحبوها ويؤمرون بالا يعبدوا الا الله وألاّ يحبوا سواه – والامر واحد – ؛ اما المسيح فهو لم يأت في نظرهم . وعلى نقيض هؤلاء هم الذين يبحثون فيها عن الله ، فانهم يجدونه دون ما تناقض ، اذ يؤمرون بالا يحبوا غير الله ، ويجدون ان ثمة مسيحاً قد اتى في الزمن المتنبأ به ليعطيهم الخيرات التي يلتمسون .

وهكذا لقد كانت لليهود معجزات ونبوءات رأوها تتحقق . وكانت تعاليم ناموسهم الا يعبدوا ولا يحبوا الا الله ، وكانت تلك الشريعة السرمدية ، تتسم بسمات الدين الحق : وهي في الواقع كذلك . على انه يجدر التمييز بين تعاليم اليهود وتعاليم ناموسهم . والحال ان تعاليم اليهود لم تكن حقاً ، على كونها عرفت المعجزات والنبوءات السرمدية . ذلك انها كانت تفتقر الى هذه النقطة الأخرى التي تحصر العبادة والحب بالله .

٦٧٦ – الحجاب الذي يحجب هذه الكتب عن اليهود ، يحجبها ايضاً عن المسيحيين الاشرار وعن جميع الذين لا يبغضون الذات . ولكن من ابغض نفسه حقاً ، لشدّ ما يميل الى الاستماع اليهم والى معرفة المسيح !

---

١) « فان حرركم الابن صرتم احراراً حقاً » (يوحنا ٨ : ٣٦) .
٢) « لانه ليس اليهودي من كان في الظاهر ولا الختان ما كان ظاهراً في اللحم» (روميه ٢ : ٢٨) .

٦٧٧ — الرمز ينطوي على حضور وغياب ، على لذة وكدر . للرقم معنيان : احدهما صريح يُذكَر فيه ان المعنى خفي .

٦٧٨ — رموز . الرسم ينطوي على غياب وحضور ، على لذة وكدر . الحقيقة تنفي الغياب والكدر.

لكي نعرف هل الناموس والاضاحي حقيقةٌ ام رمز ، يجب ان ننظر هل كان الانبياء ، في معرض كلامهم عنها ، يقفون عندها بالتفكير والتبصر بحيث انهم لم يروا فيها الا ذلك العهد العتيق ، ام كانوا يرون فيها شيئاً آخر هي صورة له . والحال ان ما يرى في الرسم انما هو ما يرمز اليه ، ولا يقتضينا التثبت في هذا الا ان نبحث فيما يقولون .

انهم حينما قالوا ان الناموس سيكون سرمدياً ، هل عنوا بذلك العهد الذي قالوا انه سيتبدل ؟ كذلك عن الاضاحي ، الخ ؟

للرقم معنيان : اننا عندما نقع على حرف مهم ذي معنى صريح ، ذُكر فيه ، مع ذلك ، ان معناه محجوب وغامض ، وانه خفي بحيث ان هذا الحرف سيُرى دون ان يُرى وسيُفهَم دون ان يُفهَم ، فما عسانا ان نفكر سوى انه رقم ذو مفادين ، ولا سيما تجاه التناقض الظاهر في معناه الحرفي ؟ قال الانبياء صراحة ان الله سيحب اسرائيل ابداً وان الناموس سيكون سرمدياً ، وقالوا ان معناهم لن يفهم وانه مستتر .

ما اجدرنا بتقدير هؤلاء الذين يكتشفون لنا الرقم ويرشدوننا الى تفهم المعنى الخفي ، وخصوصاً متى استخلصوا منه المبادئ الطبيعية الصريحة الخالصة ! ان المسيح قد فعل هذا ، كذلك الرسل . لقد نزعوا الختم ، بينما هو مزّق الحجاب ، وكشف عن الروح . علمونا ان اعداء الانسان أهواؤه ، وان المخلص سيكون روحياً وملكه روحياً . وانه سيأتي مرتين : الاولى بشقاء ، ليخفض الانسان المتشامخ ، والثانية : بمجد ، ليرفع الانسان المتضع ، وان المسيح سيكون الهاً وانساناً .

٦٧٩ — رموز . فتح المسيح بصائرهم ليفهموا الكتب .

النافذتان العظيمتان هما : ١) ان هذه الاشياء جميعها كانت تحدث عن طريق الرموز : الاسرائيلي الحقيقي ، الحر الحقيقي ، خبز السماء الحقيقي . ٢) ان إلهاً قد اتضع حتى الصلب : لقد وجب ان يتألم المسيح ليدخل في مجده : « انه غلب الموت بالموت » .

٦٨٠ — رموز . حالما ينفتح هذا السر يصبح من المستحيل الا نراه . فلنقرأ من اجل هذا العهدَ القديم ، ولنر هل كانت القرابين حقيقية ، وهل كان نسب ابرهيم السببَ الحقيقي في صداقته لله ، وهل كانت ارض الميعاد موطن الراحة الحقيقي ؟ كلا ! واذن فما كانت هذه الا رموزاً . ولنر ايضاً تلك الاحتفالات المفروضة ، وتلك الوصايا التي لم تكن لتتوخى المحبة ، نجد انها رموز لها .

ان جميع تلك القرابين والاحتفالات كانت اذن رموزاً او حماقات . والحال ان فيها ما هو واضح وفائق السمو فلا يجوز القول انه حماقة .

— معرفة هل كان الانبياء يقفون نظرهم عند العهد العتيق ام كانوا يرون فيه اموراً اخرى ؟

٦٨١ — مفتاح الرقم : « العباد الحقيقيون — هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم » . (يوحنا ٤ : ٢٩) .

٦٨٢ — اشعيا ١—٢١ : تحول الخير الى شر . وانتقام الله . ارميا ١٧—٩ : « القلب اخدع كل شيء واخبثه فمن يعرفه ؟ » .

٦٨٣ — رموز . الحرف يقتل . كل شيء حدث بالرموز . هذا هو الرقم الذي اورده القديس بولس . لقد وجب ان يتألم المسيح . اله متضع . ختان القلب . الصوم الحقيقي . القربان الحقيقي . الهيكل الحقيقي . قال الانبياء ان كل ذلك وجب ان يكون روحياً .

لا اللحم الذي يفنى ، بل الذي لا يفنى .

« لكنتم احراراً حقاً » : واذن فتلك الحرية الاخرى ليست الا رمزاً للحرية .

« انا خبز السماء الحقيقي » .

٦٨٤ — **تناقض** . لا نستطيع ان نُحسن وصف هيئةٍ ما لم نجعل جميع متناقضاتنا متوافقة ، ولا يكفي ان نتتبع سياق المزايا المتوافقة دون ان نوفق بين اضدادها . ولكي نعي معنى مؤلِّفٍ ما ، يجب التوفيق بين المقاطع المتعارضة جميعاً .

وعلى هذا ، لكي نتفهم الكتاب المقدس ، وجب ان نعتمد معنىً تتوافق عنده جميع المقاطع المتعارضة . ولا يكفي ان نعتمد معنىً يأتلف وعدة مقاطع متوافقة ، بل معنىً يوفق حتى بين المقاطع المتعارضة .

كل مؤلِّف يتوخى معنىً تتآلف معه جميع المقاطع المتعارضة ، والا لما صح ان يكون قد توخى معنىً قط . ولكن هذا القول لا يصح في الكتاب المقدس وفي الانبياء الذين كانوا ولا ريب على جانب عظيم من التبصر . فيجب اذن ان نبحث عن معنىً تتوافق معه الاضداد جميعاً .

فليس المعنى الحقيقي اذن هو الذي اعتمده اليهود . على ان المتناقضات جميعها توافقت بالمسيح .

ليس باستطاعة اليهود ان يوفقوا بين زوال الملك الذي تنبأ عنه هوشع وبين نبوءة يعقوب .

لو نظرنا الى الشريعة والقرابين والمُلْك على انها حقائق ، لما استطعنا سبيلاً الى التوفيق بين المقاطع جميعها . واذن لقد وجب بحكم الضرورة الا تكون الا رموزاً . كما انه ليس بالاستطاعة التوفيق بين مقاطع المؤلِّف الواحد او الكتاب الواحد ، حتى ولا الفصل الواحد احياناً ، مما يستفيض الدليل معه على المعنى الذي توخاه المؤلِّف ، كما جاء في قول حزقيال في الفصل العشرين من انهم يحيون باحكام الله وانهم لا يحيون بها[1] .

١) ينصرف فكر پسكال الى الفقرة ٤٠ : « في جبل قدسي ، في جبل اسرائيل هناك يعبدني كل آل اسرائيل باجمعهم » ، والى الفقرة ٢٥ : « فاعطيتهم رسوماً غير صالحة واحكاماً لا يحيون بها » ، ويذهب الى ان الفقرة ٢٥ تشير الى الشريعة القديمة في حين ان الفقرة ٤٠ تلمع الى الشريعة الجديدة .

٦٨٥ — **رموز** . لئن كانت الشريعة والقرابين هي الحقيقة ، لقد وجب ان ترضي الله لا ان تغيظه[١] . ولئن كانت رموزاً لوجب ان ترضي وان تغيظ .

والحال انها في مجمل الكتاب المقدس ترضي وتغيظ . فقد جاء فيه ان الشريعة ستتبدل ، وكذلك القرابين ، وانهم سيبقون ولا شريعة لهم ولا أمير ولا قرابين ، وانه سيُبتُّ عهد جديد ، وتتجدد الشريعة ، وان رسومهم غير صالحة ، وان الله رذل ذبائحهم ولم يطلبها .

وقد جاء فيه ، على نقيض ذلك ، ان الشريعة سرمدية ، وكذلك العهد والذبيحة ، وان الصولجان لن يزول منهم ، لانه يجب الا يزول ما لم يجئ الملك الأزليّ .

اتدل هذه المقاطع على حقيقة ؟ كلا . اتدل على رمز ؟ كلا ، بل على حقيقة او رمز ولكن الاولى تنفي الحقيقة ولا تدل الا على رمز[٢] .

ان هذه المقاطع مجتمعة لا يمكن ان تطبق على واقع ، بل على رمز ، واذن فهي لا تنطبق على الواقع بل على الرمز .

الحمل المذبوح منذ انشاء العالم[٣] .

٦٨٦ — **تضاد** . الصولجان ، حتى مجيء المسيح — دون مَلك ولا امير .

الناموس سرمدي — يتغير .

عهد ابدي — عهد جديد .

شرائع صالحة — طُرُق شريرة (حزقيال ٢٠) .

---

١) بحسب المبدإ الوارد في فقرة سابقة من ان الرمز ينطوي على غياب وكدر والحقيقة على حضور ولذة .

٢) ان المقاطع المشار اليها في هذه الفقرة (والتي سترد في القسم التالي مع ذكر منابعها) انما هي تنطوي على الالتباس ، اذ بالامكان ان تكون حقيقة او رمزاً . على ان غموضها ينتفي اذا ما قوبلت بمقاطع اخرى تناقضها مناقضة لا يبررها الا كونها رموزاً ليس الا .

٣) رؤيا يوحنا ١٣ : ٨ : «سيسجد جميع سكان الارض للحمل المذبوح منذ انشاء العالم» ، هذه هي الذبيحة الأزلية التي لم تكن ذبيحة الشريعة اليهودية الا رمزاً لها .

٦٨٧ — **رموز** . عندما تكون كلمة الله الحقّ كذباً بحسب الحرف ، فهي حقيقة بحسب الروح . « اجلس عن يميني »[١]: ان هذا كذب من حيث الحرف ، واذن فهو حقيقة من حيث الروح .

لقد تكلموا عن الله في هذه العبارات على طريقة البشر . وهذا لا يعني الا ان نية الناس من اجلاس احد عن يمينهم ، ستكون نية الله ايضاً . انها اذن دليل على نية الله ، لا على طريقة تنفيذها .

وعلى هذا حين قال: « ان الله تَقبّل رائحة طيوبكم وسيجزيكم عنها بارض الخصب » ، اي انه كانت له نية الرجل الذي قَبِلَ طيوبكم وجزاكم عنها بارض خصبة ، فستكون هذه نيته تجاهكم لان نيتكم كانت تجاهه كنية الرجل تجاه من قَدّم له الطيوب . وعلى هذا النحو « الرب الغيور » الخ[٢] . لانه لما كانت امور الله غير قابلة للتعبير عنها ، فلم يكن بالامكان ان تقال بغير هذا الاسلوب الذي ما برحت الكنيسة تمارسه اليوم: « سيجيء الملك يا صهيون ، فانه مكّن مغاليق ابوابك »[٣] .

ليس بالجائز ان ننسب الى الكتاب مَعاني لم يوح بانها هي . وعلى ذلك فالقول بان الـ « ميم » المُغلَقة في نص اشعيا تعني ٦٠٠ ، إنما هو قول لم يوح به قط[٤] فقد كان بامكانه ان يقول أن « الصاد » و « الهاء » تنطويان على اسرار . واذن ليس من الجائز ان نقول هذا ولا ان نقول انها طريقة الحجر الفلسفي . على اننا نقول ان المعنى الحرفي ليس المعنى الحقيقي ، لان الانبياء انفسهم قالوا هذا القول .

٦٨٨ — لا أقول ان الـ « ميم » ينطوي على غموض .

---

١) المزمور ١١٩ .
٢) سفر الخروج ٢٠ : ٥ .
٣) المزمور ١٤٧ : ١٣ .
٤) اشارة الى بعض خصائص الحروف العبرية . فثمة حروف تكتب على طريقتين او مفتوحة كالميم مثلاً التي وردت مقفلة في مخطوطات اشعيا مما يغير قيمتها العددية . ويسائل پسكال نفسه : ايجب ان نتوقف عند الاخطاء الاملائية لنستخرج منها الايحاءات عن اسرار الديانة ؟

٦٨٩ — يقول موسى ان الله سيختن قلوبهم ليجعلهم قادرين على ان يحبوه .

٦٩٠ — ان كلمة من داود او موسى ، كالقول : « ان الله سيختن قلوبهم » ، لتَدلُّ على ما اضمراه[1] . ومهما كانت سائر الاحاديث ملتبسة ومهما اثارت الشك في كونهم فلاسفة او مسيحيين فان كلمة من هذا النوع تجلو الكلمات الاخرى ، كما ان كلمة من ابيكتاتوس تجلو غيرها مما يعاكس معناها . الى هذا الحد يبقى الالتباس ، لا بعده .

٦٩١ — شخصان يرويان قصصاً حمقاء ، احدهما ينطوي كلامه على معنى مزدوج لا تعيه الا الخاصة ، والآخر لا يتعمد الا معنى واحداً . اذا سمعهما احد على هذه الصورة ، وهو غير مدرك للسر ، فانه يحكم في كلا الحديثين حكماً واحداً . على انه اذا حدث في سائر الحديث ان احدهما نطق باشياء ملائكية في حين ان الآخر ما برح ينطق بتوافه الكلم ، فان المستمع يحكم ان احدهما لا الآخر ، تكلم ووراء كلامه سر ، اذ دلل احدهما على انه ارفع من ان يقول حماقة وجدير بان ينطق بالسر ، في حين ان الآخر غير اهل للسر وجدير بالحماقة .

ان العهد العتيق رقم .

٦٩٢ — من الناس من يرون انه ما من عدو للانسان الا الشهوة التي تصرفه عن الله ، لا الله ، وانه ما من خير له الا بالله لا بالارض الخصبة . اما الذين يعتقدون ان خير الانسان في الجسد وان الشر في كل ما يصرفه عن ملاذ الحواس ، فليسكروا بهذا ، وليستميتوا ! على ان الذين يبحثون عن الله من كل قلوبهم ، الذين لا يغمهم الا ان يُحرموا مرآه ، ولا رغبة لهم الا في ان يفوزوا به ، ولا اعداء لهم الاّ الذين يصرفونهم عنه ، الذين يتألمون

---

١) اي انها تدل على المعنى الذي يفهمان الشريعة على ضوئه ، اهو المعنى الجسدي او المعنى الروحي المجرد .

لان يحيط بهم ويتسلط عليهم مثل هؤلاء الاعداء[1] ، فليتعزوا ، لاني ازف اليهم بشرى سعيدة : فثمة منقذ لهم وسأريهم اياه ، وسأدلهم ان هناك الهاً لهم ، ولن اريه لغيرهم ابداً . وسأبين ان ثمة مسيحاً قد وعد به لينقذ من الاعداء ، وان مسيحاً قد اتى لينقذ من المعاصي لا من الاعداء .

حينما يتنبأ داود ان المسيح سينقذ شعبه من اعدائه، فقد ينصرف الظن، جسدياً، الى ان الاعداء هم المصريون ، وعندئذ لا استطيع التدليل على ان النبوءة قد تمّت[2] . ولكن يمكن الاعتقاد ايضاً انه من المعاصي سينقذهم ، لان المصريين ليسوا اعداء في حقيقة المعنى ، في حين ان المعاصي اعداء . واذن فهذه الكلمة « اعداء » تنطوي على لبس . ولكنه لو قال — وقد قال فعلاً — في مكان آخر ، ان الله سينقذ شعبه من خطاياه (المزمور ١٣٩) كما جاء في اشعيا[3] وغيره ، لزال الالتباس وانحصر معنى الاعداء المزدوج في معنى المعاصي مجرداً . والحال اذا كان فكره قد انصرف الى الخطايا أمكنه ان يدرجها تحت كلمة اعداء ، ولكنه لو كان قد توخى الأعداء لما استطاع ان يشير اليهم بكلمة المعاصي[4] .

والحال ان موسى وداود واشعيا قد استعملوا الكلمات نفسها . فمن ذا الذي يزعم انها لم تكن بالمفاد نفسه ، وان المعنى الذي توخاه داود ، وهو ينصرف بصورة بينة الى المعاصي ، لم يكن هو نفسه الذي توخاه موسى حين تكلم

---

١) في هذا النص بعض الارتباك ناشئ عن كون كلمة « الأعداء » قد وردت تارة في معناها المجازي وتارة اخرى في معناها الحقيقي . فهي في معناها المجازي حيث قال پسكال: «الذين يتألمون لان يحيط بهم ويتسلط عليهم مثل هؤلاء الأعداء»، لان الاعداء هنا هي الشهوات . وفي معناها الحقيقي حيث تتعارض مع « المعاصي » اي الاعداء الروحيين .

٢) بهذا يرد پسكال على الزعم اليهودي القائل ان المسيح فاتح سيأتي للشعب العبري بالسيطرة الزمنية .

٣) اشعيا ٤٧ : ٢٥

٤) اي ان كلمة الاعداء بالامكان ان ترمز الى المعاصي، ولا يصح العكس . وهي تحوّل من المرموز اليه الى الرمز لا يجوز . وعلى هذا المبدإ تقوم نظرية پسكال عن الرموز .

عن الأعداء؟ لقد صلى دانيال لخلاص الشعب من اسر اعدائه ، ولكنه فكّر في الخطايا . ولكي يدلل على ذلك قال ان جبريل جاءه يقول ان تضرعاته استجيبت ، وان الشعب سينقَذ من المعصية بعد سبعين اسبوعاً ، وستزول الخطيئة ، وان المحرر ، قدس الاقداس ، سيأتي بالعدالة الابدية ، لا الشرعية ، بل الابدية[1] .

---

١) ايجاز للفقرة ٢٤ من الفصل التاسع من نبوءة دانيال .

القسم الحادي عشر

النبوءات

٦٩٣ — عندما أرى عمى الانسان وشقاءه ، وانظر الى الكون الصامت[1] والى الانسان بلا نور ، متروكاً وشأنه ، وكأنه ضالٌ في هذه الزاوية المخبوءة من الكون ، دون ان يعرف من احلّه فيها ، ولاي شأن هو فيها ، واي مصير هو مصيره بعد الموت ، عاجزًا عن اي معرفة ، يتولاني الرعب ، كرجل نقلوه نائماً الى جزيرة مقفرة مخيفة ، فاستيقظ دون ان يعرف اين هو ، ولا سبيل له الى مخرج منها . وعلى هذا ، اعجب كيف لا يخامر اليأس مَن هذه حاله من الشقاء . اني ارى حيالي اناساً آخرين هذه طبيعتهم : فاسألهم هل هم اكثر الماماً مني ، فيجيبون أنْ لا . فهؤلاء الضالون الاشقياء ، وقد اجالوا الطرف حولهم ، فوقع على اشياء معجبة ، قد مالوا اليها بكليتهم وعلقوها . اما انا فلم استطع التوقف عندها ، واذا تأملت كم هو بيّن ان ثمة شيئاً آخر غير الذي اراه ، بحثت في هل ترك هذا الاله علامة عنه .

ارى ديانات كثيرة مضادة ، وبالتالي كاذبة ، ما خلا واحدة . وكل ديانة منها تفرض ان تُصدَّق بالاستناد الى مجرد سلطانها ، وتنذر غير المؤمنين . اني لا أصدقها جميعاً من اجل هذا . فلكل ان يقول ذلك ، ولكل ان يدعي النبوة . ولكني ارى الديانة المسيحية وفيها النبوءات ، وهذا ما لا يستطيعه احد .

---

١) ان صمت الكون يثير الخوف عند پسكال . راجع الفقرة ٢٠٦ : « ان هذه الرحائب اللامتناهيات تخيفني بصمتها الأزلي . »

٦٩٤ — ... وما يتوج كل هذا انما هو النبوة ، كيلا يقال البتة ان الديانة صنيع المصادفة .

من كان يفصله عن الموت ثمانية ايام ، لا يكتفي بالقول ان كل هذا ليس من صنع المصادفة[1] ... والحال انه لو لم تكن الاهواء تمتلكنا ، لكانت ثمانية ايام ومائة عام شيئاً واحداً .

٦٩٥ — **نبوءات** . مات « پان » العظيم (بلوتارك) .

٦٩٦ — « فقبلوا الكلمة بكل حرص وكانوا يفحصون الكتب هل كانت تلك الامور هكذا » (اعمال الرسل ١٧ : ١١) .

٦٩٧ — « اقرأ ما بشر به . انظر ما تمّ . واجمع ما سيتمّ » .

٦٩٨ — لا نعي النبوءات الا متى تمت وقائعها : وهكذا براهين الاعتزال والترصّن والسكوت الخ . فهي لا تقوم الا عند الذين يعرفونها ويعتقدونها .

ما اكثر ما كان يوسف باطنياً في شريعة كل ما فيها خارجي .

التوبة الخارجية تُعِدّ للتوبة الباطنية ، كما ان الاهانات تُعِدّ للاتضاع . وهكذا ال ...

٦٩٩ — الشريعة اليهودية سبقت الكنيسة ؛ واليهود سبقوا المسيحيين ، الانبياء بشروا بالمسيحيين ، والقديس يوحنا بالمسيح .

٧٠٠ — ما اجمل ان نرى بعين الايمان تاريخ هيرودوس وقيصر .

٧٠١ — غيرة اليهود على الشريعة والهيكل (يوسفوس وفيلون) . اي شعب غيرُهم كانت له هذه الغيرة ؟ لقد وجب ان تكون فيهم .

المسيح المبشّر به من حيث الزمن وحالة العالم : الدوق المنتزع من

---

١) والمعنى انه اذا كان الانسان في مواجهة الموت فهو يعالج قضية الديانة معالجة جدية ولا يحمله الاهمال على ان ينسب كل شيء للمصادفة .

الفخذ[1] (كذا) والمملكة الرابعة[2] . ما اسعد ان نجد هذا النور في تلك الدياجير !

وما اجمل ان نرى بعين الايمان داريوس ، وقوروش ، والاسكندر ، والرومان ، وبومبيوس ، وهيرودوس ، يعملون ، دون ما علم منهم ، في سبيل مجد الانجيل[3] !

٧٠٢ — غيرة الشعب اليهودي على الناموس ، ولا سيما من يوم لم يبق انبياء .

٧٠٣ — حينما كان الأنبياء ليثبّتوا الناموس ، كان الشعب مهمِلاً ؛ ومن يوم افتقر الى الانبياء ، اتقدت غيرته .

٧٠٤ — لقد عكر الشيطان غيرة اليهود قبل المسيح لانها كانت خلاصية لهم ، لا بعد المسيح .

الشعب اليهودي ، اضحوكة الامم ، الشعب المسيحي المضطهد .

٧٠٥ — **برهان** . النبوءات وتحقيقها . ما قبل المسيح وما بعده .

٧٠٦ — اعظم الادلة على المسيح النبوءات . وهي اكثر ما تَداركه الله وهيأه ، لان الحدث الذي ملأها انما هو معجزة استمرت منذ نشأة الكنيسة حتى النهاية . وهكذا فقد بعث الله الانبياء طوال الف وستماية سنة . وما

---

١) سفر التكوين ٤٩ : ١٠ (لا يزول صولجان من يهوذا) .

٢) دانيال ٢ .

٣) تقدم لپسكال ان استعرض التاريخ على صعيد العناية الالهية فقال: « ثمة شيء الهي، بل ما من شيء الا وهو الهي في الادواء التي تعبث في الدول . فانما الله هو الشاعر وما الناس الا الممثلون » (سقراط المسيحي ، الخطاب الثامن) . وطالما استثمر « بوسويه » هذه الفكرة على ما جاء في سانت بوف اذ قال : « حين يفسر پسكال النبوءات ويفض الاختام عن العهد العتيق ، وحين يشرح دور الرسل بين الامم وتدبير الله العجيب في مآتيه ، فانما هو قد تقدم بوسويه مصنف « التاريخ العام » وفتح له آفاقاً يجول فيها ويملأها ... لقد طالع بوسويه «الخواطر» ووقع على هذه : « ما اجمل ان نرى الخ » فوجد فيها منهاجاً تاماً اعتنقته للحال عبقريته العاصفة، كما كان « كونديه » الكبير يخوض بعين النسر رحاب المعارك ».

انقضت اربعماية سنة على ذلك حتى بدّد الله جميع تلك النبوءات وجميع اليهود الذين حملوها في كل اصقاع البسيطة . تلك كانت التهيئة لميلاد المسيح ، ولما كان من المحتم ان يؤمن العالم كله بانجيله ، فقد وجب الا يكون ثمة نبوءات وحسب لاجل تصديقه ، بل ان تعمّ تلك النبوءات العالم كله حتى يعتنقه العالم كله .

٧٠٧ — ولكن ما كان يكفي ان تكون النبوءات . لقد وجب ان توزع في كل الأمكنة وان تحفظ في كل الازمنة . ولكي لا يذهب الظن الى ان هذا التوافق من صنع المصادفة ، فقد وجب ان يكون متنبأ به .

انه لاعظم لمجد المسيح ان يكونوا (اليهود) شهوده وادوات مجده ، فضلاً ان الله لذلك اعدهم .

٧٠٨ — **نبوءات** . الزمن المعين من حيث حالة الشعب اليهودي وحالة الشعب الوثني ، وحالة الهيكل ، وعدد السنين .

٧٠٩ — انها لجرأة ان يتنبأ امرؤ بامر واحد بطرق مختلفة : فقد وجب ان تتم في زمن واحد الممالكُ الاربع ، ونهايةُ ملك يهوذا والاسابيع السبعون ، كل ذلك قبل ان يهدم الهيكل الثاني .

٧١٠ — **نبوءات** . لو جَمع رجل واحد في كتابٍ نبوءاته عن المسيح من حيث الزمن والطريقة ، وحدث ان جاء المسيح علّى وفق ما ورد في تلك النبوءات ، لكان في ذلك منتهى القدرة .

ولكن لدينا اكثر من ذلك ، انها سلسلة رجال تعاقبوا طوال اربعة آلاف عام ، جاؤوا باستمرار ودونما تبدل ، يتنبأون الواحد تلو الآخر بهذا المجيء نفسه . انه شعب برمته يبشر به ، ويبقى منذ اربعة آلاف سنة ليؤدي الشهادة بمجمله على ما لديه من تأكيدات على هذا الحدث ، الذي ما كانت التهديدات ولا الاضطهادات لتحوله عنه : ان هذا لاعظم بمقدار .

٧١١ — **التنبؤ بالامور الخاصة** . كانوا غرباء في مصر لا مُلك لهم فيها ولا في غيرها . (ولم يكن ثمة دليل على المملكة ، وقد قامت بعد ذلك بزمن طويل ، او على مجلس الشيوخ السبعين الذي أنشأه موسى واستمر حتى المسيح : فجميع هذا كان بعيداً كل البعد عن حالتهم الراهنة آنذاك) عندما حضرت الوفاة يعقوب وبارك بنيه الاثني عشر وانبأهم انهم سيملكون الارض الفسيحة وخص يهوذا بقوله ان الملوك سيخرجون يوماً من ذريته وان بني ابيه سيسجدون له وانه لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي المسيح وتطيعه الشعوب[1] . ان يعقوب هذا ، الذي تصرف بتلك الارض الموعودة وكأنه مالك لها ، قد خص يوسف بسهام تفوق سهام اخوته اذ قال له : « اني لمعطيك حصة اكثر من حصص اخوتك » . واذ بارك افرائيم ومنسى ولدَي يوسف اللذين قدمهما له ، واخذ افرائيم ، وهو الاصغر ، الى يسار يعقوب ، ومنسى وهو البكر الى يمينه ، خالف يعقوب بين يديه ومد يمينه على رأس افرائيم ، ويساره جعلها على رأس منسى وباركهما على هذه الصورة . واذ نبهه يوسف الى كونه قد آثر الاصغر على البكر اجابه بحزم عجيب : « عرفت يا بني عرفت ، ان اخاه الاصغر يعظم اكثر منه ويكون نسله جمهور امم » . (وجاءت الايام مصداقاً على ما قال ، فان نسله كاد يساوي بضخامة العدد سلالتين كاملتين تألفت منهما مملكة ، اطلق عليها اسم افرائيم) .

واذ حضرت الوفاة يوسف استحلف اولاده ان ينقلوا عظامه الى الارض التي لم يطأوها الا بعد مايتي سنة من ذلك اليوم .

ان موسى الذي دوّن جميع هذه الاحداث قبل ان تتحقق بزمن طويل ، قد قسم هذه الارض بين الاسباط جميعاً قبل ان يطأها وكأنه سيدها ومالكها ، وقال لهم اخيراً ان الله سيبعث من امتهم ومن ذريتهم نبياً لم يكن هو — اي موسى — الا رمزاً له ، وتنبأ بكل ما سيحدث لهم في الارض

---

١) سفر التكوين ٤٩ .

التي سيدخلونها بعد موته ، وبالانتصارات التي سيؤتيهم الله اياها ، وبجحدهم نعمة الله ، وبالعقاب الذي سيعاقبهم به ، وبكل ما سيتعرضون له من حوادث واحداث . وارشدهم الى المحكمين الذين سيكلون اليهم تقسيم الارض ، ورسم لهم شكل الحكومة والسياسة ، والمدن التي سيشيدونها للملجإ والملاذ و ...

٧١٢ — ان النبوءات بالامور الخاصة والنبوءات عن المسيح قد تداخلت كيلا تكون النبوءات عن المسيح مجردة عن الدليل ، وكيلا تكون النبوءات الخاصة بدون ثمرة[1] .

٧١٣ — اليهود في الاسر دون ما رجوع — ارميا ١١:١١ : « ها انذا اجلب عليهم شرًا لا يستطيعون التخلّص منه » .

رموز . اشعيا ٥ : « كان للرب كرم وانتظر ان يثمر عنباً فاثمر حصرماً برياً . اني ازيل سياجه واهدم جداره ، فيطلع فيه القتاد والشوك واوصي السحاب ان لا تمطر عليه مطرًا . ان كرم رب الجنود هو آل اسرائيل واناس يهوذا هم غرس نعيمه . وقد انتظرت الانصاف فاذا سفْكُ الدماء ، والعدل فاذا الصراخ » .

اشعيا ٨ : « قدسوا الرب وليكن هو خوفكم وفزعكم فيكون لكم قدساً ولكنه يكون حجر صدم وصخر عثار لبيتَي اسرائيل وفخاً وحبالة لساكني اورشليم ، فيعثر به كثيرون ويسقطون ويتحطمون ويحتبلون ويؤخذون ، ارسم الشهادة ، اطبع الشريعة في تلامذتي . اني ارجو الرب الحاجب وجهه عن بيت يعقوب » .

اشعيا ٢٩ : « توانوا وابهتوا يا شعب اسرائيل ، وترنحوا ليس من الخمر والمسكر ، فان الرب قد سكب عليكم روح سبات واغمض عيون الانبياء

---

١) ان في هذا جواباً عن الاعتراض الآتي على النبوءات : لماذا لم تختص جميعها بالمسيح ؟ الواقع انها بتنبوءها عن الحوادث الخاصة ، تخضع بالفعل ذاته للتدقيق والتمحيص ، فيدعم صحتها الثبوت . فضلاً عن ان النبوءات بالحوادث الخاصة تستمد في الوقت نفسه قوة جديدة ، لان من شأنها اقامة الدليل على المسيح .

منكم وحجب رؤوس الرائين » . دانيال ١٢ : « لا احد من المنافقين يفهم اما العقلاء فيفهمون »؛ وفي هوشع ، نهاية الفصل الاخير : « من هو حكيم فيفهم هذه ، وفهيمٌ فيعلمها .. الخ » .

« فصارت لكم رؤيا الجميع كاقوال كتاب مختوم يناولونه لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانهُ مختوم » .

وقال السيد : بما ان الشعب يتقرب الي بفيه ويكرمني بشفتيه وقلبه بعيد عني (هنا يقوم السبب وتقوم العلة ، لانهم لو عبدوا الله من القلب لفهموا النبوءات) وانما مخافته لي وصية بشر تعلموها ، لذلك هاءنذا اعود اضع بهذا الشعب عجباً عجاباً فحكمة حكمائه تضمحل وعقل عقلائه يعتكر .

نبوءات — براهين الالوهية — اشعيا ٤١ : « ان كنتم الهة هاتوا دعواكم وبينوا لنا الحوادث ، بينوا السالفات ما هي فنتأملها ونعلم منتهاها ، او اسمعونا المستقبلات ، بينوا ما سيأتي فنعلم انكم آلهة ، وافعلوا خيرًا او شرًا فننظر جميعاً ونرى . ها انكم من لا شيء وعملكم ليس بشيء ، انما يختاركم ذو الرجس . من اخبر من الاول حتى نعلم ، ومن قبل حتى نقول هو صادق ، ولكن ليس من مخبر ولا مسمع و سامع لاقوالكم » .

اشعيا ٤٢ : « انا الرب وهذا اسمي ولا اعطي مجدي لآخر . الاوائل قد اتت فانا اخبركم بالمحدثات واسمعكم بها قبل ان تنبت . انشدوا للرب نشيدًا جديدًا تسبيحة له من اقاصي الارض .

« ليأت الى هنا هذا الشعب الذي له اعين ولا يرى ، وآذان فلا يسمع ، فتجتمع الامم كلها . من منها — ومن الهتها — يحدثكم عن السالفات والمستقبلات ؟ فلتبرز شهودها للتبرير ، او فلتسمع كلامي وتعترف ان الحقيقة حيث انا . « انتم شهودي » يقول الرب ، « انتم وعبدي الذي اخترته حتى تعرفوني وتؤمنوا اني انا هو » .

« اني اخبرت وخلصت وتنبأت وانتم شهودي اني انا الله» ، اني لاجلكم حطمت بابل ، انا الذي قدستكم وبرأتكم ، ونهجت لكم طريقاً في البحر

والانهر ، وهدمت للابد اعداءكم الأقوياء . لا تتذكروا الاوائل ولا تتأملوا القدائم .

« هاءنذا آتي بالجديد فينشأ الآن .

«وستعرفونه : اجعل في البرية طريقاً وفي القفر انهارًا . قد جبلت هذا الشعب ليحدث بحمدي الخ .

« انا الماحي معاصيك لاجلي ، وخطاياك لا أذكرها ، ذكّرني فنتحاكم معاً وتكلم انت لكي تبرئ نفسك . ابوك الاول خطئ وسطاؤك عصوني » .

اشعيا ٤٤ : « انا الاول وانا الآخر ، يقول الرب ، من عادل نفسه بي فليحدث عن نظام الاشياء منذ انشأت الاوائل ، وليحدث عن الآتي ، لا تخافوا ، الم اسمعكم بجميع هذا ، انتم شهودي » .

نبوءة قورش . اشعيا ٤٥ : ٤ : « لاجل يعقوب مختاري دعوتك باسمك » .

اشعيا ٤٥ : ٢١ : « اخبروا وابينوا ، ليتشاوروا معاً ، من اسمع بهذه من القديم واخبر بها من ذلك الزمان ، اليس اياي انا الرب ؟ »

اشعيا ٤٦ : « اذكروا الأوائل منذ الدهر فاني انا الله وليس آخر ، انا الله وليس مثلي ، المخبر منذ البداءة بالنهاية . ان مشيئتي تثبت واصنع كل ما اشاء » .

اشعيا ٤٧ : « انا قبل ان يحدث الامر انبأتك به ، واني لانبئك بامور جديدة قبل ان تحدث » .

اشعيا ٤٨ : ٣ : « اني اخبرت بالاوائل منذ ذلك الوقت فحدثتْ ، لعلمي بانك قاس ورقبتك عضل من حديد وجبهتك من نحاس . اخبرتك منذ ذلك الوقت ومن قبل ان يحدث اسمعتك لئلا تقول صنمي صنعها ومسبوكي امر بها . قد سمعت فانظر كلها . وانتم افلا تخبروني ؟ وقد اسمعتك بمحدثات منذ الآن وبمكنونات لم تعرفها ، الآن خلقت لا من ذلك الوقت وقبل اليوم لم تسمع بها لئلا تقول هاءنذا قد عرفتها . فاني اعرف انك تغدر غدرًا ومن البطن سميت عاصياً » .

رذل اليهود وارتداد الامم . اشعيا ٦٥ : « اني اعتلنت لمن لم يسألوا عني ووجدت لمن لم يطلبوني . قلت هاءنذا لأمة لم تدعَ باسمي . بسطت يدي النهار كله نحو شعب عاص يسلكون طريقاً غير صالح وراء افكارهم ، شعب يغضبونني في وجهي كل حين بالمعاصي ، ويذبحون الذبائح للاصنام الخ ... اولئك دخان يتبدد في ساعة غضبي الخ ... سأجمع آثامكم وآثام ابائكم وسأكيل اعمالكم الى احضانكم » .

هكذا قال الرب : « كما توجد السلاف في عنقود فيقول قائل : لا تتلفه فان فيه بركة ، كذلك اصنع لاجل عبيدي لئلا اتلف الجميع ، وسأخرج من يعقوب نسلاً ومن يهوذا وارثاً لجبالي فيرثها مختاريّ وعبيدي يسكنون هناك ، وأعيّن للسيف غيرهم وتجثون للذبح جميعكم لاني دعوت ولم تجيبوا وتكلمت فلم تسمعوا وصنعتم الشر في عيني » .

لذلك هكذا قال السيد الرب : « ها ان عبيدي يأكلون وانتم تجوعون ، عبيدي يفرحون وانتم تحزنون ، عبيدي يرنمون من طيب القلب وانتم تصرخون من كآبة القلب وتولولون من انكسار الروح .

« وتخلفون اسمكم لعنة لمختاريّ ، ويقتلك الرب ويدعو عبيده باسم آخر . فالذي يتبارك بهذا الاسم على الارض يتبارك باله الحق الخ . لان المضايق الاولى قد نسيت وسترت عن عيني . لاني هاءنذا اخلق سماوات جديدة وارضاً جديدة ، فلا تذكر السالفة ولا تخطر على البال .

« بل تهللوا وابتهجوا الى الابد بما اخلق . فاني هاءنذا اخلق اورشليم ابتهاجاً وشعبها سروراً .

« وابتهج باورشليم واسر بشعبي ولا يسمع منها من بعد صوت بكاء ولا صوت صراخ .

« قبل ان يدعوا اجيب وفيما هم يتكلمون استجيب ، الذئب والحمل يرعيان معاً ، والاسد كبقر يأكل التبن . اما الحية فالتراب يكون طعامها ، ولا يرتكب القتل والعنف في جبل قدسي كله » .

اشعيا ٥٦ : ٣ : « قال الرب : حافظوا على الإنصاف واجروا العدل فقد اقترب خلاصي ان يجيء وبرّي ان يتجلّى . طوبى للإنسان العامل بذلك ، الذي يحافظ على السبت ، ويصون يده من فعل كل شر .

« لا يقل ابن الغريب الذي ينضم الى الرب ان الرب يفصلني عن شعبه ، فانه هكذا يقول الرب للذين يحافظون على سبوتي ويتمسكون بعهدي ، اني اعطيهم في بيتي موضعاً واسماً خيرًا من البنين والبنات ، اسماً ابدياً لا ينقرض » .

اشعيا ٥٩ : ٩ : « انه من اجل آثامنا ابتعد الانصاف عنا ولم يدركنا العدل ، نترقب النور فاذا بالظلمة ، والضياء فاذا بنا سالكون في الديجور ، نتحسس الحائط كالعمي ونتلمس كمن لا عين له ، نعثر في الظهيرة كما في العتمة ونحن في الاصحاء كاننا اموات .

« نزأر كلنا كالادباب ونهدر كالحمام، نترقب الإنصاف ولا يكون ، والخلاص وقد ابتعد عنا » .

اشعيا ٦٦ : ١٨ : « فاني عالم باعمالهم وافكارهم ، قد حان ان احشر جميع الامم فيأتون ويرون مجدي ، واجعل بينهم آية ، وابعث ناجين منهم الى الامم الذين لم يسمعوا بسمعتي ولم يروا مجدي ، فينادون بمجدي بين الأمم ويأتون بجميع اخوتكم » .

ارميا ٧ : « اذهبوا الى مقري الذي بشيلو الذي اسكنت اسمي فيه اولاً وانظروا ما صنعت به بسبب شر شعبي اسرائيل ؛ والآن بما انكم عملتم هذه الاعمال ، يقول الرب ، فسأصنع بهذا البيت الذي دعي باسمي الذي انتم متكلون عليه وبالموضوع الذي اعطيته لكهنتكم كما صنعت بشيلو (لاني نبذته وجعلت هيكلي في موضع آخر) .

« وانبذكم عن وجهي كما نبذت جميع اخوتكم كل ذرية افرائيم (وقد نبذوا بلا رجعة) . وانت فلا تُصلِّ عن هذا الشعب » .

ارميا ٧ : ٢٢ : « ما لكم تكثرون الذبائح ؟ فاني لم اكلم آباءكم ولم آمرهم

يوم اخرجتهم من ارض مصر بتقديم اية محرقة او ذبيحة، وانما امرتهم بهذا الامر قائلاً : « اسمعوا لصوتي فاكون لكم الهاً وتكونوا لي شعباً » .

ارميا ٧ : ٤ : « لا تتكلوا على قول الكذب قائلين : هيكل الرب ، هيكل الرب ، هيكل الرب » .

٧١٤ — اليهود شهود الله . اشعيا ٤٣ : ٩ و ٤٤ : ٨ .

النبوءات التي تمّت . الملوك الثالث ١٣ : ٢ ، الرابع ٢٣ : ١٦ ، يوسف ٦ : ٢٦ ، سفر العدد ٢٣ .

ملاخي ١ : ١١ : ذبيحة اليهود مرذولة ، وذبائح الأوثان .

تنبأ موسى قبل موته بمصير الامم وبرذل اليهود .

وتنبأ بمصير كل سبط من الاسباط .

نبوءات . « سيكون اسمك ملعوناً عند مختاريّ وسأسميهم باسم آخر » . « غلّظ قلوبهم » ، كيف ؟ بدغدغة شهواتهم .

٧١٥ — عاموس وزخريا : باعوا الصدّيق ومن اجل ذلك فلا توجه اليهم الدعوة بعد — يسوع المسيح : خانوه .

لن يذكروا مصر . اشعيا وارميا .

سيتبدد شمل اليهود . اشعيا ٢٧ : ٦ . الناموس الجديد . ارميا ٣١ : ٣٢ .

ملاخي : الهيكل الثاني المجيد ، المسيح يأتي اليه .

٧١٦ — « لقد تنبأتُ به من ذلك الزمان حتى يعلموا اني انا هو » . اشعيا ، هوشع .

٧١٧ — سيكون لداود خلفاء ابدًا . ارميا ٨٣ .

٧١٨ — مُلْك ذرية داود الى الابد . سفر الاخبار الثاني . قال بذلك جميع الانبياء ولم يتحقق زمنياً . ارميا ٢٣ — ٢٠ .

٧١٩ — قد يذهب الظن الى ان الانبياء عندما تنبأوا بان الصولجان لن يخرج من يهوذا انما فعلوا ذلك تملقاً للشعب ، وان نبوءتهم والحالة هذه قد تجلّى كذبها لهيرودس . على ان المعنى الذي توخوه هو غير هذا ، وقد عرفوا بالعكس ان هذه المملكة الزمنية زائلة بدليل قولهم ان بني اسرائيل يقعدون اياماً كثيرة لا ملك لهم ولا رئيس . هوشع ٣ : ٤ .

٧٢٠ — ليس لنا مَلكٌ غير قيصر (يوحنا ١٩ : ١٥) واذن فيسوع كان المسيح ، لانه لم يكن عليهم الا ملك غريب ، ولم يكونوا يريدون ملكاً سواه .

٧٢١ — ليس لنا مَلكٌ غير قيصر .

٧٢٢ — دانيال ٢ : « ان السر الذي يسأل عنه الملك لا يستطيع سحرتك ولا منجموك ان يبينوه . ولكن في السماء إلهاً يكشف الاسرار وقد اعلمك في الحلم ما سيكون في آخر الايام .

« وهذا السر قد كشف لي ، لا لحكمة فيَّ اكثر من سائر الاحياء ، ولكن بوحي من الله ، لكي يعلم المَلك بتعبيره .

« انك ، ايها الملك ، رأيت ، فاذا بتمثال عظيم ، كان هذا التمثال الكبير والكثير البهاء واقفاً امامك ، وكان منظره هائلاً . وكان رأس التمثال من ذهب خالص وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس ، ولكن ساقاه كانتا من حديد وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. وفيما انت راءٍ اذ انقطع حجر لا باليدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما .

« فانسحق الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت هباء فذهبت مع الريح . اما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الارض كلها . هذا هو الحلم . اما تعبيره فهو هذا :

« انت ايها المَلك ملك الملوك ، لان اله السماء آتاك المُلك والقدرة

والسلطان والمجد ، وسلّطك على الجميع ، فانت الرأس الذي من ذهب . وبعدك تقوم مملكة أخرى اصغر منك ، ثم مملكة ثالثة اخرى من نحاس فتتسلط على كل الارض .

« ولكن المملكة الرابعة تكون صلبة كالحديد ، لان الحديد يسحق ويطحن كل شيء . فكما ان الحديد يحطم كذلك هي تسحق وتحطم جميع تلك . وما رأيت من ان القدمين والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فهو ان المملكة تكون منقسمة ويكون فيها من قوة الحديد ومن ضعف الخزف . وما رأيت من ان الحديد مختلط بخزف الطين فهو انهم يختلطون بذراري البشر ولكن لا يلتحم هذا بذاك كما ان الحديد لا يختلط بالخزف .

« وانه في ايام هؤلاء الملوك يقيم اله السماء مملكة لا تُنقَض الى الابد وملكه لا يترك لشعب آخر ، فتسحق وتفني جميع تلك الممالك وهي تثبت الى الابد . اما ما رأيت من ان حجراً انقطع من الجبل لا باليدين فسحق الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب فهو ان الاله العظيم اعلم ما سيكون بعد ذلك . الحلم حق وتعبيره صدق .

« حينئذ خر الملك نبوكدنصر على وجهه وسجد لدانيال الخ » .

دانيال ٨–٨ : « واذ رأى دانيال عراك الكبش والتيس الذي صرعه وتسلط على الارض ، وانكسر قرنه العظيم وطلع من تحته اربعة قرون نحو اربع رياح السماء ، وخرج من واحد منها قرن صغير ثم تعاظم جداً نحو الجنوب والشرق ونحو ارض اسرائيل . وتعاظم حتى على جند السماء واهبط الكواكب وداسها ، وتعاظم حتى على رئيس الجند وبأمره نزعت المحرقة الدائمة وهدم موضع مقدسه .

« ان دانيال اذ راى ذلك طلب تفسيره ، واذا بصوت ينادي : « يا جبرائيل بيّن الر ؤيا لهذا » ، فقال جبرائيل :

« ان الكبش الذي رأيته هو ملك ماداي وفارس ، وتيس المعز هو

ملك ياوان ، والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الاول لتلك المملكة . اما انكساره وقيام اربعة من تحته فهو ان اربع ممالك تقوم من الامة ولكن لا تكون في قوته . وفي آخر ملكها عند تمام المعاصي يقوم ملك وقح الوجه ، عزيز الجانب ، يعتز بقوة ليست قوته ، فيفسد وينجح ، وبدهائه يجعل المكر في يده نافذاً ويدمر كثيرين ويقوم على رئيس الرؤساء ويقتل اخيراً ولكن بغير يد قوية » .

دانيال ٩ : ٢٠ : « وبينما كنت اتكلم واصلي واعترف بخطيئتي وخطيئة شعبي والقي تضرعي امام الرب الهي ، اذا بجبرائيل الذي رأيته في الرؤيا عند البداءة اتاني ولمسني في وقت تقدمة المساء وبث فيّ الفهم وقال : « يا دانيال اني خرجت الآن لاعلمك فتفهم : عند بداءة تضرعاتك جئتك لاخبرك لانك رجل رغائب . فتأمل الكلمة وافهم الرؤيا . ان سبعين اسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لافناء المعصية وازالة الخطيئة وتكفير الاثم والاتيان بالبر الابدي واختتام الرؤيا والنبوءة ومسح قدس القدوسين . (وبعد ذلك لا يكون هذا الشعب شعبك ولا هذه المدينة مدينة قدسك . ويكون قد انقضى زمن الغضب ، وتحل سنوات النعمة الى الابد) .

« فاعلم وافهم . انه من صدور الامر باعادة بناء اورشليم الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً (من عادة العبرانيين ان يقسموا الارقام ويضعوا الاصغر اولاً ، فان مجموع ٧ و٦٢ هو٦٩ . بقي الاسبوع السبعون ، اي السنوات السبع الاخيرة التي سيتكلم عنها فيما بعد) .

« فتعود تبني السوق والسور في ضيق الاوقات ، وبعد الاسابيع الاثنين والستين (التي تلي السبع الأول ، اي ان المسيح يُقتَل بعد الاسابيع التسع والستين اي في الاسبوع الأخير) يُقتَل المسيح ، ويأتي شعب برئيسه فيدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضي .

« والحال انه في اسبوع واحد (الذي هو الاسبوع السبعون الباقي) يبت

للكثيرين عهداً ثابتاً . وفي نصف الاسبوع (اي الثلاث سنوات ونصف السنة الأخيرة) يبطل الذبيحة والتقدمة ، ويكون مدى رجاسة الخراب مذهلاً فيمتد ويستمر على المنذهلين انفسهم حتى الانقضاء » .

دانيال ١١ : « قال الملاك لدانيال : سيقوم من بعد (بعد قورش الذي حدث ذلك في عهده) ثلاثة ملوك في فارس (قمبيز وسمرديس وداريوس) ، والرابع (اكسرسوس) يستغني بغنى اوفر من الجميع وبقوة اعم . ولكن يقوم ملك قدير (الاسكندر) فيوسّع رقعة ملكه ويفعل ما يشاء . غير ان مملكته تنكسر وتنقسم الى اربع ارياح السماء (على ما سبق وقال ٦ : ٦ و٨ : ٨) ولكن لا لعقبه ولا يكون خلفاؤه الاربعة الاساسيون في مثل سلطانه ، لان مملكته ستمزّق الى غيرهم ايضاً .

« ويتقوى ملك الجنوب (بطليموس بن لاغوس) ويكون سلطانه عظيماً ، ولكن ملكاً آخر يقوى عليه ويتسلط (سولوكوس ملك سوريا ، وهو اعظم خلفاء الاسكندر على ما ذكر ابيانوس) .

« وفي انقضاء سنين يتعاهدان ، وتأتي بنت ملك الجنوب (برينيسيا ابنة بطليموس) الى ملك الشمال (انطوخيوس ملك سوريا وآسيا) للمسالمة بينهما .

« ولكنها لا تملك قوة الذراع ولا يقوم نسلها ، لانها تسلم للموت هي والذين اتوا بها وولدها (قتلت برينيسيا وولدها على يد سولوكوس كالينيكوس) .

« ولكن يقوم فرع من اصولها (بطليموس افرجاتوس الذي هو شقيقها من ابيها) ويزحف بجيش ويدخل حصن ملك الشمال ويجري فيهم عمله ويغلب ، ويسبي آلهتهم الى مصر مع مسبوكاتهم والآنية النفيسة من الفضة والذهب (يقول جوستيانوس انه لو لم يستدع هذا الملك الى مصر لاسباب داخلية لكان قضى على سولوكوس قضاءً مبرماً) ويبقى سنوات دون ان يستطيع ملك الشمال شيئاً تجاهه .

« ويرجع ملك الجنوب الى مملكته ، ولكن ابنَيْ ذاك يتهيجان ويجمعان جمهور جيوش كثيرة (سولوكوس سيرونوس وانطيوخوس ماغنوس) تزحف وتجتاح كل شيء .

« فيستشيط ملك الجنوب ويخرج ويقاتل (بطليموس فيليباتور ضد انطيوخس ماغنوس في رافيه) وينتصر ، ويترفع قلبه (ان بطليموس هذا قد دنس الهيكل على ما جاء في يوسفوس) .

« ولكنه لا يعتز فان ملك الشمال (انطيوخس ماغنوس) يرجع ويبرز جمهوراً اكثر من الاول ، ويقوم كثيرون على ملك الجنوب ، ويترفع بنو عتاة شعبك لتمام الرؤيا فيسقطون .

« ويأتي ملك الشمال ويركم تلاً ويأخذ المدن الحصينة فلا تقوم امامه اذرع الجنوب ولا تكون قوة للمقاومة ويفعل كيف يشاء ، ويقف في ارض اسرائيل فتصير تحت يده ، ويطمح الى التسلط على مملكة مصر جميعها (مزدرياً ابيفانيوس الفتى كما قال جوستانوس) فيصالحه ويعطيه بنت النساء (كليوبطره حتى تخون زوجها . يقول ابيانوس انه اذ حاذر ان يستولي على مصر اقتداراً بسبب حماية الرومان لهذا القطر ، فقد عمد الى المداورة والحيلة) وفي نيته ان يفسدها لكنها لا تثبت ولا تكون له ، فيصرف وجهه الى الجزائر ويأخذ كثيراً منها (على ما ورد في ابيانوس) .

« ولكن قائداً عظيماً يحول دون فتوحاته (سيبيون الافريقي) ويرفع العار ، فيرجع الى مملكته ويقتل ويزول (قتله ذووه) .

« ويقوم مكانه من يجيز المختلس في فخر المملكة وفي ايام قلائل ينكسر لا في غضب ولا في قتال ، ويقوم مكانه حقير لا يعطى مزية الملك لكنه يدخل بدسيسة ويحوز المُلك بالتملق ، فتنكسر امامه الجيوش والرئيس الذي سبق ان تعاهد معه ، لانه يمكر به بعد التعاهد معه ، فيدخل خصيب الاقليم ويصنع ما لم يصنع اباؤه ولا اباء ابائه » .

٧٢٣ — **نبوءات** . ان اسابيع دانيال السبعين تنطوي على التباس من حيث البداية بسبب نص النبوءة ومن حيث النهاية بسبب اختلاف المؤرخين . بيد ان الفرق لا يجاوز مايتي سنة .

٧٢٤ — جاء في النبوءات انه في عهد المملكة الرابعة قبل خراب الهيكل الثاني وقبل ان يتقلص سلطان اليهود ، وفي الاسبوع السبعين التي ذكرها دانيال وفي حال قيام الهيكل الثاني ، يهتدي عبدة الاوثان الى معرفة اله اليهود ، فمن احبه خلص من اعدائه وامتلأ من رهبته ومن حبه .

وقد حدث انه في عهد المملكة الرابعة وقبل خراب الهيكل الثاني الخ . تألبتْ جماهير الوثنيين على عبادة الله وعاشوا عيشة ملائكية ، وكرست العذارى بتوليتهن لله وحياتهن ، وانصرف الرجال عن الملاذ . وما عجز افلاطون ان يقنع به نفرًا من الناس قد اقنعتْ به قوة خفية ملايين من البشر بفعل كلمات قلائل .

الاغنياء يتركون ثرواتهم ، والاولاد يهجرون نعيم المنازل الوالدية ليرتحلوا الى خشونة الصحراء (فيلون اليهودي) فاي شيء هو هذا ؟ انه ما تُنبِّئ به من عهد بعيد . انه قبل الفي سنة لم يعبد وثني واحد اله اليهود . وفي الزمن المعين عبدت جماهير اليهود الاله الاحد .

هدمت الهياكل وحتى الملوك خضعوا للصليب ، فاي شيء كل هذا ، انه روح الله ينتشر على المسكونة .

لا وثني منذ موسى إلى المسيح على ما ذكر الربابنة . وجماهير الوثنيين بعد المسيح يؤمنون بكتب موسى ويحفظون منها الجوهر والروح ولا ينبذون الا النافل .

٧٢٥ — **نبوءات** . اهتداء المصريين (اشعيا ١٩:١٩) . مذبح في مصر للاله الحق .

٧٢٦ — **نبوءات** . التلمود: «في تقاليدنا انه عند مجيء المسيح يكون بيت الله المعد لنشر كلمته مليئاً بالاوساخ والنجاسة وتكون حكمة الكتبة فاسدة نخرة . فمن خشوا الخطيئة عندئذ رذلهم الشعب وعدهم مجانين او حمقى» .

اشعيا ٤٩ : «اسمعي لي ايتها الجزائر واصغوا ايها الشعوب من بعيد .

ان الرب دعاني من البطن وذكر اسمي من احشاء امي ، وجعل فمي كسيف ماضٍ وفي ظل يده خبأني وقال لي انت عبدي وبك اتمجد . فقلت اباطلاً تعبت وسدى ، وعبثاً اتلفت قوتي ؟ ان حكمي عند الرب وعملي امامه . والآن قال الرب الذي جبلني من البطن عبداً له لارد اليه يعقوب واسرائيل : ستكون ممجداً في عيني الرب ويكون الله عزتك ، وانه لقليل ان تقيم اسباط يعقوب ، فاني جعلتك نوراً للامم لتكون خلاصي الى اقاصي الارض . هكذا قال الرب للذي هو رذالة النفوس ورجس الامة ، لعبد المتسلطين . ان الملوك والرؤساء يسجدون لك لاجل الرب الامين الذي اختارك .

« وقال لي الرب ايضاً : اني استجبت لك في يوم الخلاص والرحمة وجعلتك عهداً للشعوب لتقيم الارض وتورث المواريث المدمّرة ، لتقول للاسرى اخرجوا وللذين في الظلمة ابرزوا فيرعون في الطرق ويكون مرعاهم في كل الروابي . لا يجوعون ولا يعطشون ولا يقرعهم الحر ولا الشمس لأن راحمهم يهديهم والى ينابيع المياه يوردهم . ويجعل جباله طريقاً امامهم . هؤلاء من بعيد يأتون وهؤلاء من الشمال والغرب ، وهؤلاء من الجنوب . فلترنّم السماوات ولتبتهج الأرض لان الرب قد عزى شعبه ورحم البائسين مرتجيه .

« ولكن صهيون تجرأت وقالت : قد خذلني الرب ونسيني . اتنسى المرأة مرضعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ لكن ولو ان هؤلاء نسين لا انساك انا ، يا صهيون ، هاءنذا على كفي رسمتك واسوارك امام عيني في كل حين . قد اسرع بناؤوك ، فهادموك ومخربوك قد خرجوا منك . ارفعي طرفك الى ما حولك وانظري ، قد اجتمعوا كلهم وجاؤوك . حي أنا يقول الرب انك تلبسينهم جميعاً كالحلى وتتقلدين بهم كالعروس . ان اخربتك وبلاقعك وارض دمارك تضيق الآن عن السكان . وايضاً بنو ثُكلك يقولون على مسمع منك ان المكان ضيق عني فلتفسحي لي لاسكن . فتقولين في قلبك من ولد لي هؤلاء وانا ثكلى ، وعقيم ، مُجلاة ومنفية ، ومن ربّى هؤلاء وهاءنذا قد خذلت وحدي فهؤلاء اين كانوا ؟

« فيقول لك الرب: هاءنذا ارفع الى الامم يدي وللشعوب انصب رايتي فيأتون ببنيك في حضونهم وبناتك على اكتافهم يحملن. ويكون الملوك لك مربين، والملكات مرضعات، وعلى وجوههم الى الارض يسجدون لك، ويلحسون تراب قدميك، فتعلمين اني انا الرب الذي لا يخزى منتظروه. اتؤخذ الغنيمة من الجبار او يتفلّت سبي القاهر؟ ولكن ولو اخذت فلا شيء يحول دون ان اخلص بينك وأُهلِك اعداءك ليعلم كل بشر اني انا الرب مخلصك وفادي يعقوب ».

اشعيا ٥٠ : « هكذا قال الرب: اين كتاب طلاق أمّكم الذي سرحتها به، ام لاي من غرمائي بعتكم، انما باعتكم معاصيكم ومن اجلها سرحتها.

فما بالي اتيت وليس من احد، ودعوت وليس من مجيب. افقصرت يدي قصورًا عن الافتداء ولم تكن لي طاقة بالانقاذ؟

هاءنذا بزجري اجفف البحر، البس السماوات كدرة واجعل كسوتها الاحجبة.

قد آتاني السيد الرب لسان العلماء لاعرف ان اعزي بالكلمة من هو في الكآبة، انه نبه اذني الى كلامه فاصغيت اليه كالعلماء. فتح اذني فلم اعاص.

بذلت ظهري للضاربين وخدي للشاتمين، ولم استر وجهي عن التعييرات والبصق، ولكن السيد الرب نصرني، لذلك لم اخجل.

مبرري معي فمن يؤثمني؟ من يخاصمني والرب حاميّ؟ ها ان الناس جميعهم يمضون ويفنيهم الزمن، فليصغ خائفو الله الى كلمات عبده، وليستند الى الهه السالك في الظلمات، اما انتم يا جميع موقدي النار المتنطقين بالشرر، ادخلوا في لهيب ناركم وفي الشرر الذي اضرمتم. هذا لكم من يدي. انكم في الألم تضجعون. »

اشعيا ٥١ : « اسمعوا ايها المقتفون للبر، الملتمسون للرب. انظروا الى

الصخر الذي نُحتّم منه ، والى الجب الذي نزعتم منه . انظروا الى ابراهيم ابيكم والى ساره التي ولدتكم ، فاني دعوته وهو واحد وباركته وكثّرته . انظروا كم من البركات اهلت على صهيون وكم غمرتها بالنعم والعزاء .

« اصغوا الي يا شعبي ، واصيخوا فان الشريعة تخرج مني ، وحكمي اقره نورًا للشعوب» .

عاموس ٨ : ٢ : ويعدد النبي مآثم اسرائيل ثم يقول ان الرب اقسم ان ينتقم من اجلها .

« يقول السيد الرب اني أغيّب الشمس عند الظهيرة واجلب الظلمة على الارض في النهار الضاحي ، واحوّل اعيادكم نوحاً وجميع اغانيكم رثاء واجعلها كمناحة على وحيد واواخرها كيوم مرّ . ها انها ستأتي ايام يقول السيد الرب ارسل فيها الجوع الى الارض لا الجوع الى الخبز ولا العطش الى الماء ، بل الى استماع كلمة الرب . فيتيهون من بحر الى بحر ومن الشمال الى المشرق ويطوفون في طلب كلمة الرب فلا يجدون .

«ويسقط شبانهم وعذاراهم من ذلك العطش، هم الذين اتبعوا اصنام السامرة ، وقالوا حي الهك يا دان ، يسقطون ولا يقومون من بعد . »

عاموس ٣ : ٢ : « اياكم وحدكم عرفت من بين جميع عشائر الارض » .

دانيال ١٢ : ٧ : « بعد ان يصف ملك المسيح في مدى الأزمنة يقول : « فاذا تم تشتيت شعب اسرائيل تتم هذه الاشياء كلها . »

حُجاي ٢ : ٤ : «من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الاول، وكيف ترونه الآن ، اليس هو في عيونكم كلا شيء . فالآن تشدد يا زربابل يقول الرب وتشدد يا يشوع الكاهن العظيم وتشددوا يا جميع شعوب الارض يقول الرب واعملوا وانا معكم يقول رب الجنود ، على حسب الكلمة التي عاهدتكم بها عند خروجكم من مصر وروحي يقيم فيما بينكم ولا تخافوا . اني بعد قليل من وقت، ازلزل السماء والبحر واليبس (هذا الكلام للدلالة

على ما سيحدث من انقلاب عظيم خارق) وازلزل جميع الامم، فيأتي مُتَمنّى جميع الامم فاملأ هذا البيت مجداً ، يقول رب الجنود .

«لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود (معناه انني ليس بهذا اردت ان اتمجد . وقد جاء في موضع آخر : لي جميع بهائم الحقول ، فاي حاجة لي بالمحرقات ؟) . وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول يقول رب الجنود ، وفي هذا الموضع اقيم بيتي» .

سفر التكوين ٤٩:٨: «يهوذا اياك يحمد اخوتك ، يدك على قذل اعدائك ، يسجد لك بنو ابيك ، يهوذا شبل اسد ، من فريسة صعدت يا بني . جثمت كاسد وكلبوءة تستيقظ .

«لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب» .

٧٢٧ — **سحابة بقاء المسيح . احاج . حزقيال ١٧ .**

المبشر به . ملاخي ٣ .

قد ولد لنا ولد . اشعيا ٩ .

يخرج من مدينة بيت لحم . ميخا ٥ . سيظهر على الأخص في اورشليم ويولد من نسل يهوذا وداود .

سيعمي بصائر الحكماء والعلماء، اشعيا ٦ و ٨ و ٢٩ الخ . ويبشر الصغار بالانجيل، اشعيا ٢٩ ، ويفتح اعين العميان ويشفي المقعدين ويقود الى النور الضالين في الظلمات، اشعيا ٦١ . يرشد الى الطريق السوي ويعلم الامم ، اشعيا .

لا أحد من المنافقين يفهم النبوءات ، دانيال ١٢ . اما العقلاء ، فيفهمون ، هوشع .

النبوءات التي تمثله فقيراً تمثله سيداً للامم : اشعيا ، زكريا .

النبوءات التي تتنبأ عن الزمن لا تتنبأ عنه الا سيداً لامم ومتألماً ، لا فوق السحب دياناً ، اما التي تمثله دياناً متمجداً فلا تحدد الزمن .

وانه سيكون ضحية من اجل خطايا العالم . اشعيا ٤٩ و ٥٣ .
وانه سيكون حجرًا مختارًا رأس زاوية كريماً . اشعيا ٢٨ : ١٦ .
وانه سيكون حجر صدم وصخر عثار . اشعيا ٨ . وان اورشليم ستصطدم بهذا الحجر .
وان البنائين سوف يرذلون هذا الحجر . المزمور ١١٧ : ٢٢ .
وان الله سيجعل من هذا الحجر رأساً للزاوية .
وان هذا الحجر سيصبح جبلاً عظيماً وسيملأ المسكونة . دانيال ٢ .
وانه سيُرذل ويُضطهد . مزمور ١٠٨، ٨ . ويباع . زكريا ١١ . وانه سيصفع ويذوق انواع العذاب ويسقى مرًا وخلاً . مزمور ٦٨ . ويُطعن . زكريا ١٢. وتسمر يداه ورجلاه ويقتل ويقترعون على ثيابه .
وانه سيقوم من بين الاموات. مزمور ١٥. في اليوم الثالث. هوشع ٦ : ٣ .
وانه سيصعد الى السماء ليجلس الى اليمين. مزمور ١١٠ .
وان الملوك يأتمرون عليه . مزمور ٢ .
وانه اذ يكون عن يمين الاب سينتصر على اعدائه .
ويعبده ملوك الارض وجميع الامم .
وان اليهود سيستمرون كأمة . ارميا .
وانهم يقعدون ولا ملك لهم الخ (هوشع) ولا انبياء (عاموس) بانتظار الخلاص الذي لا يجدونه (اشعيا) .
هوشع ١ : ٩ : « فانكم لستم بشعبي ولا انا لكم ، وسيكون عدد بني اسرائيل كرمل البحر الذي لا يقاس ولا يعد وسيكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم بشعبي » .

٧٢٨ — ما كان ليجوز ان تقام الذبائح خارج اورشليم التي اختارها الرب او ان تؤكل الاعشار خارجاً عنها .
قال هوشع انهم سيبقون ولا ملك لهم ولا ذبيحة ولا اصنام .

٧٢٩ — جاء في النبوءات ان المسيح سيقيم عهداً جديداً ينسي اليهود خروجهم من ارض مصر (ارميا ٢٣ : ٥ — اشعيا ٤٣ : ١٦) ويضع شريعته ليس في الخارج بل في القلوب ، ويقيم رهبته في بواطن القلوب . مَن لا يرى الشريعة المسيحية في كل هذا ؟

٧٣٠ ... وان عبادة الاصنام ستتحطم عندئذ ، وان المسيح سيبيد الاصنام ويدخل الناس في عبادة الله الحق . حزقيال .

وان معابد الاصنام ستهدم ، وانه من مشرق الشمس الى مغربها ستُقرَّب لاسمه تقدمةٌ طاهرة لا بهائم . ملاخي ١ : ١٢ .

وانه سيكون ملك اليهود والامم . هذا الملك الذي يضطهده هؤلاء واولئك ، ويتآمرون على موته ، المتسلط عليهم جميعاً فيبيد شريعة موسى في اورشليم التي كانت قاعدتها ويقيم فيها كنيسته الاولى ويبيد عبادة الاصنام في رومة التي كانت قاعدتها ويجعل منها كنيسته الرئيسية . مزمور ٧١ : ١١ .

٧٣١ — **نبوءات** . وان المسيح يكون على يمين الله الذي يُخضع له اعداءه .

واذن فما كان هو الذي يخضعهم بذاته . مزمور ١٠٩ : ١[١] .

٧٣٢ — « ... وانه عندئذ لا يُعلّم كل واحد قريبه قائلاً : « اعرف الرب ، لان جميعهم سيعرفونه » . ارميا ٣٢ : ٣٤ .

— « فيتنبأ بنوكم » . يوئيل ٢ : ٣٤ .

— اضع روحي وخوفي في قلوبكم . ارميا .

كل هذا واحد . تنبأ ، مفاده تكلم عن الله ليس بالادلة الخارجية بل بشعور باطني مباشر .

٧٣٣ — وانه يُعلّم الناس طرقه . اشعيا ٢ : ٣ .

---

١) يلمع پسكال الى اعتراضات اليهود الذين لا يعترفون بالمسيح ويرون انه وجب ان يكون ملكاً كبيراً وفاتحاً عظيماً .

وما من احد أبدًا جاء قبله او بعده وعلم تعليماً الهياً يماثل هذا او يقاربه .

٧٣٤ — ... وان المسيح يكون صغيرًا في البدء ثم ينمو . دانيال والحجر الصغير[١] .

هب انني لم اسمع قط بالمسيح ، الا انني تجاه هذه النبوءات العجيبة التي ارى انها تمت ، ارى ايضاً ان ذلك حدث الهي . ولو علمت ان تلك الاسفار تنبأت عن مسيح لايقنت انه اتى . واذ ارى انها جعلت زمنه قبل خراب الهيكل الثاني اقول انه اتى .

٧٣٥ — **نبوءات** . وان اليهود يجحدون المسيح ويجحدهم الله بسبب ان الكرمة المختارة لم تعط الا حصرماً ، وان الشعب المختار شعب عاص ناكر الجميل لا يؤمن . اشعيا ٦٥ : ٢ . وان الله يضربهم بالعمى فيتلمسون في الظهيرة كما يتلمس الاعمى في الظلمة ، وان مبشرًا به سيأتي قبله[٢] .

٧٣٦ — وانه سيأتي مخلص يسحق رأس الشيطان ويفتدي شعبه من آثامه . مزمور ١٢٩ : ٨ . وانه سيكون عهد جديد الى الابد ، وانه سيكون كهنوت آخر الى الأبد على رتبة ملكيصادق ، وان المسيح سيكون ممجدًا عظيماً قوياً ، ولكنه من الحقارة بحيث لا يُعرف على حقيقته ، فيُرذل ويُقتل ، وان شعبه الذي انكره لن يكون شعبه بعد ، وان عبدة الاصنام يتقبلونه ويلوذون به ، وانه سيترك صهيون ليملك في صميم الوثنية ، وان اليهود مع ذلك يبقون ابدًا ، وانه سيخرج من صلب يهوذا يوم لا يبقى ثمة ملك .

---

١) دانيال ٢ : ٣٤ : «وفيما انت راءٍ اذ انقطع حجر من الجبل فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما » .

٢) ملاخي ٤ : ٥ : «ها انذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الرهيب» .

القسم الثاني عشر

الدّلائل على المسيح

٧٣٧ — ... ومن اجل هذا اني لارفض سائر الاديان جميعاً . واني لاجد الجواب عن اي اعتراض كان . انه لعدل الا يتكشف اله كلي النقاوة الا لأنقياء القلوب ، ولذلك كان هذا الدين محبباً الي واجد في ادبياته الالهية سنداً كافياً له . بل اجد فيه اكثر من هذا .

اجد بالفعل ، انه منذ ابعد ما يتذكر الناس ، ثمة شعب ما برح باقياً ، هو اعرق الشعوب جميعاً في القدم . لقد انبئ البشر باستمرار انهم في فساد شامل ، على ان ثمة فادياً سيجيء . فان شعباً برمته قد تنبأ به قبل مجيئه ، وان شعباً برمته قد عبده بعد مجيئه . ليس رجل واحد قال هذا ، بل عدد لا عد له من الناس ، وشعب برمته أُعِدّ وما فتئ يتنبأ به سحابة اربعة آلاف سنة ... تبعثرت كتبهم طوال اربعماية سنة .

اني بقدر ما امحصها بقدر ما اكتشف فيها من الحقائق ، ما سبق منها وما لحق . وارى اخيراً هؤلاء ولا اصنام لهم ولا ملوك ، وتلك الشريعة اليهودية المتنبأ عنها وهؤلاء الاشقياء الذين يتبعونها والذين ، وان يكونوا اعداءنا ، الا انهم اروع الشهود على حقيقة تلك النبوءات التي تنبأت حتى عن شقائهم وعماوة قلوبهم .

اجد هذا التسلسل ، وهذا الدين الكلي الالوهية في اسانيده وفي بقائه وديمومته وادبياته ومسلكه وتعاليمه ومفاعيله ، وظلمات اليهود المخيفة والمتنبأ عنها « تتلمسون في الظهيرة » . اشتراع ٢٨ : ٢٩ . — « يناولون الكتاب لمن يعرف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع » . اشعيا ٢٩ : ١٢ . انه فيما

الصولجان ما برح في يد المغتصب الغريب الاول كان ثمة دوي عن مجيء المسيح .

وعلى هذا اني ابسط ذراعي لمحرري الذي بعد ان تُنُبِّئ به طوال اربعة آلاف سنة جاء ليتألم ويموت من اجلي في الازمنة والاحوال جميعها المتنبأ عنها ، وانني بفضل نعمته انتظر الموت بسلام على رجاء ان اتحد به الى الابد . بيد اني احيا بفرح ، أكان في الخيرات التي شاء ان ينفحني بها ، ام كان في الآلام التي يرسلها الي من اجل خيري والتي علمني ان اتحملها على مثاله .

٧٣٨ — ان النبوءات وقد انطوت على علامات مختلفة كان يجب ان تتحقق جميعها عند مجيء المسيح ، فقد وجب ان تحدث تلك العلامات في الوقت نفسه . وهكذا كان يجب ان تقوم المملكة الرابعة عندما تتم اسابيع دانيال السبعون وينزع الصولجان من يهوذا ، وهذا ما حدث دون ما صعوبة ، ثم ان يأتي المسيح ، وقد اتى يسوع وقال انه المسيح ، وكل هذا حدث ايضاً دون ما صعوبة ، وهو الدليل على صحة النبوءات .

٧٣٩ — الانبياء تنبأوا ولم يُتَنَبَّأ بهم . القديسون تُنُبِّئ بهم ولم يتنبأوا . اما المسيح فقد تُنُبِّئ به وتنبأ .

٧٤٠ — المسيح ينظر اليه العهدان ، العهد القديم ، على انه مرتجاه ، والجديد على انه مثاله ، والعهدان معاً على انه مركز كليهما .

٧٤١ — اقدّم اسفار العالم موسى وايوب ، احدهما يهودي والآخر وثني ، ينظر كلاهما الى المسيح على انه غرضه ومركزه المشترك : موسى بايراده وعود الله لابرهيم ويعقوب الخ ... ونبوءاته ، وايوب : « من لي بان تكتب اقوالي ومن لي بان ترقم في سفر ؟ اني لعالم بان فاديّ حي واني سأقوم في اليوم الاخير » .

٧٤٢ — لا يتكلم الانجيل عن بتولية العذراء الا حتى مولد المسيح . كل ذلك بالنسبة الى المسيح .

٧٤٣ — **الادلة على المسيح .**
لِمَ حُفِظَ سفر راعوت ؟
وقصة تامار ؟[١]

٧٤٤ — « صلوا لئلا تدخلوا في تجربة » . لوقا ٢٢ : ٤٦ .
في التجربة خطر ، يجرَّبون لانهم لا يصلون .
قال يسوع لبطرس : « وانت متى رجعت فثبت اخوتك » .
ولكنه تقدّم له ان نظر الى بطرس[٢] .
استأذن بطرس في ان يضرب ملخوس وضربه قبل ان يسمع الجواب ، اما يسوع فقد اجاب بعدئذ .

كلمة « الجليل »[٣] التي فاهت بها جماعة اليهود مصادفة عند اتهامهم يسوع امام بيلاطوس افسحت عن مجال لبيلاطوس ليحيل يسوع على هيرودوس ، وبهذا تم السر القائل انه سيحاكم امام اليهود والامم . المصادفة كانت ، في الظاهر ، السبب في ان يتم السر .

٧٤٥ — الذين يجدون صعوبة في ان يؤمنوا يحتجون بان اليهود لم يؤمنوا . يقولون : « اذا كان الامر واضحاً بهذا المقدار فما بالهم لم يؤمنوا » ؟
ان في رفضهم ما يعزز تصديقنا . فلو كانوا على رأينا لكنا اقل ميلاً الى التصديق ولكانت حجتنا اوفى . انه لامر جدير بالاعجاب ان يكون

---

١) يجيب هافيه عن اسئلة پسكال فيقول : « لقد حفظ سفر راعوت بسبب سلسلة المواليد الواردة في نهايته والتي تثبت ، من جهة ، ان داود ولد عوبيد الذي هو ولد بوعز وراعوت ، ومن جهة ثانية ان بوعز خرج من فارص الذي هو ابن يهوذا على ما جاء في قصة تامار (سفر التكوين ٣٨ : ٢٩) وداود اذن ، وبالتالي المسيح (الذي هو من نسل داود بحسب الاناجيل) قد خرج من يهوذا كما وجب ان يخرج منه المسيح على ضوء ما فسرت به نبوءة يعقوب (سفر التكوين ٤٩) فيسوع اذن هو نفسه المسيح .

٢) ساعة انكره ثلاث مرات .

٣) لوقا ٢٣ : ٥ : «وقالوا انه يهيج الشعب اذ يعلم في اليهودية كلها مبتدئاً من الجليل الى هنا » . راجع اعمال الرسل ٤ : ٢٧ : « فانه قد اجتمع في هذه المدينة على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودوس وبيلاطوس البنطي مع الأمم وشعوب اسرائيل » .

اليهود الذين احبوا النبوءات حباً عظيماً اصبحوا من اعظم اعدائها وقد تحققت .

٧٤٦ – ألِفَ اليهودُ العجائبَ الكبيرة الباهرة ، وهم الذين شهدوا خوارق البحر الاحمر ، وارض كنعان على انها لمحة من اعمال مسيحهم العظيمة ، وقد ترقبوا خوارق اروع ليست خوارق موسى الا نماذج عنها .

٧٤٧ – لليهود الجسديين وللوثنيين شقاؤهم ، وللمسيحيين ايضاً . ليس للوثنيين من فادٍ لانهم لا يرتجونه . وليس لليهود من فادٍ لانهم يرتجونه عبثاً . ليس من فادٍ الا للمسيحيين .

٧٤٨ – في ايام المسيح انقسم الشعب : فالروحيون اعتنقوا المسيح ، وبقي القساة ليكونوا شهوداً له .

٧٤٩ – « اذا كان قد تُنبئ بهذا لليهود بوضوح فما لهم لم يؤمنوا ، او كيف لم ينقرضوا اذ تصلبوا امام امر بهذا الوضوح ؟ »

اجيب عن هذا : اولاً ، لقد تنبئ انهم لن يؤمنوا بهذا الحدث الكثير الوضوح ، وانهم لن ينقرضوا وما من شيء كهذا ادعى لمجد المسيح لانه لا يكفي ان يكون ثمة انبياء ، بل وجب ان تحفظ النبوءات دون ما ريبة . والحال الخ ...

٧٥٠ – لو اهتدى اليهود جميعهم عن يد المسيح لما بقي لنا الا شهود تحوم عليهم الريب ، ولو هم ابيدوا لما بقي لنا شهود قط .

٧٥١ – ماذا يقول الانبياء عن المسيح ؟ ابأنه يكون الاله عن يقين ؟ كلا ؛ بل بانه اله متحجب حقاً ، وبانه سيُنكَر فلا يُظَن انه هو ، وبانه سيكون حجر عثرة يتعثر به كثيرون الخ . فلا يأخذن احد علينا قلة الوضوح ، لاننا بهذا نجاهر .

ويقولون : ثمة ظلمات . – لولا هذا لما اصطدمنا بالمسيح . انه احد

مقاصد الانبياء الصريح : اشعيا ٦ : ١٠ : « غلّظ قلب هذا الشعب وثقل اذنيه واغمض عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع باذنيه ويفهم بقلبه » .

٧٥٢ — اول ما تناول تعليمُ موسى الثالوثَ والخطيئة الاصلية والمسيح .

داود شاهد عظيم : ملك ، حكيم ، غفور ، نفس جميلة ، روح طيبة ، مقتدر ، تنبأ وتمت اعجوبته . ان هذا لا نهائي .

كان بحسبه ان يقول انه المسيح لو كانت فيه كبرياء ، لان النبوءات كانت ادل عليه منها على المسيح . كذلك القديس يوحنا .

٧٥٣ — هيرودس صدّق المسيح . وكان قد نزع الصولجان من يهوذا ، ولكنه لم يكن من يهوذا . وكان هذا سبباً في نشأة شيعة خطرة .

لعنة الاغريقيين على الذين يحسبون الازمنة ثلاثة .

كيف وجب ان يكون هو المسيح ، ما دام الصولجان وجب ان يبقى بواسطته في يهوذا الى الابد ، وان يزول الصولجان من يهوذا بمجيئه[1] .

ما احسن ما صُنع هذا ، ليتم القول انهم يسمعون سماعاً ولا يفهمون وينظرون نظراً ولا يفهمون[2] .

٧٥٤ — الانسان الكائن يجعل منك الهاً .

لقد كتب « انكم الهة » . مزمور ٨٠ . والكتاب لا يزول .

« ليست هذه العاهة للحياة بل للموت » .

« لعازر رقد » ثم قال « لعازر قد مات » . يوحنا ١١ : ١١ .

٧٥٥ — الاختلاف الظاهري في الاناجيل[3] .

---

١) اشعيا ٩ : ١٠ : «لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتتبعه الشعوب» .

٢) اشعيا ٦ : ٣

٣) ان پسكال ، في سبيل التوفيق بين الاختلافات الظاهرة في الاناجيل ، كتب « موجزاً عن حياة المسيح » جاء فيه : « والحال ، ان ما كتبه الانجيليون (لاسباب لعل اكثرها ما برح مجهولاً) وفقاً لترتيب لم يراعوا فيه تعاقب الأزمنة ، ندونه نحن بحسب سياق تعاقب الأزمنة فنورد كل آية من كل انجيل بحسب ترتيب حدوثها ، على قدر ما يسمح به ضعفنا . فاذا وجد القارئ في ذلك خيراً فليحمد عليه الله مصدر كل خير ، وما وجده من شر فليغفره لمرضي .

٧٥٦ – ماذا بامكانك ان تضمر سوى الاجلال ، لرجل يتنبأ بوضوح عن اشياء لا تلبث ان تحدث ، ثم يعلن عن مقصده في ان يعمي وينير ويلقي ظلمات على ما يحدث من الامور الواضحة ؟

٧٥٧ – لقد تنبأوا عن زمن المجيء الاول لا عن زمن الثاني لان المجيء الاول وجب ان يكون مخفياً . على ان الثاني يجب ان يكون باهرًا ومن الظهور بحيث ان اعداءه سيعترفون به . ولكن بما انه كان يجب الا يأتي الا محاطاً بالغموض ولكي يتعرف به الذين يتقصون الكتب ...

٧٥٨ – ان الله ، لكي يجعل المسيح قابلاً لان يتعرف اليه الاخيار ويتنكر له الاشرار ، قد جعل النبوءة به على تلك الصورة . لو كانت كيفية مجيئه تُنُبئ بها بوضوح ، لما كان ثمة غموض حتى للاشرار . ولو كان زمن المجيء قد تنبئ به بغموض لكان ثمة غموض حتى للاخيار ، لانهم بسبب سلامة قلوبهم ما كان لهم ان يفهموا ان الميم المقفلة ، مثلاً ، تعني ستماية سنة . ولكن الزمن قد تنبئ به بوضوح ، والكيفية عن طريق الرموز .

وبهذه الطريقة حسب الاشرارُ ان الخيرات الموعود بها مادية فضلّوا ، على رغم ان النبوءة كانت واضحة من حيث الزمن ، اما الاخيار فما كان لهم ان يضلّوا ، لان فهم الخيرات الموعود بها مرده الى القلب الذي يسمي ما يحبه « خيرًا » في حين ان فهم الزمن الموعود به ليس مرده الى القلب . وعلى هذا فان النبوءة الواضحة من حيث الزمن والغامضة في صدد الخيرات لا تخيّب الا الاشرار وحدهم .

٧٥٩ – لقد وجب ان يكون اليهود او المسيحيين اشرارًا .

٧٦٠ – اليهود يرفضونه ، ولكن ليس جميعهم : القديسون يقبلونه لا الجسديون . وليس في هذا ما ينتقص من مجده ، بل انه المظهر الاخير الذي يتمّه. ان السبب الوحيد الذي يتذرعون به في اسفارهم كالتلمود وغيره ، هو ان يسوع المسيح لم يُخضع الشعوب بحد السيف (اليس لهم

غير هذا ما يقولون ؟ يقولون انه قتل ، ولم يخضع الاوثان بقوته ، ولم يُعطنا اسلابهم ولا اعطى الثروات . اليس لهم ما يقولون غير هذا ؟ انني من اجل هذا احبه ولا ارتضي الذي يتصورونه هم). من البيّن انه ما من شيء حال دون ان يرتضوه الا حياته . وهم بهذا الرفض شهود لا غبار عليهم ، فضلاً عن انهم بهذا حققوا النبوءات .

٧٦١ — ان اليهود إذ قتلوه ، حتى لا يرتضوه على انه المسيح ، قد اعطوا آخر دليل على انه المسيح . وهم اذ استمروا على إنكاره قد جعلوا من انفسهم شهوداً لا غبار عليهم . واذ قتلوه مصرّين على انكاره ، قد حققوا النبوءات (اشعيا ٦٠ ، المزمور ٧٠) .

٧٦٢ — ما الذي كان بامكان اليهود ، اعدائه ، ان يصنعوه ؟ انهم لو قبلوه لبرهنوا على انه هو باعتبار ان الامناء على موعد المسيح قد قبلوه ، ولو انكروه لبرهنوا بانكارهم إيّاه على انه هو .

٧٦٣ — اليهود اذ امتُحنوا هل هو الله ، قد اظهروا انه انسان .

٧٦٤ — عانت الكنيسة من المشقة لتبرهن ان المسيح انسان ، ضد الذين انكروه ، ما عانته منها لتبرهن انه اله . والظواهر جزيلة ومتساوية في الحالتين .

٧٦٥ — **مصدر التضاد** . اله مهان ، حتى بالموت على الصليب ، مسيح منتصر على الموت بالموت . طبيعتان في يسوع . مجيئان . حالتان في طبيعة الانسان .

٧٦٦ — رموز . مخلص ، اب ، مقرب ذبائح ، قربان ، قوت ، ملك ، حكيم ، مشترع ، حزين ، بائس ، معَدّ لينشئ شعباً يقوده ويقيه ويدخله الى ارضه ...

يسوع المسيح . فروض . كان له وحده ان ينشئ شعباً عظيماً فيقوده

ويقيته ويدخله مساكن الراحة والقداسة ، ويجعله مقدساً لله ، ويجعل منه هيكلاً لله ، ويرده الى الله ، وينقذه من غضب الله ، ويعتقه من عبودية الاثم المتسلط على الانسان ، ويسن الشرائع لهذا الشعب وينقش تلك الشرائع في قلوبهم ، ويكون تقدمة عنهم لله ، فيضَحّى ويكون تقدمة طاهرة ثم يكون هو نفسه مقرِّب الذبائح ، اذ يقدم ذاته جسداً ودماً تحت اعراض الخبز والخمر ...

« ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ ، لكنك ألبستني جسداً » . بولس الى العبرانيين ١٠ : ٥ . ما سبق وما لحق . جميع اليهود باقون ومتشردون .

٧٦٧ — لا يشارك الا في الاكدار لا في اللذات من كل ما هو على الارض . يحب قريبه ، لكن محبته لا تنحصر في تلك الحدود بل تفيض على اعدائه ، ثم على اعداء الله .

٧٦٨ — يسوع يرمز اليه يوسف : حبيب أبيه ، رسول ابيه لافتقاد اخوته الخ . بريء ، باعه اخوته بعشرين من الفضة ، ثم يصبح سيدهم ومخلصهم ومخلص الغرباء ومخلص العالم . كل هذا ما كان ليحدث لو لم يعتزموا ان يهلكوه ويبيعوه ويجحدوه .

كان يوسف البريء في السجن بين مجرمين ، والمسيح على الصليب بين لصين . تنبأ بالخلاص للواحد وبالموت للآخر تحت المظاهر نفسها . يسوع خلّص المختارين ودان المنبوذين من اجل الآثام نفسها . يوسف تنبأ . المسيح صنع . يوسف طلب الى الذي سيخلص ان يذكره متى عاد الى مجده ، والذي خلصه المسيح طلب اليه ان يذكره عندما يصبح في ملكوته .

٧٦٩ — ما كان اهتداء الاوثان محفوظاً الا لنعمة المسيح . لقد حاربهم اليهود طويلاً دون ما طائل : كل ما قاله سليمان والانبياء عنهم لم يُجْدِ . وما كان للحكماء امثال افلاطون وسقراط ان يفحموهم .

٧٧٠ — بعد ان جاء السالفون الكثر جاء يسوع اخيراً يقول : « هاءنذا

وقد اتت الساعة . كل ما قال عنه الانبياء انه سيحدث في آتي الازمنة اقول لكم ان تلاميذي سيصنعونه . ان اليهود سيرذلون ، وعما قليل ستخرب اورشليم ويدخل الكفرة في معرفة الله . سيصنع تلاميذي هذا بعد ان تكونوا قد قتلتم وارث الكرمة » .

ثم ان الرسل قالوا لليهود « ستحل عليكم اللعنة » وللاوثان « ستدخلون في معرفة الله » . وقد حدث كل هذا .

٧٧١ — جاء يسوع ليعمي سليمي البصر ويهب العميان البصر ، ليشفي المرضى ويترك الاصحاء يموتون ، ليدعو الخطأة الى التوبة ويبررهم ويترك الصلاح في الخطيئة ، ليفعم المعدمين ويترك الفراغ للاثرياء .

٧٧٢ — « افيض روحي على كل بشر » . يوئيل ٢ : ٢٨ .

جميع الشعوب كانت في الالحاد وفي الشهوة ، وها ان الارض تتقد بالمحبة ، فيترك العظماء عظماتهم وتُستشهد العذارى . اين مصدر هذه القوة ؟ ذلك ان المسيح قد اتى ، وهذه هي مفاعيل مجيئه والدلائل عليه .

٧٧٣ — يسوع يهدم اليهود والاوثان :

« امام وجهك يسجد جميع عشائر الامم » . مزمور ٢١ : ٢٨ .

« اعطيك الامم ميراثاً لك » . مزمور ٢ : ٨ .

« ويسجد له جميع الملوك » . مزمور ٧١ : ١١ .

« وجعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلاً » . مزمور ٦٨ : ٢٢ .

٧٧٤ — المسيح للجميع . موسى لشعب واحد .

بورك اليهود بشخص ابراهيم : « وابارك مباركيك » . تكوين ١٢ : ٣ .

ولكن « جميع امم الارض تتبارك في نسله » . تكوين ٢٢ : ١٨ .

« نور ينجلي للامم » . لوقا ٢ : ٣٢ .

« لم يصنع هكذا الى امة من الامم »، قال داود هذا اذ تكلم عن

الشريعة . ولكن عند التكلم عن المسيح يجب ان يقال: « قد صنع هكذا الى كل امة من الامم » .

قال قليل ان تكون الخ . (اشعيا[1]) .

للمسيح وحده ان يكون جامعاً شاملاً . الكنيسة نفسها لا تقدم الذبيحة الا من اجل المؤمنين . المسيح قدم ذبيحة الصليب عن الجميع .

٧٧٥ — في القول ان كلمة « كلكم » تشمل الكل اطلاقاً بدعة ، وفي القول انها تشمل الكل احياناً بدعة .

« اشربوا من هذا كلكم » . متى ٢٦ : ٢٧ . يعتبر البعض انها تشمل الكل . وفي ذلك بدعة .

— « بالذي جميعهم خطئوا فيه » . بولس الى اهل رومية : ٥ : ١٢ . ويستثني البعض اولاد المؤمنين وفي ذلك بدعة .

— علينا الاسترشاد بآباء الكنيسة وبالتقاليد لنعرف متى يكون هذا ومتى يكون ذاك ، فثمة خوف من ان تكون البدعة في ناحية وفي اخرى .

٧٧٦ — « لا تخف ايها القطيع الصغير » . لوقا ١٢ : ٣٢ .

« بخوف ورعدة » .

« لا تخافوا البتة شرط ان تخافوا . ولكن اذا كنتم لا تخشون فاخشوا » .

« من قَبِلني فقد قَبِلَ الذي ارسلني » . متى ١٠ : ٤٠ .

« ما من احد يعرف هذا الا الابن » .

« غمامة من الظل غطت النور » .

كان على القديس يوحنا ان يرد قلوب الآباء الى البنين . لوقا ١ : ١٧ . وعلى المسيح ان يلقي شقاقاً . لوقا ١٢ : ٥١ . ليس من تضاد .

---

١) اشعيا ٤٩ : ٦ : قال قليل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب وترد المحفوظين من اسرائيل . اني قد جعلتك نوراً للامم لتكون خلاصي الى اقاصي الارض .

٧٧٧ — **المفاعيل العامة والخاصة** . ناكرو وجوب النعمة يضلون اذ يقولون عامة حيث لا يصح القول الا انها خاصة[١] ؛ كذلك اشياع كلفينيوس اذ يقولون خاصة حيث لا يصح القول الا انها عامة[٢] (هذا ما بدا لي) .

٧٧٨ — « وكان يخرج اليه جميع اهل بلد اليهودية واورشليم فيعتمدون » . ذلك انهم من جميع فئات البشر .

الحجارة يمكن ان تكون اولاداً لابراهيم . متى ٣ : ٩ .

٧٧٩ — من عرف نفسه شفاه الله وغفر له : «لئلا يتوبوا فتغفر لهم زلاتهم» .

٧٨٠ — ما دان يسوع قط الا وقد استمع . قال ليهوذا : « يا صاحب لأي شيء جئت ؟ » وقال القول نفسه للذي لم تكن عليه حلة العرس . متى ٢٢ : ١٢ .

٧٨١ — ان الرموز الى كلمة الفداء ، كقوله انه يطلع شمسه على الجميع (متى ٥ : ٤٥) ، لا تدل الا على كلّ . على ان الرموز الى الاستثناء كقوله « اليهود المختارون باستثناء الامم » فهي تدل على الاستثناء .

« يسوع فادي الجميع » — اجل ، لانه عرض نفسه ، كرجل يفتدي جميع من يأتون اليه . اما الذين ماتوا في الطريق فمن سوء طالعهم ماتوا ، اما هو فقد عرض عليهم الفداء .

— ان هذا المثل حسن حين يكون الذي افتدى والذي منَع الموتَ شخصين اثنين ولا يصح في المسيح الذي يستطيع الامرين معاً .

— كلا ! لان المسيح بصفة كونه فادياً قد لا يكون سيداً على الجميع ، وهكذا فهو من حيث كينونته في ذاته ، فادي الجميع[٣] .

---

١) بالنسبة الى النعمة التي لا توهب بصورة عامة بل خاصة .

٢) بالنسبة الى الخطيئة (على ما ورد في الفقرة ٧٧٥) التي سقط فيها جميع الناس دون ما استثناء — وهنا يبدو طابع الجانسينيين : الخطيئة عامة والنعمة خاصة .

٣) نورد هنا كلمة جانسينيانوس في هذه النقطة الدقيقة التي اثارت الجدل العنيف في وجه پور روايال ، تلك الكلمة التي بنيت عليها احدى القضايا الخمس التي شجبتها الكنيسة . قال : « ان المسيح فادي الجميع باستثناء الذين استغواهم الاسر فرفضوا الفداء او الذين عادوا بعد الفداء الى العبودية نفسها » .

عندما تقول ان المسيح لم يمت عن الجميع ، فثمة من يميلون فوراً الى الاعتقاد انهم المستثنَون ، فتحملهم على اليأس عوضاً عن ان تحولهم عنه الى الرجاء . ذلك ان الناس يعتادون الفضائل الباطنية بممارستهم تلك العادات الخارجية .

٧٨٢ — الانتصار على الموت (كورنتس ١٥ : ٥٧) .
ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله واهلك نفسه ؟ لوقا ٩ : ٢٥ .
من اراد ان يخلص نفسه يهلكها . لوقا ٩ : ٢٤ .
اني لم آت لاحل ، لكن لأتمم . متى ٥ : ١٧ .
الحملان لا ترفع خطايا العالم ولكني الحمل الذي يرفع الخطايا . يوحنا ١ : ٢٩ .
ان موسى لم يعطكم الخبز من السماء ولم يعتقكم من الاسر ولم يجعلكم في الحقيقة احراراً . يوحنا ٢٦ .

٧٨٣ — ... عندئذ جاء يسوع يقول للناس انه ليس لهم من اعداء الا انفسهم ، وان أهواءهم تفصلهم عن الله ، وانه جاء ليهدم تلك الأهواء ويهب لهم نعمته ليجعل منهم كنيسة مقدسة ، وانه جاء ليرد الى هذه الكنيسة الوثنيين واليهود ، وانه جاء ليحطم اصنام الاولين واوهام الآخرين ، فقاومه جميع الناس ليس بطبيعة شهواتهم فحسب ، بل قاومه جميع ملوك الارض فائتمروا ليزيلوا الديانة الناشئة ، كما جاء في النبوءات (ولهذا ارتجت الامم ... وملوك الارض ... على المسيح) . (مزمور ٢ : ١ و٢) .

كل ما هو عظيم على الارض يتحد ، العلماء والحكماء والملوك . العلماء يكتبون والحكماء يشجبون والملوك يقتلون . وعلى رغم تلك المقاومات جميعها نرى اولئك القوم الساذجين المجردين من القوة يتصلبون في وجه تلك القوى ويُخضعون حتى الملوك والعلماء والحكماء ، ويبيدون الوثنية في الارض كلها . ويحدث كل هذا بفعل القوة التي تنبأت بحدوثه .

٧٨٤ — يسوع لم يقبل شهادة الشياطين ولا شهادة من ليست لهم الدعوة ، بل شهادة الله ويوحنا المعمدان . يوحنا ٥ : ٣٢ : ٣٦ .

٧٨٥ — اعتبر ان المسيح قائم في الكل وفينا نحن : فهو في ابيه كالآب ، وفي اخوته كالاخ ، وفي المعدمين كالمعدم ، وفي الأثرياء كالثري ، وفي الكهنة كالكاهن والعالم ، وفي الامراء كالسيد الخ . لانه ، في مجده ، العظمات كلها ، اذ هو الله ، وهو في حياته الفانية مسكنة وحقارة . وهو من اجل ذلك اتخذ هذه الحالة التعسة ليستطيع ان يكون في جميع الناس ومثالاً لكل الحالات .

٧٨٦ — المسيح في عتمة (العتمة بحسب مدلولها في العالم) هي من الكثافة بحيث ان المؤرخين ، وهم الذين لا يدونون الا الامور الخطيرة في الممالك ، كادوا لا يلمحونه .

٧٨٧ — **في ان يوسفوس وتاسيت وسائر المؤرخين لم يتكلموا قط عن يسوع المسيح.** — ان هذا عوضاً عن ان يكون حجة عليه فهو بالعكس حجة له . والحال ، انه من الثابت ان يسوع المسيح قد وُجد ، وان ديانته قد أحدثت دوياً عظيماً ، وان هؤلاء لم يجهلوا ذلك . فمن البين اذن انهم كتموه عمداً ، او انهم تكلموا عنه فَحُذف او أُبدل .

٧٨٨ — « وقد ابقيت سبعة آلاف » . ملوك الثالث ١٩ : ١٨ .

اني لاحب العباد الذين يجهلهم العالم ويجهلهم الانبياء انفسهم .

٧٨٩ — كما ان يسوع بقي مجهولاً بين الناس ، هكذا بقيت حقيقته بين المذاهب المعتادة ، دون ما فارق خارجي . وهذا هو شأن الاوخارستيا تجاه الخبز العادي .

٧٩٠ — لم يشأ المسيح ان يُقتل بمعزل عن صيغ العدالة ، لان مهانة الموت عن طريق العدالة اعظم منها عن طريق ثورة ظالمة .

٧٩١ — لم يكن من شأن عدالة بيلاطوس الكاذبة الا انها اسلمت يسوع للعذاب . لقد اسلمه للجلد بسبب عدالته الكاذبة ، ثم قتله . كان من الافضل لو قتله اولاً . هذا هو دأب الصديقين الكذبة : انهم يأتون اعمال الخير والشر ليروقوا العالم ، ويظهروا انهم ليسوا للمسيح تماماً لانهم يخجلون به ، ثم انهم امام التجارب والحالات الخطيرة يقتلونه .

٧٩٢ — اي رجل كان له مثل هذا السناء؟ الشعب اليهودي برمته تنبأ به قبل مجيئه . والامم عبدته بعد مجيئه ، وهؤلاء واولئك نظروا اليه على انه لهم نقطة الدائرة .

ومع ذلك ، اي رجل كان اقل استمتاعاً بهذا السناء؟ انه طوال ثلاث وثلاثين سنة عاش ثلاثين سنة محجوباً . وفي خلال ثلاث سنوات وَسَموه بالتدجيل ، نبذه الكهنة والرؤساء واحتقره اصدقاؤه والمقربون اليه ، ثم مات وقد خانه احد اخصائه ، وانكره الآخر وتركه الجميع .

واذن اي قسط كان له من هذا السناء؟ لم يسبق ان رجلاً كان له مثل هذا السناء ، ولم يسبق ان رجلاً لحقه مثل هذا العار . كل هذا السناء لم ينتفع به سوانا ، لتسهل علينا معرفته . اما هو فلم ينل منه شيئاً .

٧٩٣ — المسافة اللامتناهية بين الاجسام والعقول ترمز الى مسافة اقصى في لانهائيتها بين العقول والمحبة ، لانها فوق الطبيعة .

ان ما في العظمات كلها من سناء لا يبهر المنشغلين في مباحث العقل .

عظمة اهل العقل محجوبة عن الملوك والاثرياء والقادة ، عن جميع عظماء المادة هؤلاء .

عظمة الحكمة ، ومصدرها الله وحده ، محجوبة عن الجسديين وعن اهل العقل معاً . تلك مراتب ثلاث مختلفة النوع .

للعباقرة العظام سلطانهم وسناؤهم وعظمتهم وظفرهم وبهاؤهم ، وما هم بحاجة الى العظمات الجسدية التي لا صلة لهم بها . انهم في مرأى البصائر لا الابصار وهذا حسبهم .

للقديسين سلطانهم وسناؤهم ونصرهم وبهاؤهم ، وما هم بحاجة الى العظمات الجسدية او العقلية التي لا صلة لهم بها ، ولا تتناولهم زيادة ولا نقصاناً : انهم في مرأى الله والملائكة لا الاجسام والعقول المستطلعة : وهذا حسبهم .

ان ارخميدس ، بمعزل عن البهاء ، جدير بالاجلال نفسه . فهو لم يخض معارك تقع عليها العين ، ولكنه امدّ بابتكاراته العقول جميعاً . فللّه هو كم سطع امام العقول !

والمسيح ، وهو المجرد من المال ومن اي انتاج علمي باد للعيان ، كان في مرتبة القداسة الخاصة به . فهو لم يأت اختراعاً ولم يملك قط ، ولكنه كان وديعاً صبورًا وقديساً ، قديساً امام الله ، مرعدًا للشياطين ، بريئاً من الاثم ، ولشد ما كان مجيئه محاطاً بعظيم الأبهة وعجيب الجلال في عيون القلب التي ترى الحكمة . ما كان ليجدي ارخميدس ان يدعي الامارة في مصنفاته الهندسية وان يكن في الواقع اميرًا[1] .

وما كان ليجدي السيد المسيح ان يأتي كملك ليسطع في مُلك قداسته . على انه جاء بالبهاء الخاص بمرتبته .

وانه لمن السخف بمقدار ان نستكره وضاعة المسيح ، كما لو انها في منزلة العظمة التي جاء لاظهارها . فلنتأمل في العظمة تلك في حياته وآلامه ، في خمول ذكره وفي موته ، في اختيار اخصائه ، وفي تخليهم عنه ، وفي قيامته الخفية وسائر حالاته ، نرَ انها من الضخامة بحيث لا نجد مجالاً لاستكراه وضاعة ما كانت قط فيها .

علّى ان ثمة من لا تذهلهم الا العظمات الجسدية كأن ليس هناك عظمات عقلية . وآخرون لا تذهلهم الا العظمات العقلية ، كأن ليس في الحكمة عظمات تفوقها تفوقاً لانهائياً .

كل الاجسام والفلك ، والنجوم ، والارض وممالكها لا تساوي ادنى

---

١) يقول بلوتاركوس ان ارخميدس كان نسيباً للملك هيارون . اما شيشرون فيتحدث عنه على انه كان وضيع النسب ، خامل الذكر ، لولا الهندسة .

العقول شأناً، لان العقل يعرف هذا جميعه، ويعرف نفسه في حين ان الاجسام لا تعرف شيئاً .

كل الاجسام مجتمعة ، وكل العقول مجتمعة وكل ما انتجت لا تساوي ايسر نبضة للمحبة . ان هذا من مرتبة اسمى بما لا حد له .

ومن كل الاجسام مجتمعة لا يتيسر ابراز فكرة ولو ضئيلة : ان ذلك محال ومن مرتبة اخرى . ومن كل الاجسام والعقول لا يستطاع ابراز نبضة بالمحبة الحق . ان ذلك محال ومن مرتبة اخرى فائقة الطبيعة .

٧٩٤ — ما للمسيح لم يجئ بصورة مرئية عوضاً عن ان يقيم الدليل على ذاته بالنبوءات السابقة ؟ ما له جعل النبوة عنه بالرموز ؟

٧٩٥ — لو لم يكن المسيح قد جاء الا ليقدّس ، فان الكتاب والاشياء جميعها ترمي الى هذا ، ولاصبح من السهل اقناع الملحدين . ولو لم يكن المسيح قد جاء الا ليعمي لكان مسلكه غامضاً ولعدمنا اية وسيلة لاقناع الملحدين . ولكن المسيح وقد جاء ليكون « قدساً ... وحجر عثرة » على حد قول اشعيا فلا طاقة لنا على اقناع الملحدين ولا طاقة لهم على اقناعنا. ولكننا بالفعل ذاته نقنعهم اذ نقول انه ما من اقناع في مسلكه كله لا من ناحية ولا اخرى .

٧٩٦ — لا يقول المسيح انه من الناصرة ، ليترك الاشرار في العماوة ، ولا يقول انه ليس ابن يوسف .

٧٩٧ — **الادلة على المسيح** . تكلم المسيح عن الامور العظيمة ببساطة يبدو معها انه لم يفكر فيها ، ولكن تكلّم بوضوح يظهر معه ما يعني بها . ان في هذا الوضوح مضافاً الى البساطة لروعةً .

٧٩٨ — اسلوب الانجيل رائع من وجوه متعددة ، منها انه لا ينطوي على طعن بجلادي المسيح واعدائه . والواقع ان الانجيليين ما لجأوا الى شيء من هذا في حق يهوذا او بيلاطوس او اي كان من اليهود .

لو كان المؤرخون الانجيليون قد انساقوا الى هذا الاعتدال عن تصنع ، او تصنعوا في ايراد الكثير من الحوادث ذي الطابع الجميل ، او انهم لم يتكلفوا هذا الاعتدال الا ليلفتوا النظر اليه اذ لم يتجرأوا ان يلاحظوه بانفسهم ، لما عدموا اصدقاء يشيرون اليه . على انهم وقد تصرفوا دون ما تصنع مسوقين بدافع عفوي من التجرد ، فلم يلفتوا اليه نظر احد . واني لموقن بان العديد من هذه الاشياء لم يلاحظه احد الى اليوم ، وهذا ما يدل على بعدهم عن الغرض فيما عملوا .

٧٩٩ — صانع يتحدث عن الثروات ، نائب عام يتحدث عن الحرب وعن الملك الخ . على ان الغني يحسن التحدث عن الثروات ، ويتحدث الملك ببرودة عن هبة عظيمة وهبها . والله يحسن التحدث عن الله .

٨٠٠ — مَن علّم الانجيليين مزايا البطولة التامة في النفس ، ليصفوها بمثل هذا الكمال في شخص المسيح ؟ ما لهم يظهرونه بمظهر الضعف في احتضاره[١] ؟

الا يحسنون وصف ميتة مع رباطة جأش ؟ اجل ، ان القديس لوقا نفسه وصف القوة في ميتة القديس استفانوس بما لم يصف به ميتة المسيح[٢] .

انهم يجعلونه اذن قابلاً للخشية ، قبل ان تحين ضرورة موته ، وبعد ذلك يجعلونه كلي القوة .

ولكنهم عندما يجعلونه شديد الاضطراب ، فذلك عندما يضطرب هو نفسه . وعندما يكون الناس سبباً في اضطرابه فهو كلي القوة .

٨٠١ — **الادلة على المسيح** . ان الافتراض القائل بوجود رسل مداجين افتراض محال . فلنتتبع هذا الافتراض في طول سياقه ، ولنتمثل هؤلاء الرجال الاثني عشر مجتمعين بعد موت يسوع يتآمرون على القول انه بُعث .

---

١) لوقا ٢٢ : ٤١–٤٦ .
٢) اعمال الرسل ٧ .

وانه لقول فيه تطاول على جميع اهل السلطان . ان قلب الناس يجنح بصورة عجيبة الى الخفة والتبديل والوعود والخيرات . فما كان اولى تلك الاغراءات ان تدفع احد اولئك الى نقض قوله السابق ، هذا بالاضافة الى ما تعرضوا له من السجن والتنكيل والموت . فلنتبع هذا كله .

٨٠٢ ــ الرسل اما ان يكونوا خادعين او مخدوعين : ان هذا وذاك من الصعوبة بمكان اذ ليس من الممكن ان تحسب ان إنساناً ما قــد بُعث ...

كان باستطاعة يسوع ان يساندهم اذ كان بينهم ، ولكن بعد ذلك ، من الذي جعلهم يعملون لو لم يظهر لهم ؟

القسم الثالث عشر

المعجزات

٨٠٣ — **بداية**. العجائب تميز بين التعاليم، والتعاليم تميز بين العجائب. ثمة عجائب كاذبة وعجائب حقيقية. يجب ان تكون هناك سمة لمعرفتها والا كانت غير ذات جدوى. والحال انها ليست عديمة الجدوى. بل هي على العكس اساس. والحال يجب ان تأتي القاعدة المنبثقة عن هذا الأساس على وجه لا ينهدم معه البرهان على ان العجائب الحقيقية تعطي الحقيقة وهي الغاية الجوهرية من العجائب[1].

ان موسى اعطى قاعدتين: الاولى ان لا تتم النبوءة. اشتراع ١٨ : ٢٢.[2]
والثانية الا تفضي المعجزات الى عبادة الاوثان. اشتراع : ١٣.
والمسيح اعطى واحدة[3].

اعتراض على القاعدة. التمييز بين الازمنة. قاعدة في زمن موسى، واخرى مختلفة في يومنا هذا.

٨٠٤ — **معجزة**. المعجزة هي نتيجة تفوق طبيعة الوسائل المستعملة لها من حيث القوة. وليست معجزةً النتيجةُ التي لا تفوق طبيعة الوسائل المستعملة لها من حيث القوة. وعلى هذا فان الذين يشفون باستدعاء الشيطان لا

---

١) اي ان القاعدة، يجب ان تكون منطبقة على حقيقة الدين الروحية وهي هدف ذلك الواقع المادي الذي تتكون منه الاعجوبة. فما من اعجوبة ضد الحقيقة.

٢) «ستكون لك هذه العلامة: فان تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع، فذلك الكلام لم يتكلم به الرب الخ».

٣) مرقس ٩ : ٣٨: «ليس احد يصنع قوة باسمي ويقدر للحال ان يقول علي سوءاً».

يأتون معجزة ، لان هذا لا يفوق قوة الشيطان الطبيعية[١] .

٨٠٥ — الركنان ، احدهما داخلي والآخر خارجي ؛ النعمة ، المعجزات ، كلتاهما فائقة الطبيعة .

٨٠٦ — العجائب والحقيقة ضرورية لانه يجب اقناع الانسان بكامله ، روحاً وجسداً .

٨٠٧ — باستمرار كان الناس يتكلمون عن الله الحقيقي او كان الله الحقيقي يكلّم الناس[٢] .

٨٠٨ — يسوع اثبت انه المسيح ، ليس باسناد تعاليمه الى الكتاب والنبوءات ، بل باسنادها ابداً الى معجزاته .

اثبت انه يغفر الخطايا بمعجزة .

يقول المسيح : لا تفرحوا بمعجزاتكم ، بل افرحوا بان اسماءكم مكتوبة في السماوات . لوقا ١٠ : ٢٠ .

اذا هم لم يصدقوا موسى فلن يصدقوا مَن بُعثَ من الاموات .

يعترف نيقودمس ان تعاليم المسيح هي من الله ، بفضل معجزاته : « يا معلم نحن نعلم انك اتيت من الله معلماً لانه لا يقدر احد ان يعمل هذه الآيات التي انت تعملها ما لم يكن الله معه » . يوحنا ٣ : ٢ . فهو لا يحكم في المعجزات عن طريق التعاليم بل في التعاليم عن طريق المعجزات .

لقد كان لليهود تعاليم من الله كما لنا تعاليم من المسيح ، وهي مثبتة

---

١) يقول پسكال في كتابه الى پاركوس : « اني اسمي نتيجة عجائبية الشفاء من مرض بفعل لمس ذخيرة مقدسة ، وشفاء مسكون من الشيطان بالابتهال الى اسم يسوع الخ ... لان هذه النتائج تفوق قوة طبيعة الكلمات التي يتوسلون بها الى الله وقوة طبيعة الذخيرة ، اذ لا هذه ولا تلك باستطاعتها شفاء المرضى وطرد الشياطين . ولكنني لا ارى معجزة في ان يطرد شيطان بفعل الشيطان ، لان استعمال قدرة الشيطان لطرد الشيطان ليست نتيجة تفوق طبيعة الوسائل المستعملة لهـا » .

٢) اي ان التعاليم ، اما انها بقيت سليمة ، واما ان الله ، في حالة الخلاف عليها ، قد تبدّى عن طريق المعجزة .

بالمعجزات ، وكان محظوراً عليهم ان يصدقوا جميع صانعي العجائب ، فضلاً عن انهم أُمروا بان يستشيروا كبار الكهنة ويعتمدوهم دون سواهم .

وعلى هذا فان جميع الاسباب التي لدينا لنرفض تصديق صانعي العجائب هي الاسباب نفسها التي تذرعوا بها تجاه انبيائهم .

على انهم كانوا جد آثمين اذ نبذوا الانبياء بسبب معجزاتهم واذ نبذوا المسيح . ولما كانوا آثمين لو انهم لم يشاهدوا المعجزات . يوحنا **١٥ : ٢٤** : « لو لم اعمل بينهم اعمالاً لم يعملها آخر لما كانت لهم خطيئة » . فالتصديق اذن قائم كله على المعجزات .

وما كانت النبوءة لتسمى معجزة : تكلم القديس يوحنا عن الاعجوبة الاولى في قانا الجليل وعن حديث المسيح الى السامرية اذ كشف حقيقة حياتها الخفية ثم شفى ابن رئيس الملك ، اجل ان القديس يوحنا يسمي ذلك « الآية الثانية » .

٨٠٩ — تآلف العجائب .

٨١٠ — الاعجوبة الثانية يمكن ان يفترض معها حصول الاولى ، ولكن الاولى لا يمكن ان يفترض معها حصول الثانية (شرح النص الوارد في آخر الفقرة ٨٠٨) .

٨١١ — ما كانوا ليخطئوا ان لم يصدّقوا المسيح بمعزل عن العجائب .

٨١٢ — يقول القديس اغوسطينوس : لولا العجائب لما كنت مسيحياً .

٨١٣ — **عجائب** . لكم امقت المتشككين بالعجائب ! ان مونتين يتحدث عنها كما يحسن ، في الفقرتين . يبدو في احديهما حذراً[1] ولكنه يؤمن في

---

١) يبين مونتين كيف ان اكثر المسائل ابتذالاً تتضخم شيئاً فشيئاً في مخيلات الجماهير وتتحول الى معجزات .

الاخرى ويهزأ بالجاحدين[١] . ومهما يكن من امر ، لو كان الحق في جانبهم لافتقرت الكنيسةُ الى الدليل .

٨١٤ — مونتين ينفي العجائب .

مونتين يؤمن بالعجائب .

٨١٥ — ليس من الممكن ان يكون نفي العجائب معقولاً .

٨١٦ — الجاحدون اكثر الناس تصديقاً . يؤمنون بمعجزات فسبازيانوس كيلا يؤمنوا بمعجزات موسى[٢] .

٨١٧ — عنوان : ما السبب في انهم يصدقون كثيرًا من الكذبة الذين يزعمون انهم شاهدوا العجائب ، في حين انهم لا يصدقون احدًا من القائلين ان لديهم علاجات خفية لخلود الانسان واعادة الصبى . انني اذ تأملت في مصدر الثقة التي يوليها الناس هذا العدد من الدجالين الذين يدعون حيازة العقاقير ، حتى ان البعض لا يتورع عن وضع حياته بين ايديهم ، تبين لي ان السبب الحقيقي هو ان ثمة عقاقير حقيقية . فليس من الممكن ان يكون هناك هذا المقدار من العقاقير الكاذبة يوليها الناس هذا المقدار من التصديق ، لو لم يكن بينها ما هو حقيقي . فلو حدث انه لم يكن دواء لاي داء وكانت الادواء جميعها مستعصية الشفاء ، لكان من المستحيل ان يتبادر الى ذهن الناس ان بامكانهم ان يتعاطوا علاجاً . كذلك لو زعم رجل ان باستطاعته ان يمنع الموت ، لما صدقه احد لانه لم يسبق ان حدث ذلك قط . ولكن بما ان ثمة عقاقير كثيرة قد تبين انها حقيقية ، على ما اقره اعاظم الرجال ، فقد مال تصديق الناس الى هذه الناحية . واذ عُرف ان

---

١) وفي معرض مبحث آخر يخلص مونتين الى القول انه لا يجوز انكار امر مهما بدا خارقاً، اذا كنا بمعزل عن العادة وهي خداعة في جوهرها ، لا نملك اي وسيلة للتمييز بين ما هو محتمل وغير محتمل .

٢) اشارة الى ما اورده المؤرخ تاسيت من ان فسبازيانوس شفى مقعداً واعمى بان داس الاول برجليه وطلى عيني الثاني بريقه .

ذلك ممكن فقد استخلصوا ان ذلك كائن . فالشعب يبني استدلاله عادة على القول « ان امرًا ما هو ممكن فهو اذن حادث » وبما ان الامر لا يمكن انكاره بصورة عامة ، لانه يفضي الى آثار خاصة هي حقيقية ، فان الشعب الذي لا يستطيع التمييز بين تلك الآثار الخاصة اياً منها هو الحقيقي ، ينتهي به الامر الى تصديقها جميعاً . كذلك ان ما يجعل الناس يعتقدون بكثير من تأثيرات القمر الكاذبة ، هو ان له ثمة تأثيرات كجزر البحر ومده .

والحال هي على ذلك المنوال فيما خص النبوءات والمعجزات والتكهن عن طريق الاحلام والرقي الخ ... فلو حدث انه لم يكن في كل ذلك شيء حقيقي لما صدق الناس شيئاً منه ، وعليه عوضاً عن ان نخلص الى القول انه ما من معجزات حقيقية قط لانه ثمة معجزات كثيرة كاذبة ، يجب القول ، بالعكس ، انه من الثابت ان ثمة معجزات حقيقية لان ثمة معجزات كاذبة كثيرة ، وانه ليس من معجزات كاذبة الا لان هناك معجزات حقيقية .

يجب ان تكون هذه طريقتنا في الاستدلال بما له علاقة بالدين ، لانه لم يكن في استطاعة الناس ان يختلقوا هذا المقدار من الديانات الكاذبة ، لو لم يكن ثمة ديانة حقيقية . والاعتراض على ذلك هو ان للمتوحشين ديانة . ولكن يمكن الجواب عن هذا الاعتراض انهم قد سمعوا من يحدثهم بالدين الحقيقي ، على ما يستدل من امر الطوفان والختان وصليب القديس اندراوس الخ .

٨١٨ — انني اذ تأملت في مصدر هذا العدد من المعجزات الكاذبة والايحاءات الكاذبة والرقى الخ. تبين لي ان السبب الحقيقي هو ان منها ما هو حقيقي ، لانه ليس من الممكن ان يكون ثمة هذا العديد من المعجزات الكاذبة لو لم يكن ثمة معجزات حقيقية ، او ان يكون هذا العديد من الايحاءات الكاذبة لو لم يكن ثمة ايحاءات حقيقية ، وان يكون هذا العديد من الديانات

الكاذبة لو لم يكن ثمة دين حقيقي . فلو لم يكن قد وُجد كل هذا ، لاستحال على الناس ان يختلقوه ولاستحال اكثر واكثر على غيرهم ان يصدقوه . ولكن بما انه قد حدثت امور عظيمة حقيقية فصدقها اعاظم الرجال ، فكان من تأثير ذلك ان الناس جميعاً اصبحوا مهيأين لتصديق الامور الكاذبة ايضاً .

وعليه عوضاً عن ان نخلص الى القول انه ما من معجزات حقيقية البتة لان ثمة معجزات كاذبة كثيرة ، يجب القول ، بالعكس ، ان ثمة معجزات حقيقية لان هناك معجزات كاذبة كثيرة ، وانه ليس من معجزات كاذبة الا لان هناك معجزات حقيقية ، وانه كذلك ليس من ديانات كاذبة الا لان ثمة ديناً حقيقياً . — الاعتراض على ذلك هو ان للمتوحشين ديناً . ولكن الجواب هو انهم سمعوا بمن يحدثهم عن الدين الحقيقي كما يستدل من صليب القديس اندراوس ، والطوفان والختان الخ . والسبب في ذلك هو ان ذهن الانسان وقد امالته الحقيقة الى هذه الناحية اصبح بالفعل نفسه قابلاً لكل اكاذيب هذه ...

٨١٩ — ارميا ٣٣ : ٣٢ . معجزات الانبياء الكذبة .

المعجزة لا تعني معجزة دائماً .

معجزة تعني خشية ورعدة وهو مفادها في العبرية . ايوب ٣٣ : ٧ . اشعيا ٢١ : ٤ الخ . يقول المسيح انه وجماعته سيكونون آيات ومعجزات . اشعيا ٨ : ١٨ .

٨٢٠ — لو ان الشيطان ماشى التعاليم التي تهدمه لكان منقسماً على نفسه كما قال المسيح . ولو ماشى الله التعاليم التي تهدم الكنيسة لكان منقسماً على نفسه : « كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب » . لوقا ١٧ . لان المسيح كان يعمل ضد الشيطان ويهدم سلطانه على القلوب ويهدم فيه قوة اخراج الشياطين التي هي ظاهرة ذلك السلطان ، ذلك ليثبت مملكة الله . وعليه

اضاف قائلاً : « وان كنت انا باصبع الله اخرج الشياطين فقد اقترب منكم ملكوت الله » . لوقا ١١ : ٢٠ .

٨٢١ — إن بين جرّب وأضَلّ لفرقاً بيّناً . ان الله يجرب ولا يُضل . التجربة تهيئة الفرص التي لا تفرض حتمية الفعل ، حتى اذا كان المجرّب لا يحب الله اتى فعلاً من الافعال . اما الاضلال فهو حمل الانسان على حتمية التقرير واتباع الضلالة .

٨٢٢ — ابراهيم وجدعون : (سمات) فوق التنزيل . عمي اليهود اذ حكموا في المعجزات عن طريق الكتاب . ان الله لم يهمل قط عباده الحقيقيين .

اوثر ان اتبع المسيح دون اي شخص غيره ، لان له المعجزة والنبوءات والتعاليم والديمومة الخ .

٨٢٣ — لو لم يكن ثمة معجزات كاذبة لكان ثمة يقين . ولو لم يكن ثمة قاعدة للتمييز بين المعجزات لاصبحت بدون جدوى ولانعدم اي سبب للإيمان .

والحال انه لا يوجد ، بشرياً ، يقين بشري بل سبب[1] .

٨٢٤ — اما ان يكون الله قد جعل المعجزات الكاذبة تلتبس ، واما انه تنبأ بها . وهو في الحالة هذه وتلك قد ارتفع فوق ما هو فائق الطبيعة بالنسبة الينا ، ورفعنا الى المستوى نفسه .

٨٢٥ — ما كانت المعجزات لتهدي بل لتدين .

٨٢٦ — **اسباب عدم الايمان** . يوحنا ١٢ : ٣٧ : « واذا كان قد صنع امامهم مثل تلك الآيات لم يؤمنوا به ، ليتم قول اشعيا النبي : اعمى عيونهم الخ » .

---

١) اضاف بسكال « بشرياً » اي ان ثمة يقيناً بشرياً بمعنى ان للانسان يقيناً بشرياً ، لكن ليس بالمعنى البشري ، اي ان هذا اليقين ليس مصدره الانسان . ويقابل اليقين سبب ، اي علة او وسيلة لا تنفي العلل والوسائل المعاكسة . ان الايمان يجب الا يكون مناقضاً للعقل ولكن العقل لا يكفي لتشييده .

« قال اشعيا هذا لما رأى مجده وتكلم عنه » . يوحنا ١٢ : ٤١ .

« لان اليهود يسألون الآيات واليونانيين يبتغون الحكمة، اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً » . كورنتس ١ : ٢٢ .

ولكنه مليء بالآيات ومليء بالحكمة . اما انتم (يقول پسكال لليسوعيين) فما تطلبونه هو مسيح غير مصلوب ودين لا آيات فيه ولا حكمة .

ان ما يصرف الناس عن الايمان بالمعجزات الحقيقية انما هو افتقارهم الى المحبة .

يوحنا : « انكم لم تؤمنوا لانكم لستم من القطيع » .

وما يجعل الناس يؤمنون بالمعجزات الكاذبة هو افتقارهم الى المحبة .

اساس الدين المعجزات . ماذا تقول ؟ ايتكلم الله ضد المعجزات ، ضد الاسس التي قام عليها الايمان به ؟

اذا كان ثمة اله فقد وجب ان يكون الايمان به قائماً على الارض . والحال ان معجزات المسيح لم يتنبأ بها المسيح الدجال في حين ان معجزات المسيح الدجال قد تنبأ بها المسيح[1] . فلو لم يكن يسوع هو المسيح لكان اضلّ . ولكن المسيح الدجال لا يمكنه ان يُضل . عندما تنبأ المسيح بمعجزات المسيح الدجال ، فهل حسب انه يهدم معجزاته هو ؟

ان موسى تنبأ بالمسيح وامر الناس ان يتبعوه[2] . اما المسيح فقد تنبأ بالمسيح الدجال ونهى الناس عن ان يتبعوه[3] .

كان من المحال في ايام موسى ان يؤمن الناس بالمسيح الدجال الذي كانوا يجهلون ، ولكن من السهل في ايام المسيح الدجال ان يؤمنوا بالمسيح الذي سبق ان عُرِف .

---

١) متى ٢٤ : ٢٤ : « فسيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة ويعطون علامات عظيمة وعجائب حتى انهم يضلون المختارين لو امكن » .
٢) سفر : الخروج ١٧ : ٥ .
٣) متى ٢٤ : ٢٣ : « ان قال لكم احد ان المسيح ههنا او هناك فلا تصدقوه » .

ليس من سبب للايمان بالدجال الآ وهو سبب للايمان بالمسيح . ولكن في المسيح اسباباً يفتقر اليها الآخر .

٨٢٧ — قضاة ١٣ : ٢٣ : « لو ان الرب اراد ان يميتنا لما كان يرينا كل ذلك » .

حزقيال . سنحاريب ، الملوك الرابع : ١٨ : ١٩ .

ارميا . حننيا النبي الكاذب مات في الشهر السابع .

المكابيون الثاني : الهيكل المعرض للنهب ينقذ باعجوبة .

الملوك الثالث ١٧ : ٢٤ : « فقالت المرأة لايليا (الذي اعاد ابنها حياً): الآن علمت ان كلام الرب فيك حقاً » .

الملوك الثالث ١٧ : ايليا وانبياء البعل .

ما حدث قط في معرض المجادلة بشأن الله الحقيقي وحقيقة الدين ان حصلت معجزة من ناحية الضلال لا من ناحية الحقيقة .

٨٢٨ — نزاع — هابيل ، قايين ، موسى ، السحرة ، ايليا ، انبياء كذبة ، ارميا ، حنانيا ، ميخا ، انبياء كذبة ، يسوع المسيح والفريسيون ، القديس بولس ، بريشوع ، الرسل ، الارواح الشريرة ، المسيحيون وغير المؤمنين . الكاثوليك . الهراطقة . ايليا . احنوخ . المسيح الدجال . الحق يسطع ابداً بالمعجزات . الصليبان (صليب المسيح وصليب اللصين) .

٨٢٩ — يقول المسيح إن الكتب تشهد له[1] ولكنه لا يقول كيف تشهد .

حتى النبوءات ما كانت لتقيم الدليل على المسيح في ابان حياته . وعلى هذا لو لم تكن المعجزات كافيه بمعزل عن التعاليم لما اذنب من لم يؤمنوا به قبل موته . والحال ان الذين لم يؤمنوا به ، اذ هو حي ، كانوا خطأة على ما يقوله هو[2] ولا عذر لهم . فقد وجب اذن ان يكونوا تجاه برهان قد

---

١) يوحنا ٥ : ٣٦–٣٩ .

٢) يوحنا ١٥ : ٢٢ .

تصلبوا دونه وقاوموه . والحال انهم لم تكن لهم الكتب بل المعجزات وحسب . فهي اذن كافية اذا لم تناقضها التعاليم ، ويتحتم تصديقها .

يوحنا ٧ : ٤٠ . الشقاق بين اليهود على ما هو اليوم بين المسيحيين. آمن بعضهم بالمسيح والبعض الآخر لم يؤمن لِما جاء في النبوءات من انه سيولد في قرية بيت لحم . كان عليهم ان يزدادوا يقظة لو لم يكن هذا صحيحاً . لان معجزات المسيح قد جاءت مفحمة ، فقد كان عليهم ان يتأكدوا من تلك المناقضات المزعومة بين تعاليمه والكتاب . وما كان هذا الغموض حجة لهم بل عماوة لبصائرهم . وهكذا فلا عذر لمن يرفضون الاعتراف بمعجزات اليوم بحجة التناقض الخيالي الذي يزعمون انها تنطوي عليه .

قال الفريسيون للشعب الذي آمن بعجائبه : « اما هؤلاء الجميع الذين لا يعرفون الناموس فهم ملعونون ، هل آمن به احد من الرؤساء او من الفريسيين؟ لاننا نعرف انه لم يقم نبي من الجليل » . فاجابهم نيقودمس « ألعلَّ شريعتنا تحكم على انسان ما لم تسمع منه اولاً ؟ (انسان كهذا يأتي المعجزات) » .

٨٣٠ — كان في النبوءات التباس ، وقد زال[١] .

٨٣١ — كان في القضايا الخمس التباس ، وقد زال[٢] .

٨٣٢ — لم يبق من ضرورة للمعجزات لانه سبق ان حدثت معجزات[٣]. ولكن عندما نرى انهم عزفوا عن الاسترشاد بالتقاليد ، وانهم لا يحتجون بغير البابا ، وقد فجئوه ، وانهم بهذا قد نفوا مصدر الحقيقة الصحيح ، وعنيت التقاليد ، وانهم أثّروا في البابا وهو الامين عليها ، فان الحقيقة فقدت حرية الظهور : واذ امسى الناس وهم لا يتكلمون عن الحقيقة فقد تحتم

---

١) صنع المسيح المعجزات .

٢) منذ حدثت معجزة الشوكة المقدسة (Sainte Epine) .

٣) هذا هو المبدأ الذي تذرع به اليسوعيون انكاراً منهم لمعجزة الشوكة المقدسة ، ويجيبهم عنه پسكال .

على الحقيقة نفسها ان تكلم الناس . وهذا ما حدث في زمن آريوس[١] (المعجزات في عهد ديوكلاتسوس وآريوس) .

٨٣٣ — **معجزة** — ان الشعب يستخلص ذلك من نفسه ، ولكن لو وجب ان يعطيك السبب ... من المؤسف ان تكون في الشذوذ عن القاعدة[٢] . عليك ان تكون صارماً وضد الشذوذ . ولكن بما انه من المؤكد ان ثمة شواذًا ، فقد وجب ان يكون حكمك على الشواذ صارماً ولكن صوابياً .

٨٣٤ — « ليس لانكم عاينتم الآيات بل لانكم شبعتم » . يوحنا ٦ : ٢٦ . الذين يتبعون المسيح بسبب معجزاته يمجدون قدرته في جميع المعجزات التي تُحدثها . اما الذين اذ هم يتباهون بانهم يتبعوه من اجل معجزاته ولا يتبعوه بالتالي الا لانه يعزيهم ويشبعهم من خيرات العالم ، فهؤلاء يصمون معجزاته عندما لا تتوافق ومبتغاهم .

« ان هذا الرجل ليس من الله لانه لا يحفظ السبت . وقال آخرون كيف يقدر رجل خاطئ ان يعمل هذه الآيات ؟ » يوحنا ٩ : ١٦ .

ايهما أوضح ؟

هذا البيت ليس من الله ، لان اهله لا يعتقدون ان القضايا الخمس هي في كتاب ينسينيوس . وقول الآخرين : هذا البيت هو من الله لانه قد احدث فيه معجزات غريبة .

ايهما اوضح ؟

« فقالوا للاعمى ماذا تقول انت عن الذي فتح عينيك ؟ فقال لهم انه نبي . فلولا ان هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً » . يوحنا ٩ : ١٧ و ٣٣ .

---

١) هذه الصورة عن الكنيسة تنطوي على مفادين . يتكلم پسكال في الفقرة ٨٦٨ عن القديس اثناسيوس الذي حكم عليه البابا ليباريوس ، وهذا القديس هو تجاه الآريين بمثابة الينسينيين تجاه اليسوعيين . ان آريوس شرع في التبشير في السنة الأخيرة من حكم ديوكلاتيوس (٣١٢) . وقد مات فجأة فاعتبر خصومه هذه الميتة عقاباً عجائبياً .

٢) القاعدة التي يعتمدها اليسوعيون واعترف بها پسكال هي انه لم تحصل معجزات منذ نشأة الكنيسة .

٨٣٥ — في العهد العتيق ، عندما يصرفونك عن الله . وفي العهد الجديد ، عندما يصرفونك عن المسيح . تلك هي الحالات التي يجب ان ينتفي معها ايمانك بالمعجزات ولا تضف اليها حالات اخرى . ايستنتج من هذا انهم على حق في استبعاد جميع الانبياء ؟ كلا لانهم ان لم يستبعدوا الذين انكروا الله اخطأوا ، وان هم استبعدوا الذين لم ينكروا الله اخطأوا ايضاً .

يجب ، حال حدوث المعجزة ، اما الاذعان ، او الاستدلال بدلائل غريبة مناقضة لها .

يجب النظر في هل المعجزة إنكار لله او للمسيح او للكنيسة .

٨٣٦ — ثمة فرق بيّن بين انسان لا يكون للمسيح ويقول انه ليس له ، وآخر لا يكون للمسيح ويتظاهر انه له . ان احدهما يستطيع المعجزات لا الآخر . لانه من الواضح ان احدهما ضد الحقيقة وليس من الواضح ان يكون الآخر ضدها . وهكذا تأتي المعجزات اكثر وضوحاً .

٨٣٧ — وجوب حب الاله الفرد امر هو من الجلاء بحيث لا يحتاج الى المعجزات لاقامة الدليل عليه .

٨٣٨ — المسيح صنع المعجزات ، والرسل بعده . كذلك القديسون الاولون ، بكثرة . وبما ان النبوءات لم تكن قد تمت بعد بل كانت تتم على يدهم فما كان ثمة من شهادة الا شهادة الآيات . لقد جاء في النبوءات ان المسيح سيهدي الامم (اشعيا :٣)، فهل كان لهذه النبوءة ان تتم قبل اهتداء الامم ؟ وكيف كان للامم ان يهتدوا الى المسيح وهم لم يروا نهاية النبوءات التي تقيم الدليل عليه ؟

واذن لم يكن قد تم كل شيء قبل ان يموت ويُبعَث ويهدي الامم. ومن اجل ذلك تحتمت المعجزات في ذلك الزمن . اما الآن فلم تبق حاجة لها في وجه اليهود لان النبوءات ، وقد تمت ، انما هي معجزة مستمرة .

٨٣٩ — « ان لم تؤمنوا بي فآمنوا بالآيات » . لقد احالهم على الاقوى . كان قد قيل لليهود ، كما قيل للمسيحيين ايضاً ، لا يصدقوا الانبياء دائماً[1] . ولكن الكتبة والفريسيين اهتموا بعجائبه وحاولوا الايهام انها كاذبة او انها من صنع الشيطان[2] لانهم وُجدوا امام ضرورة الاقتناع بها لو سلموا انها من الله .

وما نحن اليوم بحاجة الى ذلك التمييز ، على كون التمييز سهلاً : ان الذين لا يجحدون الله ولا المسيح لا يصنعون معجزات الا وهي ثابتة . « ليس احد يصنع قوة باسمي ويقدر للحال ان يقول علي سوءًا » (مرقس ٩ : ٤٨) .

ولكن ما لنا وللتمييز . هذه ذخيرة مقدسة . وهذه شوكة من اكليل مخلص العالم ، لا قدرة عن طريقها لامراء هذا العالم ، تصنع المعجزات بقدرة ذلك الدم الذي اريق من اجلنا . وها ان الله يختار بنفسه ذلك البيت لتسطع فيه قدرته .

وما كان البشر هم الذين يصنعون تلك المعجزات بقوة مجهولة ومريبة نضطر معها الى مشقة التمييز . انه الله نفسه . انها اداة آلام ابنه الوحيد التي ، على كونها موجودة في اماكن متعددة ، قد اختارت هذا المكان ، وأَلَبَّت عليه الناس من كل الجهات لينالوا فيه ذلك الفرج العجائبي من عناء الضنى[3] .

٨٤٠ — للكنيسة ثلاثة اصناف من الاعداء : اليهود الذين لم يكونوا يوماً من جسمها ، والهراطقة الذين انكفأوا عنها ، والمسيحيون الاشرار الذين يمزقونها في الداخل .

---

١) اذا قام فيما بينكم متنبئ او رائي حلم فاعطاكم آية او معجزة ، ولو تمت الآية او المعجزة التي كلمك عنها وقال لك تعال بنا الى آلهة غريبة لم تعرفها فتعبدها ، فلا تسمع كلام هذا المتنبئ او رائي الحلم ... (تثنية الاشتراع : ١٣ : ١–٣) .

٢) مرقس ٣ : ٢٢ .

٣) اشارة الى المعجزات الكثيرة التي تلت شفاء مرغريت پيريه ، اذ كان المرضى يحجون الى مقام الشوكة المقدسة في « پور روايال » .

ان هؤلاء الاخصام بفئاتهم الثلاث المختلفة يحاربونها عادة بطرقهم المختلفة . اما هنا فهم يحاربونها بطريقة واحدة . ولما كانوا جميعهم ينكرون المعجزات وكان للكنيسة ابداً معجزات مضادة لهم ، فقد اصبحت لهم مصلحة واحدة في تنحية المعجزات والتملص منها . وقد لجأوا جميعهم في هزيمتهم الى القول : انه يجب الا نحكم في التعاليم عن طريق المعجزات بل في المعجزات عن طريق التعاليم[1] . لقد كان بين الذين يستمعون الى المسيح فئتان : بعضهم يتبع تعاليمه من اجل معجزاته . وآخرون يقولون[2] ... وكان ثمة فئتان في ايام كلفينوس ... والآن اليسوعيون الخ .

٨٤١ — في معرض الشك تُميِّز العجائب : بين الشعبين اليهودي والوثني ، واليهودي والمسيحي . بين الكاثوليكيين والهراطقة ، بين المفترين والمُفترَى عليهم ، وبين الصليبين .

على انه لا جدوى للمعجزات تجاه الهراطقة ، لان الكنيسة المسندة الى حجة المعجزات ، وهي محور التصديق ، تقول لنا انهم لا ايمان لهم . ولا ريب انهم ليسوا في الايمان الحقيقي ، لان أولى معجزات الكنيسة تستبعد تصديق معجزاتهم . فثمة اذن معجزة ضد معجزة ، والمعجزات الاولى والاعظم شأناً هي من جهة الكنيسة .

تلك الفتيات[3] المذهولات مما يقال انهن في طريق التهلكة ، وان معرفيهن يذهبون بهن الى جنيف ، ويوحون اليهن بان المسيح ليس في الافخارستيا ولا عن يمين الآب ، انهن يعرفن ان كل ذلك كذب ، ويقدمن انفسهن لله على هذه الحال . «وانظر هل في سبيل سوء» (مزمور ١٣٨ : ٢٤) . وما الذي يحدث عندئذ ؟ ان هذا المكان الذي قالوا انه هيكل الشيطان ، قد جعل الله منه هيكله . قالوا انه يجب اخراج الاولاد منه : والله يشفيهم

١) هذا ما كان يواجه به اليسوعيون جماعة « پور رويايال » .
٢) « انما هذا يخرج الشياطين ببعل زبوب » (متى ١٢ : ٢٤) .
٣) راهبات « پور رويايال » .

فيه . قالوا انه مساحة جهنم : والله يجعل منه مقدساً لنعمه . واخيراً يتوعدوهن بكل غضبات السماء وانتقاماتها ، والله يملأهن بانعاماته . لقد وجب ان يكون المرء عديم الفهم ليخلص الى القول انهن في طريق التهلكة .

٨٤٢ — « ان كنت انت المسيح فقل لنا » (لوقا ٢٢ : ٦٦) .

« هذه الاعمال التي اعملها باسم ابي تشهد لي » (يوحنا ٥ : ٣٦) .

« ولكنكم لا تؤمنون لانكم لستم خرافي ، لان خرافي تسمع صوتي » . (يوحنا ١٠ : ٢٦) .

« اية آية تصنع لنراها ونؤمن بك ؟ » (يوحنا ٦ : ٣٠) .

(انهم لم يقولوا له : اي تعليم تعلّم ؟) .

« لا يقدر احد ان يعمل هذه الآيات التي انت تعملها ما لم يكن الله معه » (يوحنا ٣ : ٢) .

مكابيين الثاني ١٤ : ١٥ : « الله الذي يدافع عن ميراثه بآيات بينة » .

« طلبوا منه آية من السماء لكي يجربوه » (لوقا ١١ : ١٦) .

« هذا الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا تعطى له » (متى ١٢ : ٣٩) .

« فتنهد في نفسه وقال : ما بال هذا الجيل يطلب آية ؟ » (مرقس ٨ : ١٢) . كانوا يطلبون الآية بنية سوء .

« ولم يستطع ان يصنع هناك شيئاً من القوات» (مرقس ٦ : ٥) ولكنه وعدهم بآية يونان . وبالآية الكبرى التي لا يقاس غيرها بها ، آية قيامته من الموت .

« ان لم تعاينوا الآيات والعجائب لا تؤمنون » (يوحنا ٤ : ٤٨) .

انه لا يلومهم على كونهم لا يؤمنون دون ان تكون ثمة عجائب ، بل على كونهم لا يؤمنون دون ان يعاينوا العجائب.

« علامات الدجال الكاذبة » يقول القديس بولس في رسالته الى اهل تسالونيكي .

« ويكون مجيئه بعمل الشيطان ليهلك الذين لم يقبلوا محبة الحق، فيرسل الله اليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب » (القديس بولس) .

«ان الرب الهكم ممتحنكم ليعلم هل انتم تحبون الرب» (اشتراع ١٣ : ٣) .

٨٤٣ — ليس بلد الحقيقة هنا ، انها التائهة المجهولة بين الناس . وقد وشحها الله بحجاب يحول دون ان يتعرف اليها من لا يصغون الى صوته .

لقد فُسِحَ المجال للتجديف حتى على الحقائق البينة . فاذا ما أُعلِنت حقائق الانجيل ، اعلنوا ما يناقضها وزادوا المسائل غموضاً ، بحيث يستحيل على الشعب ان يميز بينها . ويسألون : « ماذا لديك حتى نصدقك دون سواك ؟ أية علامة عندك ؟ ليس لديك الا ما لدينا من كلام ؟ لو كان عندك عجائب لارتضينا » . ان وجوب اسناد التعاليم الى العجائب حقيقة يسيئون فهمها ليجدفوا على التعاليم . فاذا حدثت العجائب قالوا ان العجائب لا تفي بمعزل عن التعاليم ، وانها حقيقةٌ اخرى ليجدفوا على العجائب .

لقد شفى يسوع الاعمى وصنع آيات كثيرة يوم السبت . وكان بذلك يعمي الفريسيين[1] القائلين بان الحكم في المعجزات يجب ان يكون عن طريق التعاليم .

« نحن نعلم ان الله كلم موسى ، فاما هذا فلا نعلم من اين هو »[2] . انه لامر رائع الا تعرفوا من اين هو ، ومع هذا فهو يصنع مثل تلك العجائب .

ما تكلم المسيح ضد الله ولا ضد موسى .

اما المسيح الدجال والانبياء الكذبة الذين تنبأ عنهم العهدان العتيق والجديد ، فسيتكلمون جهاراً ضد الله وضد المسيح . من ليس مخفياً[3] ... ومن كان عدواً متحجباً لا يسمح الله بان يأتي المعجزات جهاراً . ما حدث

---

١) الفريسيون هم في نظر پسكال اسلاف اليسوعيين .
٢) يوحنا ٩ : ٢٩ .
٣) اي ان « من ليس مخفياً » سمح الله بان يصنع العجائب .

قط نزاع علني بين فريقين يقول كلاهما انه لله وللمسيح وللكنيسة ، فجاءت المعجزات من ناحية المسيحيين الكذبة ، في حين ان الجهة الاخرى افتقرت الى معجزة .

« قالوا ان به شيطاناً ، وقال آخرون هل يقدر شيطان ان يفتح اعين العميان ؟ » (يوحنا ١٠ : ٢٠) .

ان البراهين التي يستمدها المسيح والرسل من الكتاب ليست ذات تبيان . انهم يقتصرون على القول ان موسى قال ان نبياً سيأتي ولكنهم لا يبرهنون بهذا ان يكون هو ذاك ، وهنا كل القضية . واذن فتلك النصوص لا تفيد الا للدلالة على ان لا تناقض مع الكتاب، وان ليس فيها ما يحمل على النفور ولكنها لا تدل على التوافق . والحال ان في هذا كفاية : انتفاء النفور بالاضافة الى العجائب .

ثمة فرض متبادل بين الله والناس . ولكن يجب علينا ان نجيء . « تعالوا » .

« اي شيء يُصنع لكرمٍ ولم اصنعه لكرمي؟ » (اشعيا ٥ : ٤) . يقول الله في اشعيا « اتهموني ! »

على الله ان يبر بوعوده الخ .

واجب الناس نحو الله ان يقبلوا الدين الذي ارسل . وواجب الله نحو الناس الا يسوقهم الى الضلال . والحال انهم يساقون الى الضلال اذا كان صانعو العجائب يبشرون بتعاليم لا تبدو كاذبة بصورة ظاهرة تجاه المعقول العام ، واذا لم يكن صانع العجائب الاعظم قد سبق ان حذرهم من تصديق هؤلاء .

وعلى هذا ، اذا كان ثمة انقسام في الكنيسة وحدث ان الآريين مثلاً ، الزاعمين انهم يستندون مثل الكاثوليكيين الى الكتاب ، قد صنعوا العجائب لا الكاثوليكيون ، فثمة انسياق الى الضلال .

وكما ان الرجل الذي يُنبئ باسرار الله غير جدير بالتصديق بالاستناد الى سلطانه الشخصي ويحمل الملحدين على الشك ، فان الرجل الذي يقيم

الدليل على اتصاله بالله فيبعث الموتى ، ويتنبأ بالآتي ، وينقل البحار ويشفي المرضى ، فما من ملحد الا ويذعن له ، وما كان جحود فرعون والفريسيين الا نتيجة تصلب فائق الطبيعة .

واذن عندما نرى العجائب والتعاليم الخالصة من الريبة في جانب معاً ، فما في الامر من صعوبة . ولكن عندما نرى العجائب والتعاليم المريبة في جانب واحد ، فقد وجب ان نرى ايهما اكثر وضوحاً . ان المسيح كان موضوع ريبة .

بريشوع الذي عمي[١] . قوة الله تعلو قوة اعدائه .

المُعزِّمون اليهود الذين بهم الارواح الشريرة القائلون « اني اعرف يسوع ، وبولس اعلم من هو ، اما انتم فمن تكونون ؟ »[٢] .

المعجزات في سبيل التعاليم ، لا التعاليم في سبيل المعجزات .

هل نقتنع باية تعاليم اذا كانت المعجزات حقيقية ؟ كلا ، ان هذا لن يحدث أبداً : « ان بَشّرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بَشّرناكم به فليكن مبسلاً »[٣] .

القاعد : يجب الحكم في التعاليم عن طريق المعجزات ويجب الحكم في المعجزات عن طريق التعاليم . كل هذا صحيح ، ولكن لا تناقض فيه .

لانه يجب التمييز بين المواقيت[٤] .

لشد ما انتم مرتاحون الى معرفة القواعد الكلية[٥] ظناً منكم انكم تحدثون البلبلة وتفسدون كل شيء . ستمنعون من هذا يا أبتِ : فالحقيقة واحدة وراسخة .

---

١) اعمال الرسل : ١٣ : ٦–١١ .

٢) اعمال الرسل : ١٩ : ١٥ .

٣) بولس الى اهل غلاطية ١ : ٨ .

٤) اذا كانت التعاليم مريبة فالمعجزات تميز . وان كانت المعجزات مستبهمة فالتعاليم تقرر .

٥) اي انه يجب الحكم في المعجزات عن طريق التعاليم وان الله لا يصنع العجائب منذ انشاء الكنيسة .

انه لمن المحال ، بحكم واجب الله ، ان يعمد انسان الى اخفاء تعاليمه الفاسدة فلا يُظهر الا تعاليم صالحة يقول انها توائم الله والكنيسة ، فيصنع العجائب ليدس في الخفاء تعاليم كاذبة حاذقة : ان هذا يخرج عن طاقة الامكان .

وما هو اقل امكاناً من هذا ان يصنع الله المعجزات ارضاءً لهذا او ذاك وهو العالم بطيات الصدور .

٨٤٤ — سمات الدين الثلاث : الديمومة ، والحياة الصالحة ، والمعجزات . انهم يهدمون الديمومة بالترجيح[١] ، والحياةَ الصالحة بادبياتهم ، والمعجزاتِ بهدمهم إما حقيقتها وإما نتائجها .

فلو صدقناهم لاستغنت الكنيسة عن الديمومة والقداسة والمعجزات . ان الهراطقة ينكرون هذه او ينكرون نتائجها . كذلك هم . ولكن يجب ان يكون قد فقد الصدق من انكرها ، او فقد الصواب من انكر نتائجها .

ما من احد استُشهد من اجل المعجزات التي قيل انها شوهدت[٢] ، لان حماقة الناس قد تنتهي بهم الى الاستشهاد من اجل المعجزات التي يؤمن بها البعض عن طريق التقاليد . ولا يصح هذا في المعجزات التي شوهدت[٣] .

٨٤٥ — ان الهراطقة قد حاربوا ابداً تلك السمات الثلاث التي يفتقرون اليها .

٨٤٦ — **الاعتراض الاول** : ملاك السماء[٤] . لا يجوز الحكم في الحقيقة عن طريق المعجزات بل في المعجزات عن طريق الحقيقة . واذن لا فائدة للمعجزات .

---

١) يعني اليسوعيين .
٢) اي المعجزات الكاذبة على ما يستفاد من عبارة « قيل انها شوهدت » .
٣) اي ان التقاليد قد تعزز الاعتقاد بالمعجزات الكاذبة حتى يصبح ايماناً مطلقاً . على ان الذين شهدوا المعجزات يعرفون اكثر من سواهم ميزتها وخصائصها ويصبحون بالتالي قليلي الثقة .
٤) المإع الى قول القديس بولس (راجع اخر الفقرة ٨٤٣) .

والحال انها تفيد ويجب ان لا تكون ضد الحقيقة . واذن ان ما قاله الاب « لانجاند »[١] من ان « الله لا يسمح بان تسوق المعجزة الى الضلال » ...

اذا حصل نزاع في الكنيسة الواحدة فالمعجزة تقرِّر .

الاعتراض الثاني : « ولكن المسيح الدجال سيعطي علامات » .

ان سحرة فرعون لم يسوقوا الى الضلال . وعلى هذا فلا يمكن القول للمسيح في معرض الحديث عن المسيح الدجال « انك سقتَني الى الضلال »، لان المسيح الدجال سيصنع المعجزات ضد المسيح ، وليس من شأنها اذن ان تضل . فالله ، اما انه لا يسمح بالمعجزات الكاذبة او انـــه سيصنع اعظم منها .

(ان المسيح قائم منذ بدء العالم : وهذا اقوى من جميع معجزات المسيح الدجال) .

اذا حدثت معجزة ، في الكنيسة الواحدة ، من ناحية الضالين ، فثمة انسياق الى الضلال .

ان الانشقاق مرئي والمعجزة مرئية . ولكن الانشقاق ادل على الضلال من المعجزة على الحقيقة : فالمعجزة اذن لا يمكن ان تسوق الى الضلال .

ولكن الضلال ، خارجاً عن الانشقاق ، لا يكون مرئياً بمقدار ما هي المعجزة مرئية ، واذن فقد تسوق المعجزة الى الضلال .

« اين هو الهك ؟ » (المزمور ٤١) . ان المعجزات تظهره ، وتضيئه كالبرق .

٨٤٧ — احدى ترانيم الميلاد المسائية :

« اشرق النور في الظلمة للمستقيمين » (مزمور ١١١—٤) .

٨٤٨ — لئن كانت رحمة الله هي من السعة بحيث انه يرشدنا الى الخلاص حتى في حال تحجبه ، فما بالك بالنور الذي يجب ان نتوقعه لو هو تكشف ؟

---

١) Père Lingendes .

٨٤٩ — هل يُقبَل « لا ونعم »[١] في الايمان كما تقبل المعجزات ؟
(أيّها الاشقياء الذين احوجتموني الى التحدث عن العجائب) .
ايها القضاة الظالمون ، لا تسنوا الشرائع بنت الساعة . بل اقضوا على وفق الشرائع القائمة واحكموا بانفسكم : « ويل للذين يستنون الشرائع الظالمة » .

انكم ، لكي تضعفوا خصومكم ، تجردون الكنيسة من سلاحها .

اذا قالوا ان خلاصنا منوط بالله فهم « هراطقة » . وان قالوا انهم خاضعون للبابا فهو « رياء » . وان قالوا انهم على استعداد للخضوع لمراسمه جميعها ، فما كان ذلك كافياً . وان قالوا ان القتل لا يجوز من اجل تفاحة « فهم يحاربون ادب الكاثوليكيين » . ولئن حدثت بينهم معجزات ، فما كان ذلك دليلاً على القداسة بل هو ، بالعكس ، شبهة هرطقة .

ان السبب في رسوخ الكنيسة هو ان الحقيقة لم تكن موضع نزاع ، واذا كانت قد توزعت فهناك البابا والا فالكنيسة .

٨٥٠ — اما وقد شُجبت القضايا الخمس ، فلم تحدث معجزة لان الطعن لم يتناول الحقيقة[٢] . ولكنّ « السوربون » ... والمرسوم ... انه من المستحيل ان يتنكر للكنيسة من يحبون الله من قلوبهم لشدة ما هي قائمة على اليقين — ومن المستحيل ان يقتنع بالكنيسة من لا يحبون الله .

ان المعجزات هي من القوة بحيث وجب ان ينبه الله انه لا يمكن ان تكون مضادة له . والا لكان من شأنها ان تحدث بلبلة .

وعوضاً عن ان يكون في تلك الفقرات من سفر تثنية الاشتراع : ١٣[٣] ما يضعف حجة المعجزات ، فما من شيء كهذا يقيم الدليل على قوتها .

---

١) اي الجواب بلا او نعم في صدد الحكم الذي شجب القضايا الخمس .
٢) لقد شجبت القضايا الخمس بحد ذاتها من حيث كانت تستوجب الشجب . ولكن حكم « السوربون » ومرسوم البابا كانا موجهين ضد ينسينيوس و « پور روايال » .
٣) يلمح پسكال الى هذا الفصل الذي ورد فيه ان الانبياء الكذبة يصنعون المعجزات .

كذلك فيما خص المسيح الدجال : « فسيقوم مسحاء كذبة ... يعطون علامات وعجائب لكي يضلوا المختارين ايضاً ان امكن» (مرقس ١٣ : ٢٢).

٨٥١ — قصة المولود الاعمى .

ماذا يقول القديس بولس ؟ هل يتحدث عن النبوءات في كل حين ؟ كلا ، بل عن معجزة المسيح . ماذا يقول المسيح ؟ هل يتحدث عن النبوءات ؟ كلا ، لان موته لم يكن قد حققها . ولكنه يقول : « لو لم اعمل بينهم اعمالاً لم يعملها آخر ... » آمِنوا بالاعمال .

تقوم ديانتنا الفائقة الطبيعة على اساسين فائقي الطبيعة : احدهما منظور والآخر غير منظور . فثمة معجزات مع النعمة ومعجزات بمعزل عن النعمة .

ان الناموس اليهودي الذي عومل بحبٍ على انه رمز للكنيسة ، وعومل ببغض لانه لم يكن الا رمزًا ، قد أُنهِضَ اذ اشرف على السقوط حينما كان بجانب الله . انه لرمز .

المعجزات تدل على سلطان الله على القلوب عن طريق السلطان الذي يمارسه على الاجساد .

لم يحدث قط ان ايّدت الكنيسة معجزة بين الهراطقة .

المعجزات سند الدين : فهي قــد ميزت اليهود ، وميزت المسيحيين ، والقديسين والابرياء ، والمؤمنين الحقيقيين .

ان معجزة بين المنشقين ليست مما يُخشى امرها بمقدار ، لان الانشقاق ، وهو اكثر ظهوراً من المعجزة ، يسم ضلالهم بصورة بينة . ولكن حين لا يكون ثمة انشقاق ويكون الضلال موضوع نزاع ، فالمعجزة تميّز .

« لو لم اعمل بينهم اعمالاً لم يعملها آخر »[1] . هؤلاء الاشقياء الذي احوجوني الى التحدث عن المعجزات .

ابرهيم وجدعون يثبتان الايمان بالمعجزات .

---

١) يوحنا ٢٥ : ٢٤ .

يهوديت . واخيراً تكلم الله ابان الاضطهادات الاخيرة .

لئن كان فتور المحبة يترك الكنيسة مفتقرة ، او تكاد ، الى عبدة حقيقيين ، فان المعجزات تحثهم . انه آخر اثر من آثار النعمة .

لو حدثت معجزة لليسوعيين !

عندما تُخيِّب المعجزة امل من حدثت امامهم ، وكان ثمة عدم تناسب بين حالة ايمانهم واداة المعجزة ، فقد وجب ان تحملهم عندئذ على التغير . اما انتم ، فالحال معكم مختلف ، لان ثمــة مجالاً للقول انه اذا كانت الافخاريستيا قد بعثت ميتاً ، فمن الخير ان ينحاز الانسان الى الكلفينية بدل ان يبقى كاثوليكياً . ولكن عندما تأتي المعجزة محققة للآمال ، ويرى الذين ارتجَوا انْ يبارك اللهُ الدواء أنهم نالوا الشفاء بغير دواء ...

الملحدون — ما حدث قط ان بدت علامة من قِبَل الشيطان ولم تقابلها علامة اقوى من قبل الله ، ما لم يكن قد ورد في النبوءات ان ذلك قد يحدث .

٨٥٢ — المضطهدون الظالمون من يحميهم الله بصورة بينة : اذا اخذوا عليكم افراطكم « فهم يتكلمون كالهراطقة » ، وان قالوا ان نعمة المسيح تُميِّز بيننا « فهم هراطقة » ، وان حدثت معجزات « فهو الدليل على هرطقتهم » .

لقد قيل « آمنوا بالكنيسة »[1] ولم يُقَلْ « آمنوا بالمعجزات » ذلك ان الامر الاخير طبيعي لا الاول ، واحدهما بحاجة الى تعليم لا الآخر .

حزقيال — يقولون : « ها هو شعب الله يتكلم بهذا » .

الشريعة اليهودية لم تكن الا الرمز وما كان لها ان تفنى ، ولم تكن الا الرمز وقد فنيت . كانت رمزاً ينطوي على الحقيقة ، وهكذا فقد بقيت الى ان تَعرَّت من الحقيقة .

يا ابتِ الجليل ، ان كل ذلك كان يجري عن طريق الرموز . سائر الاديان تفنى . اما هذه فلا .

---

١) متى ١٨ : ١٧–٢٠ .

للمعجزات خطورة فوق ما يُظَنّ : فقد ساعدت على تأسيس الكنيسة وستساعد على استمرارها حتى المسيح الدجال ، حتى النهاية .

الشاهدان .

في العهدين العتيق والجديد ، تصدر المعجزات من ترابط الرموز[1] . فهي للخلاص ، او لامر لا فائدة منه الا ان يظهر حتمية الخضوع للمخلوقات . رمز السر .

٨٥٣ — يجب الاحتراس في الحكم على المراسم الالهية ، يا ابتِ . القديس بولس في مالطة (اعمال الرسل ١٨) .

٨٥٤ — قسوة اليسوعيين تفوق اذن قسوة اليهود ، لان هؤلاء لم يرفضوا اعتقاد براءة المسيح الا لانهم شكوا في ان تكون معجزاته من الله ؛ في حين ان اليسوعيين الذين ما كان باستطاعتهم ان يشكوا في ان تكون معجزات « پور رويال » من الله ، ما فاتهم ان يشكوا في براءة هذه الجمعية .

٨٥٥ — احسب انهم يؤمنون بالمعجزات . انكم تفسدون الدين إما لمصلحة اصدقائكم او ضد اعدائكم ، وتتصرفون به على هواكم .

٨٥٦ — **في المعجزة** . كما ان الله لم يجعل أسرة اسعد منها ، فليحسن لديه الا يجد احفظ منها لجميله[2] .

١) قد يكون المفاد ان المعجزات « الاساس الخارجي » ترمز الى النعمة « الاساس الداخلي » ، وان المعجزة اما انها تمثل انتصار القوة والخضوع للمخلوقات ، واما انها تهيء لانتصار الايمان .

٢) الماع الى شفاء ابنة شقيقته بلمس الشوكة المقدسة .

القسم الرابع عشر

نبذ في المناظرة

٨٥٧ — **ضياء وظلام** . لو لم يكن للحقيقة دلائل مرئية لكان ثمة فيض ظلام . انه لدليل رائع ان تكون الحقيقة مصونة ابداً في كنيسة وجماعة بشر مرئية . ولو لم يكن في هذه الكنيسة الا شعور وحسب لكان ثمة فيض ضياء . ان الشعور الذي كان ابداً ، انما هو الشعور الحق . وهو الذي كان فيها ابداً ولم يقم شعور كاذب قط .

٨٥٨ — يجب ان يسمى تاريخ الكنيسة ، في حصر المعنى ، تاريخ الحقيقة .

٨٥٩ — انها لمتعة ان تكون في سفينة تضربها العاصفة ، اذ انت موقن انك لن تهلك . ان الاضطهادات التي تنصبّ على الكنيسة هي من الضرب نفسه .

٨٦٠ — بعد هذا المقدار من دلائل التقوى ، جاءهم (الينسينيين) الاضطهاد وهو افضل دلائل التقوى .

٨٦١ — يا لروعة حال الكنيسة حينما تصبح ولا سند لها الا الله !

٨٦٢ — كانت الكنيسة ابداً في نضال مع الاضاليل المتناقضة ، ولكن لم يحدث ان استَجْمعت هذه في وقت معاً ، كما هي الحال اليوم . ولئن هي ازدادت تألماً بسبب كثرة الاضاليل ، فان لها الميزة بان ترى الاضاليل يهدم بعضها بعضاً .

انها تشكو من الامرين كليهما ، ولكنها اكثر ما تشكو من اشياع كليفينيوس بسبب الانشقاق .

من الثابت ان الكثيرين من اشياع الضدّين قد أخطأوا ، فيجب ارشادهم الى الهدى .

ان الايمان يشتمل على عدة حقائق يبدو انها متناقضة . للبكاء وقت ، وللضحك وقت ، (الجامعة ٣ : ٤) . لا تجاوب الجاهل بحسب سفهه لئلا تكون نظيره . جاوب الجاهل بحسب سفهه لئلا يكون حكيماً في عيني نفسه . (الامثال ٢٦ : ٤ و ٥) .

ان مصدر هذا اتحاد الطبيعتين في المسيح ، كذلك العالَمان الاثنان (خلق سماء جديدة وارض جديدة . حياة جديدة وميتة جديدة . كلها اشياء مضاعفة في حين ان الاسماء هي هي) . واخيراً الأنسانان الكائنان في الابرار (لانهم هم العالَمان ، وهم عضو من المسيح وصورة عنه . وعلى هذا فكل الاسماء توائيهم : ابرار ، خطأة ، حي ، ميت ، ميت ، حي ، مختار ، مرذول الخ) .

ثمة عدد كثير من حقائق الايمان والحقائق الادبية تبدو مستكرهة على كونها ثابتة في نظام عجيب . ان مصدر جميع البدع انما هو نفي بعض هذه الحقائق ، ومصدر الاعتراضات التي يواجهنا بها الهراطقة انما هو جهل بعض هذه الحقائق . فيحدث عندئذ انهم ، اذ لا يستطيعون ادراك العلاقة القائمة بين حقيقتين متعاكستين ، يعتقدون ان التسليم باحديهما نفي للاخرى ، فيتمسكون بالواحدة وينفون الاخرى ، ويدور في خلدهم اننا نعمل العكس . والحال ان النفي سبب بدعتهم ، وجهلم اننا نملك الحقيقة الاخرى سبب ما يبدونه من اعتراضات .

المثل الاول : المسيح اله وانسان . ان الآريين ، الذين لا يمكنهم التوفيق بين هذين الواقعين لاعتقادهم انهما غير متوائمين ، يقولون انه انسان : وهم

بهذا كاثوليكيون . ولكنهم ينكرون ان يكون هو الله : وهم بهذا هراطقة . وهم يزعمون اننا ننكر انسانيته : وهم بهذا جهلة .

المثل الثاني : في سر القربان المقدس : نحن نعتقد ان مادة الخبز وقد استحالت الى جسد المسيح ، فهو موجود فيها بالواقع ، هذه احدى حقيقتين . اما الحقيقة الاخرى فهي ان هذا السر انما هو ايضاً رمز الصليب والمجد وتذكار للاثنين . هذا هو الايمان الكاثوليكي الذي يشتمل على هاتين الحقيقتين اللتين تبدوان وكأنهما متعارضتان .

ان هرطقة اليوم ، التي لا تعقل ان يحتوي هذا السر في وقت معاً على وجود المسيح وعلى رمزه ، وان يكون قرباناً وتذكار قربان ، تعتقد انه لا يجوز التسليم باحدى هاتين الحقيقتين دون نفي الاخرى من اجل هذا السبب .

انهم يتمسكون بهذه النقطة الوحيدة وهي ان هذا السر رمزي ، وهم بهذا ليسوا هراطقة . انهم يعتقدون اننا نستبعد هذه الحقيقة ، ومن هنا منشأ اعتراضاتهم على اقوال آباء الكنيسة في هذا الصدد . وهم اخيرًا ينفون وجود المسيح في القربان ، وبهذا هم هراطقة .

المثل الثالث : الغفرانات .

ونرى من اجل ذلك ان اقرب وسيلة للحؤول دون البِدَع ، هي في توضيح تلك الحقائق جميعاً ، وان اقرب وسيلة لدحض البدع هي في اعلانها جميعاً . فما عسى الهراطقة ان يقولوا ؟

٨٦٣ — جميعهم ضالون في سُبُل اخطر ما فيها ان كل واحد منهم يتبع حقيقة . فما كان خطأهم في انهم يتبعون ضلالة ، بل في انهم لا يتبعون حقيقة اخرى .

٨٦٤ — الحقيقة هي من الغموض في هذا الزمن ، والكذب هو من الرسوخ ، بحيث ان الناس ما لم يحبوا الحقيقة يفوتهم التعرف اليها .

٨٦٥ — لئن كان ثمة زمن يجب الجهر فيه بوجود الضدين ، فهو الزمن الذي يأخذون فيه علينا اهمال احدهما[١] . فاليسوعيون واليانسينيون هم اذن على خطإٍ في كتمهما ، وعلى الأخص اليانسينيون لان اليسوعيين هم اكثر جهراً بهما .

٨٦٦ — فئتان من الناس تساويان بين الاشياء : يساوون بين الاعياد وايام العمل ، وبين المسيحيين والكهنة ، وبين الخطايا . ومن هنا ان فئة تستخلص ان ما هو شر للكهنة هو شر للمسيحيين . وثم فئة اخرى تذهب الى ان ما ليس شراً للمسيحيين فهو مباح للكهنة .

٨٦٧ — لو كانت الكنيسة القديمة في الضلال لسقطت الكنيسة ، ولو وجدت فيه اليوم فالامر مختلف ، لان لها حكمة التقاليد السامية التي آلت اليها من يد الكنيسة القديمة ، فخضوعها ومطابقتها للكنيسة القديمة يُرجّح كل شيء ويصححه . بيد ان الكنيسة القديمة لم تكن لتفترض الكنيسة المقبلة ، او تتطلع اليها ، كما نفترض القديمة ونتطلع اليها .

٨٦٨ — ان ما يفسد رأينا في المقارنة بين ما حدث في الزمن الغابر في الكنيسة وبين ما نراه اليوم فيها ، هو اننا ننظر عادة الى القديس اثناسيوس والقديسة تريزيا وغيرهما ، على انهم متوجون بالمجد وانهم اشباه آلهة . الآن وقد جلت الايام الاشياء ، يبدو لنا الامر على هذا الوجه . ولكن هذا القديس العظيم كان اذ اضطهد يدعى اثناسيوس وكانت القديسة تريزيا فتاة بين الفتيات . يقول القديس يعقوب « ان ايليا كان شبيهاً بنا وعرضة لنفس الاهواء » . قال هذا ليزيل اعتقاد المسيحيين الخاطئ ان مَثَلَ القديسين لا يتناسب وحالنا نحن ، فنقول « كانوا قديسين ، على خلاف ما نحن فيه » . واذن ، فما الذي حدث في ذلك الزمن ؟ ان القديس اثناسيوس كان رجلاً يدعى اثناسيوس ، اتُّهِم بالعديد من الجرائم وحُكم عليه في مجامع

١) مثل ذلك القول ان المسيح مات عن الجميع وانه لم يمت عن الجميع .

متتالية احكاماً وافق عليها جميع الاساقفة ثم البابا . ماذا قيل عندئذ للمعارضين لها ؟ قيل لهم انهم يعكرون السلام وانهم سلكوا طريق الانشقاق الخ ...

غيرة ونور . اربع فئات من الناس : غيرة بلا علم ، علم بلا غيرة ؛ لا غيرة ولا علم ، غيرة وعلم . الثلاث الاول حكموا عليه . والاخيرون برأوه واستهدفوا لحرم الكنيسة ، ولكنهم انقذوا الكنيسة .

٨٦٩ — لو جاء القديس اغوسطينوس اليوم ، وكان في ضعف حجة المدافعين عنه ، لما صنع شيئاً . ولكن الله الذي يحسن قيادة كنيسته ارسله قبلاً وذرّعه بالحجة والسلطان .

٨٧٠ — ان الله لم يشأ ان يحلّ بمعزل عن الكنيسة : فكما ان لها قسطها من الاهانة ، شاء ان يكون لها قسطها في المغفرة . انه يُشركها بهذا السلطان على نحو ما يشرك الملك البرلمان . ولكنها اذا حلّت او ربَطت بمعزل عن الله فما هي الكنيسة بعد : كذلك البرلمان ، لان الملك ، ولئن منح احد الناس عفواً ، لقد وجب ان يقترن هذا العفو بالتأييد . ولكن البرلمان اذا ايّد بمعزل عن الملك ، او رفض ان يؤيد ما امر به الملك ، فما هو برلمان الملك ، بل هيئة متمردة .

٨٧١ — **كنيسة . بابا . وحدة . جماعة** . اذا نظرنا الى الكنيسة على انها وحدة ، فالبابا الذي هو رأسها انما هو كل . واذا نظرنا اليها على انها جماعة ، فليس البابا الا جزءًا منها . آباء الكنيسة نظروا اليه تارة بهذه الصفة وتارة بتلك ، وتكلموا عنه على وجوه مختلفة . ولكنهم باثباتهم احدى الحقيقتين لم يستبعدوا الاخرى . الجماعة التي لا تتحول الى وحدة هي بلبلة . والوحدة التي لا ترتهن بالجماعة هي طغيان . ليس من بلد الا فرنسا يجوز فيه القول ان مجمع الكرادلة فوق البابا .

٨٧٢ — البابا هو الاول . اي رجل غيره يعرفه الجميع ؟ واي رجل غيره يعترف به الجميع ، وله السلطان ان يتسرب الى الجسم كله اذ هو

يقبض على الغصن الرئيسي الذي يتسرب الى كل مكان؟ ما كان ايسر ان يتحول هذا الى طغيان! ومن اجل ذلك وضع المسيح لهم هذه الآية: «اما انتم فلستم كذلك»[١].

٨٧٣ — البابا يكره ويخشى العلماء الذين لا يخضعون له عن طريق النذر.

٨٧٤ — يجب الا نحكم فيما هو البابا بالاستناد الى بعض اقوال الآباء، على ما ذهب اليه الروم في احد المجامع، بل الى اعمال الكنيسة والآباء والى القوانين.

«انا والآب واحد»[٢]. «الشهود الثلاثة»[٣]. الوحدة والجماعة: انه لضلال ان نستبعد احدى الحالتين على ما يفعل البابويون الذين يستبعدون الجماعة او اشياع كلڤينيوس الذين يستبعدون الوحدة.

٨٧٥ — هل ثمة ما يشين البابا في كونه يستمد انواره من الله ومن التقاليد؟ او ليس الشين في فصله عن هذا الاتحاد المقدس؟

٨٧٦ — الله لا يصنع العجائب في قيادته العادية لكنيسته. وقد تكون الاعجوبة مستغربة اذا كانت العصمة في واحد. ولكن ان تكون في الجماعة فهذا يبدو جد طبيعي لان تدابير الله مخفية تحت الطبيعة كما هي في سائر صنائعه جميعاً.

٨٧٧ — الملوك يتصرفون بالملك. ولكن الباباوات لا يملكون هذا التصرف.

٨٧٨ — «اقصى الحق هو اقصى الظلم».

الكثرة هي الطريقة الفضلى، لانها مرئية، ولان لها القوة لكي تطاع. على ان هذا رأي أقل الناس حذقاً.

---

١) لوقا ٢٢: ٢٦.
٢) يوحنا ١٠: ٣٠.
٣) رسالة يوحنا ٥: ٨.

انهم لو استطاعوا لجعلوا القوة في يد العدالة : ولكن ، بما ان القوة ليست في الطواعية التي يريدون ، لانها صفة ملموسة ، في حين ان العدالة صفة روحية يتصرفون بها كما يشاؤون ، فقد وضعوها في يد القوة . وعلى هذا فقد سمّوا عادلاً ما تعودوه بالملاحظة .

ومن هنا نشأ حق السيف، لان السيف يعطي حقاً حقيقياً . ولولا هذا لرأينا العنف في جانب والعدالة في آخر . — نهاية الرسالة الاقليمية الثانية عشرة — ومن هنا عدم ارتكاز « الفروند »[1] على اساس العدالة لانها تنصب عدالتها المزعومة في وجه القوة . وما كان الامر على هذا الغرار في الكنيسة ، لان فيها عدالة حقيقة ولا عنف أبداً .

٨٧٩ — ظلم . لا يُقْضَى للقاضي بل للمتقاضي . انه من الخطر ان تقوله للشعب : ولكن الشعب مفرط في ثقته بك . ان هذا لا يؤذيه وقد ينفعك ، ويجب اذن ان تذيعه . « ارع خرافي لا خرافك »[2] . لي عليك المرعى .

٨٨٠ — يحبون ان يكونوا في مأمن . يحبون ان يكون البابا معصوماً في الايمان ، وان يكون العلماء المتزمتون معصومين في الآداب ، ذلك ليكونوا في طمأنينة .

٨٨١ — الكنيسة تعلّم . والله يوحي . وكلاهما بعصمة . عمل الكنيسة لا يفيد الاّ من اجل التهيؤ للنعمة او للادانة . ان ما تعمله يكفي لكي يدين ، لا لكي يوحي .

٨٨٢ — في كل مرة يخدع اليسوعيون البابا ، توسم المسيحية كلها بالحنث .

---

١) La Fronde .

٢) الماع الى القديس يوحنا ٢١ : ١٧ .

انه من السهل ان يخدع البابا بسبب مشاغله وثقته باليسوعيين . واليسوعيون جديرون بالخديعة بسبب النميمة .

٨٨٣ — يا للاشقياء الذين احوجوني الى التكلم في اساس الدين !

٨٨٤ — خطاة مطهرون دون توبة ، ابرار مبررون دون محبة ، وجميع المسيحيين بمعزل عن نعمة المسيح ، الله مجرد عن السلطان على ارادة الناس ، سبْق مصير دون سر ، وفداء دون يقين !

٨٨٥ — يقيمون كاهناً من شاء ان يكون ، كما على عهد ياربعام[١] . انه لامر هائل ان يفرضوا علينا نظام كنيسة اليوم على انه من الصلاح بحيث يبدو تبديله في نظرهم جناية . لقد كان صالحاً حتماً فيما مضى ، وهم يجدون انه امكن تبديله دون ما جناح . واليوم، وهو على ما هو عليه ، لا يسعهم التمني بان يبدل ! لقد سُمح بان يستبدل العرف الذي قضى بالا يختار الكهنة الا بالحذر الشديد بحيث كاد ينعدم اهل الجدارة . افلا يسمح بالشكوى من العرف الذي جعل هذه الكثرة ممن لا جدارة لهم ؟

٨٨٦ — **هراطقة** . حزقيال . جميع الوثنيين رموا اسرائيل بالسوء ، وكذلك النبي . وما ابعد ان يحق للاسرائيليين ان يقولوا له « انك تتكلم كالوثنيين » ، فان قوته الكبرى قائمة على ان الوثنيين تكلموا بمثل كلامه .

٨٨٧ — الينسينيون يشبهون الهراطقة من حيث تقويم الآداب، ولكنكم اشباه لهم بالسوء .

٨٨٨ — انكم لتجهلون النبوءات اذا لم تعرفوا ان كل هذا سيحدث : الامراء والانبياء والبابا وحتى الكهنة ، ومع ذلك فالكنيسة يجب ان تبقى . اننا بنعمة الله لم ننته الى هذا الحد . الويل لهؤلاء الكهنة ! ولكننا نرجو من رحمة الله الا نكون في عدادهم .

---

١) الملوك الثالث ١٢ : ٣١ .

رسالة القديس بطرس ، الفصل الثاني : الانبياء الكذبة في الغابر صورة لامثالهم في الآتي .

٨٨٩ — ... بمعنى انه اذا صح ، من جهة ، ان ثمة بعض الرهبان المتراخين وبعض المُفتين الفاسدين الذين ليسوا اعضاء في التسلسل الكنسي ، قد انغمسوا في الفساد ، فانه من الثابت ، من جهة اخرى ، ان رعاة الكنيسة الحقيقيين ، الذين هم الامناء الحقيقيون على كلمة الله ، قد حفظوها بلا تغير تجاه الذين عملوا على هدمها .

وهكذ فليس للمؤمنين من حجة يتذرعون بها ليتمثلوا بهذا التراخي الذي لا يأتيهم الاّ عن ايدي هؤلاء المفتين الغرباء ، عوضاً عن التعاليم السليمة التي تقدمها لهم ايدي رعاتهم الابوية .

وما كان للكفار والهراطقة ان يروا في هذه التجاوزات ادلة على انعدام عناية الله بكنيسته . اذ ان الكنيسة هي بحصر المعنى في صلب التسلسل ، فلا يصح الاستنتاج من واقع الاشياء ان الله اهملها للفساد في حين انه يعصمها منه على ما يبدو الامر بجلاء لا مزيد عليه اليوم اكثر من اي زمن كان .

والواقع ، انه اذا كان بعض هؤلاء الناس قد استجابوا لدعوة خارقة ، فنذروا ان يتركوا العالم وان يرتدوا الثوب الرهباني ليعيشوا في حالة اكثر كمالاً من حال عامة المسيحيين ، ثم سقطوا في ضلالات يرتعد لها عامة المسيحيين واصبحوا فيما بيننا ما كان عليه الانبياء الكذبة بين اليهود ، فانه وايم الحق مصاب خاص وشخصي يرثى له ، ولكن لا يجوز ان يستخلص منه اي شيء مما يوجه ضد عناية الله بكنيسته ، ذلك لان جميع هذه الامور قد تُنبئ بها بجلاء تام ، ولانه ذُكر منذ زمن بعيد ان تلك التجارب ستصدر عن هذه الفئة من الناس ، ولان من كان قد الم بكل هذا ، يرى فيه دليلاً على قيادة الله لا على تخليه ونسيانه .

٨٩٠ — ترتليانوس : لن يطرأ على الكنيسة اصلاح .

٨٩١ — يجب ان يعرف الهراطقة الذين يحتجون بتعاليم اليسوعيين انها ليست تعاليم الكنيسة ، وان خلافاتنا لا تفرقنا من حيث الدين .

٨٩٢ — لو كان اختلافنا ينتهي بنا الى الادانة ، لكنتَ على صواب . التماثل بلا تنويع لا يفيد الآخرين . التنويع بلا تماثل يهدمنا نحن . — احد الامرين أذىً في الخارج والآخر أذىً في الداخل[1] .

٨٩٣ — اظهار الحقيقة يتيح الايمان بها ، ولكن اظهار الظلم لا يقوّمه . في اظهارك الخطأ امان للضمير ، ولكن لا امان على المال في اظهار الظلم .

٨٩٤ — الذين يحبون الكنيسة يشكون من فساد العادات . بيد ان الشرائع ما برحت قائمة . ولكن العادات تفسد الشرائع : لقد تشوه المثال .

٨٩٥ — لا يحدث البتة ان نصنع الشر مفعمين به طروبين له ، الا متى صنعناه واعين متعمدين .

٨٩٦ — ان الكنيسة اصطنعت ، على غير طائل ، كلمات الحرم والهرطقة الخ : انها لتستعمل ضدها .

٨٩٧ — العبد لا يعرف الا ما صنع السيد ، لان السيد يرشده الى العمل لا الى الغاية[2] . لذلك فهو يذعن للعمل باستعباد فيما هو يخطئ من حيث الغاية . ولكن المسيح دلنا على الغاية[3] . وانكم لتهدمونها .

٨٩٨ — لا يستطيعون ان تكون لهم الديمومة ، فيبحثون عن الشمول ، وهم من اجل ذلك يجعلون الكنيسة فاسدة كلها ، حتى يكونوا في مأمن من الأذى .

---

١) يبدو ان هذه الفقرة اعتراض من اليسوعيين على پسكال نفسه . يقولون : انك تتهمنا باننا يختلف واحدنا عن الآخر ، وان فينا علماء متزمتين وآخرين متساهلين . ولكننا لا ندين احداً ولا غبار ، بالتالي ، على مسلكنا . لو كنا نعتمد القاعدة نفسها تجاه الجميع لما ادينا للعالم الخدمات التي ينتظرها فساده منا وتستوجب عطفه علينا . ولو لم نحتفظ بشيء من الوحدة في هذا التنوع لكان مآل رهبانيتنا الانحلال تلقائياً .

٢) يوحنا ١٥ : ١٥ .

٣) لوقا ١٢ : ٤٧ .

٨٩٩ — ضد الذين يسيئون تفهم بعض نصوص الكتاب ويحتجون بما يبدو لهم منها انه موائم لضلالهم.

فصل صلوات الغروب. احد الآلام. الدعاء للملك.

شرح هذه الاقوال: «من ليس معي فهو علي»[1].

وهذه: «من لم يكن عليكم فهو معكم»[2].

من قال «لست مع ولا على» يجب ان يجاوب ...

٩٠٠ — من شاء ان يؤدي معنى الكتاب، ولا يقبسه من الكتاب، فهو ضد الكتاب (اغوسطينوس).

٩٠١ — «ويعطي النعمة للمتواضعين»[3]. الم يعطهم التواضع؟ «اخصاؤه لم يقبلوه، والذين لم يقبلوه»[4] الم يكونوا من اخصائه.

٩٠٢ — يقول لوفويان (Le Feuillant): «لقد وجب الا يكون هذا اكيداً بمقدار، لان النزاع يدل على عدم التأكد (القديس اثناسيوس، القديس خريزوستموس، الخلقيات، وغير المؤمنين)».

اليسوعيون لم يجعلوا الحقيقة غير اكيدة، بل جعلوا إلحادهم اكيداً.

لقد تُرِك التناقض ابداً لتعمية الاشرار، لان كل ما يصدم الحقيقة او المحبة فهو رديء: هذا هو المبدأ الحق.

٩٠٣ — جميع الأديان والشيع في العالم قد استرشدت دليل العقل. والمسيحيون وحدهم أُكرهوا على اعتماد قواعدهم من خارج، وعلى الاستدلال بالتي تركها المسيح للاقدمين لتحال على المؤمنين. ان هذا الاكراه اوهن هؤلاء الآباء الطيبين، فهم يودون لو استبقوا، كسائر الشعوب، حرية الانقياد الى مخيلاتهم. وعبثاً نصيح كما صاح الانبياء، قدماً، باليهود ان

١) متى ١٢ : ٣٠.
٢) مرقس ١١ : ٣٩.
٣) يعقوب ٤ : ٦.
٤) يوحنا.

« اذهبوا الى وسط الكنيسة واستعملوا الشرائع التي اورثها الاقدمون اياها ، واتبعوا هذه الطرق» ، فانهم ، كاليهود ، اجابوا : « لن نسير ، وسنتبع افكار قلوبنا » وقالوا ايضاً : « سنكون كسائر الشعوب »[1] .

٩٠٤ — يجعلون من الشذوذ قاعدة .

هل أعطى الأقدمون الحلة قبل التوبة ؟ اصنعوا هذا بروح الشذوذ . ولكنكم تجعلون من الشذوذ قاعدة بدون شذوذ ، حتى انكم لا تريدون ان تكون القاعدة هي الشذوذ .

٩٠٥ — **في الاعترافات والحلة بدون دلائل الندامة** . الله لا ينظر الا البواطن : الكنيسة لا تحكم الا في الظواهر . الله يحل حالما يرى التوبة في القلب ، والكنيسة حين تراها في الاعمال . يقيم الله كنيسة نقية في الداخل تخزي قداستُها الباطنية وروحانيتُها الكلية ما في الحكماء المتشامخين والفريسيين من إلحاد باطني : وتقيم الكنيسة جماعة من الناس هم على قدر كبير من نقاوة الأخلاق الخارجية التي يخزون بها اخلاق الوثنيين . فان كان بينهم مراؤون يحول تقنعهم المُحْكَم دون ان تعرف سمومهم ، فهي تكابدهم . لانهم ، وان كانوا غير مقبولين من لدن الله وكانوا اعجز من ان يخدعوه ، فان الناس ، وقد خدعوا بهم ، يقبلونهم . وعلى هذا فما كان ليشين الكنيسة مسلكهم القدسي المظهر . ولكنكم تريدون الا تحكم الكنيسة لا على الباطن لانه يعني الله وحده ، ولا على الظاهر لان الله لا يستوقفه الا الباطن . وهكذا ، انكم اذ تنزعون منها الخيار بين الناس ، تستبقون في الكنيسة ابعدهم فسقاً واقربهم الى إلحاق المهانة بها ممن لم تكن الشريعة اليهودية والشيع الفلسفية لتتورع عن نبذهم ، على انهم غير جديرين بها وعلى رذلهم على انهم كفار .

---

١) ملوك اول ٨ : ٢٠ .

٩٠٦ – ايسر حالات الحياة بحسب نمط العالم اصعبها بحسب نمط الله . وبالعكس ، ليس ما هو اصعب من الحياة الرهبانية بحسب العالم ، وليس ايسر من قضائها بحسب الله . ليس ايسر من ان يكون المرء في منصب خطير وخيرات عظيمة بحسب العالم . وليس اصعب من حياة في الحالة نفسها بحسب الله دون الاشتراك فيها وتذوقها .

٩٠٧ – المفتون يُخضعون الحكم للعقل الفاسد ، واختيارَ الاحكام للارادة الفاسدة ، حتى يكون كل ما هو فاسد في طبيعة الانسان مشتركاً في مسلكه .

٩٠٨ – ولكن هل من المرجح ان الترجيح يؤمِّن ؟

الفرق بين راحة الضمير وامانه . ما من شيء يعطي الامان الا الحقيقة . ما من شيء يعطي الراحة الا البحث الصادق عن الحقيقة .

٩٠٩ – جماعة مرشديهم كلها لا تستطيع تأمين الضمير في الضلال ومن اجل هذا كان تخير المرشدين الصالحين من الاهمية بمكان .

وهكذا فان ذنبهم مزدوج : لكونهم اتبعوا طرقاً ما كان لهم ان يتبعوها ، ولكونهم اصغوا الى أئمة ما كان لهم ان يصغوا اليهم .

٩١٠ – ما الذي يحملكم ، إلا مسايرة الناس ، على الترجيح ؟ افتوهمونا انها الحقيقة ، وانه على افتراض ان المبارزة ليست من عادة الناس ، فان الاقتتال جائز بحد ذاته ، فيما ترجحون ؟

٩١١ – ايجب ان نَقتل لنحول دون وجود اشرار ؟ ان في هذا شرين عوضاً عن واحد : « لا تتغلب للشر بل اغلب الشر بالخير »[1] .

٩١٢ – **شامل** . الخلقيات واللغة علوم خاصة ولكنها شاملة[2] .

---

١) بولس الى اهل رومية ١٢ : ٢١ .

٢) لكل الناس لغة ، ولكنها ليست واحدة لكل الناس . كذلك الخلقيات . فلكل فرد خلقياته ولكنها ليست هي نفسها لكل فرد .

٩١٣ — **ترجيح** . بامكان كل احد ان يضع ، وما من احد يستطيع ان يزيل[١] .

٩١٤ — يطلقون العنان للشهوة ، ويحبسون هاجس الضمير ، على حين ان العكس هو ما يجب ان يفعلوه .

٩١٥ — **مونتالت** . المذاهب المتساهلة تروق الناس بمقدار بحيث انه من المستغرب ان مذاهبهم لا تروق . ذلك انهم تجاوزوا كل حد ، فضلاً عن ان ثمة جماعة ترى الحق ولا تستطيع بلوغه . ولكن القليلين هم الذين لا يعرفون ان نقاوة الدين مناقضة لارجاسنا . ومن المضحك القول ان ثواباً ابدياً قد أُعِدَّ لتلك الاخلاق المشوبة بالرياء .

٩١٦ — **ترجيح** . ان لديهم بعض المبادئ الحق ، ولكنهم مسرفون فيها . والحال ، ان الاسراف في الحقائق يجب ان يُعاقَب بمثابة دس الكذب .

كأن ثمة جحيمين : احداهما للخطايا المقترفة ضد المحبة ، والاخرى ضد العدل !

٩١٧ — **ترجيح** . لو كان في الترجيح ضمان ، لكانت حمية القديسين في البحث عن الحق بدون جدوى . خشية القديسين الذين طالما اتبعوا الطريق الاضمن . (القديسة تريزيا اتبعت ابداً ارشاد مُعرِّفها) .

٩١٨ — أزِلْ الترجيح فلا تستطيع ان تعجب الناس . اعتمد الترجيح فلا تستطيع ان تغيظهم .

٩١٩ — هذه آثار خطايا الشعوب واليسوعيين : لقد تمنى العظماء التملق ، وتمنى اليسوعيون ان يحبهم العظماء ، وكانوا خليقين بان يُتركوا وشأنهم مع الكذب ، ليكون بعضهم خادعاً ، والبعض الآخر مخدوعاً . بخلاء ، طمّاعون ،

---

١) ذلك ان الاحتكام الى عالم متزمت يكفي لتبرير العمل . فكل واحد بامكانه ان يبرر وليس باستطاعة احد ان ينهي ، الامر الذي يفضي الى تراخ لا حد له .

شهوانيون « على وفق شهواتهم يكدسون معلمين فوق معلمين »[١]: انهم التلامذة الجديرون بامثال اولئك المعلمين ، لقد بحثوا عن مملقين فوجدوهم .

٩٢٠ – اذا لم يقلعوا عن الترجيح تساوت حِكَمُهم الحَسَنة والسيئة من حيث انعدام القدسية ، لكونها قائمة على سنَد بشري . وهكذا فاذا كانت اكثر عدلاً اصبحت اكثر صواباً لا اكثر قدسية . فهي تمت الى الساق البرية التي تطعمت منها .

... اذا كان ما اقوله لا ينيركم فهو يفيد الشعب[٢] .

اذا سكت هؤلاء فإنّ الحجارة تتكلم .

السكوت هو الاضطهاد الاكبر : ان القديسين لم يسكتوا قط . يجب في الواقع ان تكون ثمة دعوة ، ولكنها دعوة لا تُستَمد من قرارات المجلس بل من ضرورة التكلم . والحال ، انه بعد ان تكلمت رومية ، وادانت الحقيقة ، فيما يظنون ، وبعد ان شجبت المراقبة الكتب التي ذهبت الى عكس ما قالت به رومية ، اصبح من المتحتم على من شجب ان يصبح عالياً بمقدار ما جاء شجبهم له ظالماً وبمقدار ما ارادوا ان يخنقوا الكلمة بعنف ، حتى يجيء حبر اعظم يستمع الى الفريقين ويسترشد بالاقدمين ليقضي بالعدل . وهكذا سيجد الباباوات الصالحون ان الكنيسة ما برحت في صخب .

ديوان التفتيش والجمعية آفتا الحقيقة .

ما لكم لا تتهمونهم بالآرية ؟ فقد قالوا ان المسيح هو الله: لعلهم عنوا انه ليس الاله بطبيعته بل بحسب ما قيل « انكم آلهة »[٣] .

لئن أدينت رسائلي في رومية ، فان ما أُدينه فيها هو ما ادانته السماء : « الى محكمتك ايها السيد المسيح ارفع دعواي » .

انكم بأنفسكم قابلون للفساد .

---

١) تيموتاوس ٢–٤ : ٣ .
٢) الشعب الذي سيكون حكماً بين اليسوعيين واليانسينيين .
٣) المزمور ٨١ ، اي بالمعنى الذي قيل فيه ان الناس آلهة .

لقد خشيت ان اكون اسأت التعبير ، اذ أُدِنت ، ولكن ما تمثلته من كتابات تقوية متعددة يميل بي الى اعتقاد العكس . لم يبقَ حسن الكتابة جائزًا بسبب فساد ديوان التفتيش وجهله .

« ان الله احقّ من الناس بأن يُطاع » (القديس بطرس) .

لست اخشى شيئاً ولا آمل شيئاً ، وما كانت هذه حال الاساقفة . ان پور روايال يخشى ، وانه لمن سوء السياسة تفريق جماعته فيصبحون ولا خشية فيهم ، وتصبح الخشية منهم اعظم . انني لا أخشى حتى شجوباتكم المماثلة ان لم تكن مسندة الى التقاليد . اتشجبون كل شيء ؟ ماذا ! اتشجبون حتى احترامي ؟ كلا . اذن قولوا اي شيء تشجبون ، والا فما صنعتم شيئاً اذا لم تعينوا الشر وتقولوا لماذا هو شر . هذا هو وجه الصعوبة لهم .

ترجيح . لقد فَسَّروا الامان هازلين : لانهم ، بعد ان اثبتوا ان جميع طرقهم امينة ، اقلعوا عن القول ان الطريق الامين هو الذي يقود الى السماء دون ما خطر في عدم الوصول ، بل هو الذي يقود اليها دون خطر الخروج منه .

٩٢١ — ... تنتهي الدقة بالقديسين الى ان يجدوا انفسهم مجرمين ، فيتّهمون افضل اعمالهم . اما هؤلاء فتنتهي بهم الدقة الى ان يعذروا اردأها .

ان بناءً جميل المظهر ، مع كونه قائماً على اساس عائب ، كان حكماء الوثنيين يشيدونه ، والشيطان يخدع الناس بهذه المشابهة الظاهرية القائمة على اساس جد مختلف .

ما حدث قط انْ لازمَ الحقُ قضيةً كما لازم قضيتي ، وما حدث قط لغيركم ان مكنوا من نفوسهم كما مكنتموني منها ...

انهم كلما دللوا على ضعفي ، ايدوا قضيتي . تقولون اني من الهراطقة ، ايجوز هذا ؟ اذا كنتم لا تخشون قضاء الناس ، افلا تخشون قضاء الله ؟

ستشعرون بقوة الحقيقة وستذعنون لها ...

ثمة شيء فائق الطبيعة ، وعماوة فائقة . « وانما ساقهم الى هذا امر لا بد منه » ... !

« الانسان يحمد بحسب تعقله وذو القلب المنحرف يزدرى»[١] .

التقوى الكاذبة اثم مزدوج .

العليّ وحيداً مقابل ثلاثين الفاً ؟ كلا . احتفظوا لانفسكم بالبلاط وبالخداع . ان لي الحقيقة : فهي كل قوتي . اذا فقدتها هلكتُ . سآخذ قسطي من الاتهامات والاضطهادات . ولكن لي الحقيقة وسنرى الغلبة لمن تكون .

لا استحق ان ادافع عن الدين ولكنكم لا تستحقون ان تدافعوا عن الضلال والظلم . حَسُنَ لدى رحمة الله الا يلتفت الى الشر الذي فيّ ، وان يلتفت الى الخير الذي فيكم ، ويمنح جميعنا النعمة كيلا تهلك الحقيقة بين يديّ وان يكون الكذب ....

٩٢٢ — ترجيح : فلنر هل كانوا يبحثون عن الله بصدق طوية اذ يقارنون بين الاشياء التي تستهويهم : من المرجح ان هذا اللحم لا يسمّني . من المرجح اني لا اخسر قضيتي اذا لم التمس ...

٩٢٣ — ليست مغفرة الخطايا في سر التوبة رهناً بالحلة وحسب ، بل بالندامة التي لا تكون حقيقية ما لم تتوخَّ السر .

٩٢٤ — انكم لقوم لا ذمام لهم ولا ايمان ، ولا شرف ، ولا حقيقة . في قلبكم ازدواجية وفي لسانكم ازدواجية ، وانكم ، على وفق ما عيروكم فيما سلف ، شبيهون بحيوان الاسطورة البرمائي الذي أُشكل امره فلا يُعرَف أمن الطير هو ام من السمك ...

من المهم للملوك والامراء ان يزينهم التقى ، ومن اجل ذلك وجب ان يعترفوا لكم .

---

١) امثال ١٢ : ٨ .

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبـــع هذا الكتاب في الخامس عشر
من شهر حزيران سنة ١٩٧٢

En conformité des statuts de la Commission,
cette traduction des *Pensées*
de Blaise Pascal a été revue

par

Khalil Ramez SARKIS

COLLECTION D'ŒUVRES REPRÉSENTATIVES

BLAISE PASCAL

PENSÉES

Traduction arabe

PAR

EDOUARD BOUSTANY

COMMISSION LIBANAISE
POUR LA TRADUCTION DES CHEFS-D'ŒUVRE
BEYROUTH
1972

PENSÉES
DE
PASCAL



COLLECTION D'ŒUVRES REPRÉSENTATIVES

BLAISE PASCAL

PENSÉES

Traduction arabe

PAR

EDOUARD BOUSTANY



COMMISSION LIBANAISE
POUR LA TRADUCTION DES CHEFS-D'ŒUVRE
BEYROUTH
1972

IE ORIENTALE, B. P. 1986, Beyrouth, Liban